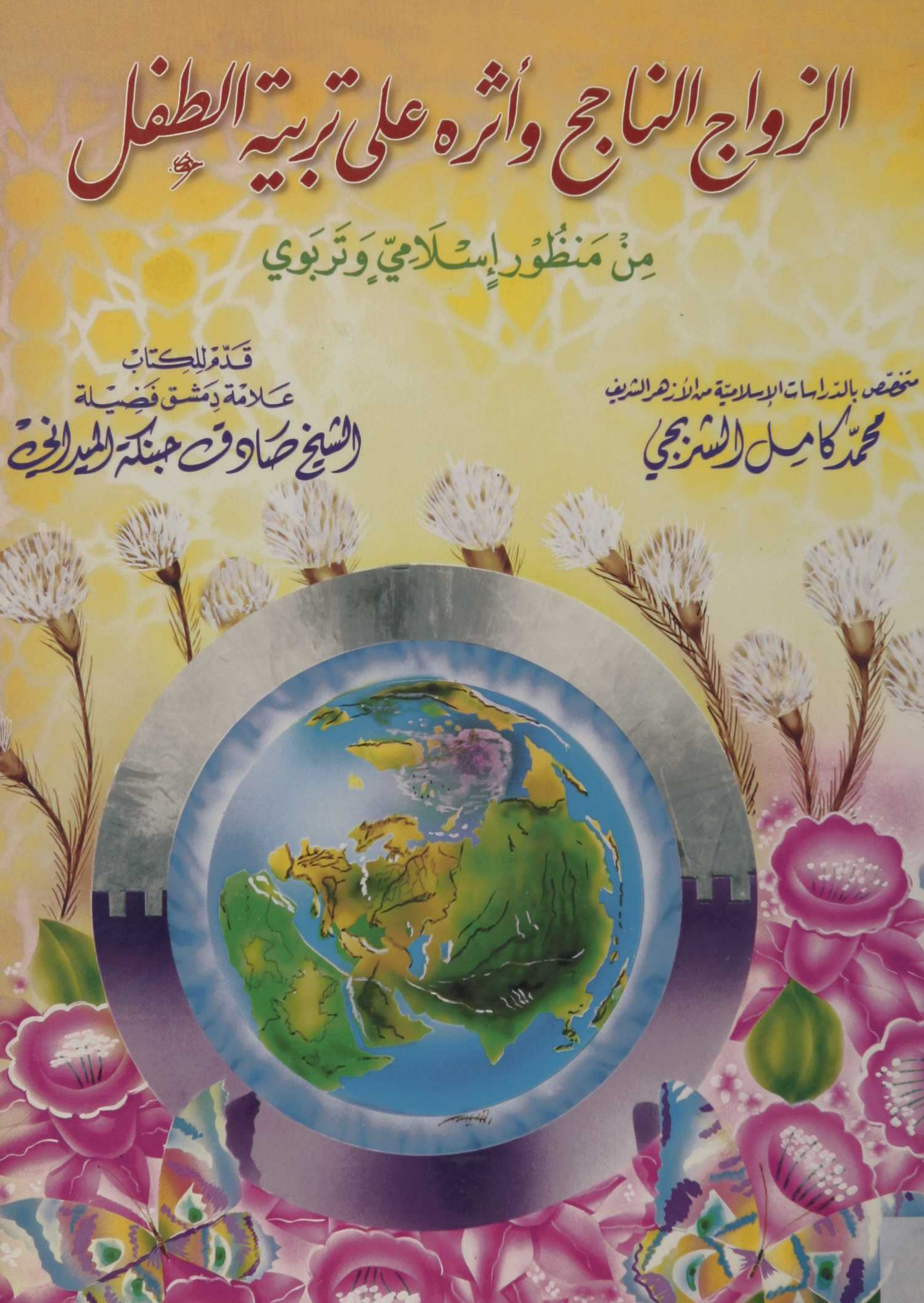

الزواج الناجح وأثره على تربية الطفل
مِنْ مَنظُورٍ إسلاميٍّ وتربويّ
متخصص بالدراسات الإسلامية من الأزهر الشريف
محمّد كامل الشربجي
قدّم للكتاب
علامة دمشق فضيلة
الشيخ صادق حبنكة الميداني



الزواج الناجح وأثره على تربية الطفل

مِنْ مَنظُورٍ إسلامِيٍّ وَتَربَوِي

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

تنضيد

دار الكاتب

دمشق – برامكة – جانب وكالة الأنباء (سانا)

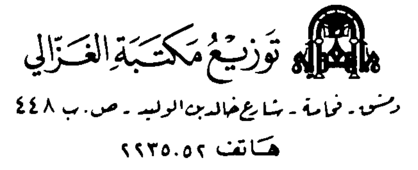
هاتف: ٢١١٣٠٠٣ – ٢١٢٣٧٥٦

إخراج

مركز خدمات الكمبيوتر

دمشق – حلبوني – جانب المؤسسة العسكرية

هاتف: ٢٢٤٨٠٩٤



دراسات في رحاب الأسرة

نصيحة للعروسين
في - ٦٠ - وصية

الزواج الناجح وأثره على تربية الطفل

مِنْ مَنظُورٍ إسلاميٍّ وَتربوي

محمد كامل الشربجي
متخصص بالدراسات الإسلامية من الأزهر الشريف

قدم للكتاب
علامة دمشق فضيلة
الشيخ صادق حبنكة الميداني

قال الله تعالى:

﴿ربَّنا هَب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرَّةَ أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾

الفرقان /٧٤/

قال رسول الله ﷺ :

((صِغَارُ الأطفال دعامِيصُ الجنّة))

«رواه مسلم»

إهــداء

من كلّ الآباء والأولياء وسائر الأمهات

إلى العروسين : بُنيتي - ولدي.

إلى... كل : زوج - وزوجة.

هـذا الجهـد المتواضـع مـن النصـائح والوصايـا والبحـوث والإرشـادات الإسلامية في مجال العلاقات الزوجية، وتنشئة الطفل على القرآن والسنّة. بُغْيـة تماسك الأسرة حتى تؤتي ثمارها.

وَنَهَجْنا أن يكون هذا الجهد من منظور إسلامي شامل ومتكامل رُوعـيَ فيه النظرة الأخلاقية والاجتماعية والتربوية والنفسية والعقائدية، وذلك:

- من أجل أن يمسـك ــ ومنـذ البدايـة ــ العروسـان والـزوج والزوجـة بمفتـاح السعادة الزوجية.
- ومن أجل الوقاية من الخلافات الزوجية المحتملة قدر المستطاع ممّا يعكر علـى الأسرة الصفاء والود في الحياة الأسرية.
- ولتكـون هـذه الأسـرة هـي بيــت المسـتقبل المنشـود والمغمـور بالسـعادة والاستقرار، كما ينبغي عليه أن تكون الأسـرة المؤمنـة الواعيـة في ربـوة مـن رضوان ا لله ورسوله. وا لله الموفق.

تقييم علامة دمشق الداعية الكبير الشيخ صادق حبنكة الميداني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمة الإيجاد . وله الشكر على منّة الإمداد .
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير العباد . وعلى آله وصحبه السادة الأمجاد . ومن تبعهم وهدي الى سبيل الرشاد
وبعد فإن الأخ الكريم . والصاحب القديم . الأستاذ الفاضل (محمد كامل الشربجي) قد ألهم أن يعالج موضوعاً اجتماعياً هاماً على ضوء التوجيهات الشرعية . وينقب عن الأخطاء المنتشرة . التي تسبب التشاكس بين أفراد الأسرة ونشوز النساء . وجور الرجال . وتشتت الذرية . فكان التوفيق حليفه في وصاياه . وأوتي الحكمة في أساليبه .
اطلعت بشكل اجمالي على كتابه هذا . الباحث عن الزواج وتربية الأطفال . وقرأت منه مقاطع . أسأل الله دوام التوفيق . والنجاح فيما يقصد . فلقد عرفته يحمل العقيدة الصحيحة . حريصاً على النصيحة . راغباً في الخير .
وان إحكام بيوت الزوجية . وتأسيسها على القواعد القويمة المتينة . سبب لإصلاح المجتمع بأسره . وكلما تفشت الأمراض الاجتماعية الأخلاقية . السارية من العادات التقليدية . والمتسربة من النزعات النفسية . والنزغات الشيطانية اشتدت الحاجة الى أطباء النفوس . ليحسم الداء من جذوره وهذا واجب كل متعلم عارف بصير . فإن المسلمين كالجسد الواحد . والدين النصيحة . اللهم انا نسألك علماً نافعاً ، ويقيناً صادقاً . وعملاً صالحاً متقبلاً : الراجي عفو ربه

صادق حبنكة الميداني



المقدّمة

أحمد الله أن جعل الزواج من «الطيبات» تكريماً لبني آدم، وجعل السّفاح من الخبائث، حماية للمجتمع من كلّ وباء.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي جعل من تعاليمه وتوجيهه في الزواج «بناء محكماً بسور من الوقاية والعلاج» ــ وبتوفيق من الله وهدي من رسوله، شرعت في إعداد رسالة ــ متواضعة ــ تتضمن الحديث عن الزواج وتربية الأطفال ــ لأن الأطفال ثمرة شجرة الزواج ــ.

ـ وقد استَهْدَفْتُ المنهجية في البحث ليكون أدعى للإقناع وتمشياً مع نظام الإسلام. ولم أركّز فيها على الحض على الزواج والترغيب فيه، فهذا أمر مفروغ منه وقد تفرّغَتْ له رسائل كثيرة، إنما ركزت فيه على ذكر طرق الوقاية للزواج منذ بدايته ـ وطرق العلاج عند احتمال وقوع الخلاف ــ، فالزواج في نظري هو مشروع بناء «بيت المستقبل المنشود» لكل مسلم ومسلمة، وهو أهم من مشروع بناء بيت للسكن والمأوى..

فإذا كان يراعى في بناء بيت السكن الوقاية منذ البداية من التصدع والانتكاس، ففي بناء بيت المستقبل أولى وأدهى وأمر..

ثم لسائل أن يسأل لماذا قرنتَ الحديث عن الزواج بالحديث عن تربية الأطفال في الإسلام؟

والإجابة عليه باختصار شديد:

١ ـ أسوة بالآية الكريمة في التوجيه فقد جَمَعتْ بين الزواج وذكر الذريات... قال تعالى: ﴿**ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً**﴾. الفرقان /٧٤/.

٢ ـ من البداهة بمكان أن الزواج غايته الأولى ـ الإنجاب ـ وقد أوضح الرسول عليه السلام هذا المعنى بقوله (تناكحوا تكثروا فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة).رواه البيهقي.

٣ ـ إن الحديث عن جذور الشجرة يسوقنا للحديث عن فروعها وثمارها وهذا أمر هام وإذا غفلنا عن هذه النظرة ـ فقد جردنا الشجرة من ثمارها ـ فتؤول الشجرة في النهاية إلى اليباس وانقطاع الحياة وتصبح أثراً بعد عين، وكذلك الزواج شجرة ثمارها وفروعها الأطفال.

٤ ـ وَكمَا ندعو الشباب والشابات إلى الزواج وتَعَلُّم أحكامه وأهدافه، ندعوهم في الوقت نفسه إلى تعلم كيف ينشأ الطفل على الإسلام وتربيته على خلق القرآن والسنة لتؤتي الشجرة ثمارها اليانعة والدائمة. فهذا لازم لذاك ولا ينفك عنه.

ـ ونسأل الله سبحانه أن يسدد خطانا فيما نبتغيه من صدق وإخلاص لله تعالى، وأسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا الكتاب نفعاً عاماً، وأن

يكون ذلك ذخراً لي، وذخراً لوالديّ وزوجتي وأولادي يوم الجزاء، إنه على كل شيء قدير... وبا لله التوفيق.

ولا أنسى أن أشكر بناتي الثلاث وغيرهم ممن ساعدني في وضع لبنةٍ في هذا البناء.

المؤلف

محمد كامل الشربجي

متخصص في الدراسات الإسلامية من جامع الأزهر

بمصر عام ٥٦ ميلادية.

والباحث في الشؤون التربوية والاجتماعية.

البحث الأول:

الطرق الوقائية لحماية بناء الزواج

عناصره:

الأول: من واجب الأبوة نصيحة العمر للعروسين.

بنيتي: ثلاثون وصية من صميم الحياة والدين.

ولدي: ثلاثون وصية من واقع الحياة والدين.

نصيحة العمر لابنتي العروس

بنيّتي

أبدأ بما يستحب أن يقال للعروسين:

«بارك ا لله لكلّ واحدٍ منكما في صاحبه، وجمعَ بينكُما في خير».

بنيّتي

١. إنّ الزواج نعمة عظمى من ا لله سبحانه وتعالى، فحافظي عليها بالتزامكِ بهذه الوصيّة تدم لك «وبالشكر تدوم النعم».

٢. سُلّم السعادة الزوجية طويلٌ وطويل، والصعود عليه درجة، درجة، ومن بدأ بالصعود فلابدّ من الوصول.

٣. شُعوري بالأسى المَشُوبِ بالصبر على انفصالك عن حياتي الطويلة بسبب الزواج، لا يُوصف ولا يُحدّ. ولكن أقولها وأنا من الصّابرين «إنها سُنّةُ ا لله في خَلْقه».

٤. إنّك ستؤولين إلى زوج لطيف ذي معشر حسن يُكرمك ويلاطفك، ويصبر عليك، وهذا مما يُخفّف عنّي الحُزن على فراقك.

بُنيّتي

٥. أَفْرِغي له من الحبّ ومشاعر العطف والاحترام المكنوزة فيك لأبويك وإخوتك. نكن جميعاً بذلك من السعداء. فالحياة تبادلٌ وعطاء.

٦. الحياة الزوجيّة هادفةٌ بَنّاءة. تعين على حياة ترضي الله، وإنجابِ ذريةٍ مسلمة تُدْخلك وزوجَك الجنّة. وليذكر الزوج أنّ مِن سعادة المرء، المرأةَ الصالحة، وانّ خير ما يكنز الرجلُ المرأة الصالحة.

٧. تفاءلي بالسعادة والسرور ولا تَدَعي الدّهشة والخجل يعكّران عليك صفاء الحياة الزوجيّة. فكل أمر في بدايته دهشة ثم تزول.

٨. إنّ الحياة الزوجية شركةٌ تعاونية. يتمّ التبادل من خلالها بالحبّ والعواطف والمشاعر الطيّبة بلا حدود، والسّخاء بذلك من طرفِك فضيلةٌ وليس بنقيصة، واعْلمي أن الشؤون المادية الخاصة به مُغْلقة الحدود بينك وبينه إلاّ بالقدر المطلوب، وعليه أن يعاملك بالمِثْل في شؤونك المادية فلا يتحرّى كلّ منكما عن الآخر في ذلك.

بُنيّتي

٩. تَعرّفي على الحلال والحرام، والحسن والقبيح، وعلى الحقوق: مالَك وما عليك. من خلال (القرآن والسنة ومطالعة الكتاب). واحملي زوجك على ذلك بين الحين والآخر فإنها لغة التفاهم والسّعادة الحقيقية بين الزوجين، وإن حدث خلاف في وجهات النظر، فذكّريه بذلك واحْتكمي وإيّاه إلى هذه اللّغة ـ لغة الدين ـ .

١٠. كوني شامة له في الأناقة والمظهر الجميل، واختاري الوقت المناسب لذلك. فإن ذلك مبعث للألفة والودّ، ومخفّف للعناء عنه، ويُشعره

بالراحة النفسية، فيفضّل البقاء على الذهاب. وتساعديه بذلك على غضّ بصره عن الأخريات، وقد ندب الرسول الرجال إلى ذلك وهم قادمون إلى منازلهم. فكيف بالمرأة والزوجة. وَعدَّ الرسول عليه السلام: من إكرام الشعر تسريحه وتنظيفه. فقال الرسول لرجل رآه شَعثاً قد تفرّق شعره (أما وجد هذا ما يُسَكّنُ به شَعْره) «رواه النّسائي».

١١. حاولي أنْ تنظري إليه بأنّه القدوة الصالحة والمثل الأعلى لك، ما دامت أمارات الصلاح تبدو عليه. وتجاوزي عن هفواته فإن العصمة للأنبياء فيتجاوز هو عن هفواتك «والمعاملة بالمثل من شيم الكرام» في هذه الأيام.

١٢. حافظي على أسرار الحياة الزوجية. واكتمي مُعْظم شكواك. فإنّ طول الزمن، والصبر عليها كفيل بحلّها ونسيانها والصفح عنها.

١٣. إيّاك والجدل، إيّاك والعِناد فإنهما يُضْعفان فيك الخجل والحياء. إيّاك وشَدة الغيرة فإنها تفسد عليك الودّ والصفاء.

بُنيّتي

١٤. تذكّري أَن لاغالب ولا مغلوب بين الزوجين فالتسامح والودّ والتحمّل سرّ السعادة الزوجية.. لأنّ التسامح خلقٌ فاضل فوق درجة الحق والقصاص ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾.

١٥. لِتكن راحةُ الفكر والبال على حساب جُهدك الجسمانيّ في شؤون زوجك وشؤون أولادك، واستبدلي بمظاهر الاخلاص والوفاء مظاهر التعالي عليه. فتكسبي قلبه واحترامه. «فالمرء بأصغريه: قلبه ولسانه».

١٦. إيّاك والاحتجاب عنه بدوافع العادات والبيئة والحياء المذموم، «فإن الله لا يستحي من الحق»، وأنت بذلك في بيت الزوجية غيرُكِ في دار أهلك وبَين عشيرتك. فاعرفي الفرق تسعدي به.

١٧. هل تَعلمين أنّ المزاح والتسلية والمداعبة مباحة، ولا حرج فيها بين الزوجين، ولكن ألا تعلمين أن ذلك كالملح للطعام، إذا زادَ عن حَدّه فسد، وعاد إلى ضدّه، والْحَظِي أن شرط ذلك تقبّله من الطرفين. واذكري قول الرسول (هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك) «أخرجه البخاري ومسلم».

١٨. إحذري أوّل نُفورٍ يقع، فإن وقع فعالجيه فوراً. فلربّما يتبعه نفورٌ آخر، يُعكّر عليك مسارَ الحياة الزوجية. وإنّ المحبة الزائدة والألفة لاتنسك الأدب معه، ولا ترفعي حواجز الاحترام بينك وبينه «فحبٌ بلا احترام لا يدوم». وليذكر زوجك قول الرسول: (خَيركم خَيرُكم لأهله وأنا خَيرُكم لأهلي).

١٩. إذا التبس عليك أمر جَعَلك في حيرة من أمرك، فاستشيري صاحبَ الرأي والرَّويّة، فإن المشورة طريق الخلاص وهي شأن العقلاء ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

٢٠. لا تَفْسحي المجال للأهل «خالة ـ عمّة ـ حتى الوالدة» في المبادرة بالحديث عما يَجري في بيت الزوجيّة، إلاّ إذا وثقْتِ منهم التوجيه والنّصح، وكانوا على مستوى ذلك، وفي كلّ الأحوال إذا لم تبادري أنت الحديث معهم فعليك الإعراض عن حديثهم لك ففي ذلك الخير للجميع.

بُنيّتي

٢١. إذا صادفَ أن حَدث نزاعٌ بين زوجك وأهْلك ولو كان مع والدك، ولم تكوني في موقع يسمح لك في الترجيح لأحد الرأيَين فالْزَمي السكوت، ولا تَتَحّيزي لأحد الطرفين ولو كنتِ على حقّ فيما تَرين، فإنّه أدعْى لتخفيف حِدّة النّزاع. وإذا خلوتِ مع والدك فكوني لصالح زوجك فإنّ والدك يقدّر لك ذلك في نفسه ولو لم يَرْضَه لك الآن فإن الأبوّة تميل لصالح أبنائها.

٢٢. إجعلي للخصومة حُدوداً في إعراضك عنه على قَدْر الإساءة إليك. وفاجيئه بالحديث بعد هذا الإعراض وكأنّ شيئاً لم يَكن. ولا تفسحي المجال لأحدٍ في المصالحة، فهذا أمر يطول ويتكرر، فكوني أنتِ صاحبةَ القرار بالمصالحة وليس هذا ضَعفاً منك واذكري حينها قول الرسول عليه الصلاة والسلام (وخيرُكم الذي يبْدأ صاحبه بالسّلام).

٢٣. كوني عوناً له ولأهله في الشدائد والرّخاء، يكنْ لك كما تُحِبّين. فإنّ الوفاءَ يَبْعث على الوفاء، وكوني عند موقع نظره فيما يُحب منك في ديْنة ودنياه.

٢٤. ساعدي زوجك على إرضاء والديه وأقاربه، تعظمي في أعينهم، ويقفون لجانبك إذا لزم. وكوني سريعة الرّضا إذا استرضاك فبذلك تملكيَن عليه قلْبه، ويدلّ ذلك منك على حُسْن تربيتك في أهلك.

بُنيّتي

٢٥. لا تسترسلي معه في الحديث عن محاسن أحد من الرجال، ولو كان أخاه أو أخاكِ، فإنّ الزوج يريد منك الإعجاب بشخصه بدون مُزاحم له في ذلك. وعليه أن يعاملك بالمِثْل فلا يُحدّثك عنْ إعجابه بغيرك، فإنّه الأولى في تقدير مشاعِرك. وَلْيَكن في حُسْبان الجميع أنّ هذا التعامل يُعرّض الثّقَة الزوجيّة إلى الاهتزاز، إذا ماتكرر مثل هذا الاعجاب بالآخرين من الطرفين.

٢٦. إذا ساءَك منه أمر، تذكّري أنّه سرّك منه أمور وهذا من خُلق الوفاء واستبقاء الود.

٢٧. لاتُصْغي لأحد ولو كان من أقرب الناس إليك بما يُفْسد عليك الحياة الزوجية. لأنّ العلاقة الزوجية فوق أيّ اعتبار «وَربّ البيت أدْرى بما فيه».

بُنيّتي

٢٨. لاحظي حدود استطاعة زوجك في مَطَالبك، وإيّاك والكذبَ في سبيل ذلك، فإنّه يفقد ثقَته بك، ولاتُقْلقيه بالشكوى من متاعب البيت

وهمومه، وقاسِميه عُسْرَه كما تَنْعمين بِيُسْره، وتحمّلي واجعلي من بيتك روضة الأنس والودّ.

٢٩. قد تكونين في وضع يمكنك أن تكوني قدوة له في مزايا جميلة في الخُلق والدين والثقافة. فلا تَضْعُفِي أمامه في هذا واحْمليه باللّطف على ذلك. وعلى مَدى العشْرة، فإنّه سيذكر لك هذه المحاسن والفضائل التي كنتِ سبباً له فيها، وسَيَذكرك في نفسه مدى الحياة.

بُنيّتي

٣٠. إقرئي هذه النصيحة بين الحين والآخر، فإنّها من خير محب ومصلح صادق. عودي إليها كلما حدث أمرٌ معك. واعْزِمي على العمل بها وافسَحِي المجال لزوجك للاطّلاع عليها فإنها نصائح للجميع.

اذكري أخواتك وإخوتك دائماً. ولا تَقْطَعِي صلة الرحم بهم أبداً. واذْكريني بدَعوة مُتْرَعَةٍ بالخير والرحمة والعطاء، فإنّ أخلص الدعاء دعاء الولد لوالده. وإنّ أخلص النصائح نصيحةُ الوالد لولده، وسأدْعُو لك وله على الدّوام.

اذكريني بنيتي بخير أمام أحفادي فيذكروني بدعوة صالحة ترفع من أحوالي بين يديّ ربّي.

«دلالة بليغة ـ وسبب هام»

إنّ لكتابة هذه الوصايا لابنتي العروس، دلالة بليغة على أنّ الإنسان بحق يدور في هذا الكون، ضمن دائرة القضاء والقدر. رغم تعاطيه الأسباب ـ بل إنّ الأسباب من القضاء والقدر ـ، فما هو وجه هذه الدلالة؟

لم يكن أبداً في الحسبان وأنا أكتبها لابنتي العروس أن تُنْشَر وتُعْلَن، وتكون رسالة عامة. ولكن القدر ساقني إلى ذلك تباعاً.. وتمت إرادة الله في ذلك.

السبب الهام

بعد أن تمّ العقد على ابنتي وانتهت مراسيم «الكتاب» دخلتْ عليّ لتودعني وهي ذاهبة إلى بيت الزوجية. وتصورت وكأني أودّعها الوداع الأخير، وكيف أفارقها بعد عِشْرة معها قرابة عشرين عاماً، فضاقت عليّ الأرض بما رَحُبَت وذرفت دموعي... وهتف قلبي من الداخل يارب... يا رب... وكأني أطلب بذلك أن يسرّي عني ما أنا فيه. وفجأة أمسكت القلم لأكتب لها هذه النصائح والوصايا «نصيحة العمر والحياة». وكنت أكتب وأنا أشعر بأن في كل سطر منها سعادة لها ولزوجها مدى الحياة.

وكنت أكتب بِجُهد، فيه الإخلاص والصّدق والحب، ما شهدته في نفسي سابقاً لأي عمل من الأعمال. وزادني تأثّراً أنني بالنسبة لها كنت (الأب والأم) بعد أن انتقلت والدتها إلى رحمة الله وعنايته. وكنت أُجمّع ذهني

وأعتصر دماغي لأتذكر ما كنتُ أسْمعه من مشاكل أسريَّة وبالأخص بين الزوجين، وما كان يعانيه كل منهما حتى مع أهله وعشيره. وساعدني على ذلك أنّي أُعْنى بالخدمات الاجتماعية وعشت فيها قرابة /٣٠/ عاماً. وأتصور المشكلة فيما يحدث لابنتي وأتصوّر لها حلاً وتوجيهاً من واقع الدين والحياة والمراس في الحياة الاجتماعية...

وانتهى اعداد الوصايا وألقيت بعضاً منها في حفلة عقد قران لها ـ وكان لها الأثر الفعَال على النفوس ـ وطُولبْتُ بإلحاح أن أطبعها وأوزعها. وحين عزمت على ذلك، نصحني أخ لي بأن أتابع وأوجه وصايا لولدي العروس، فاستجبت. ثم برقت لي فكرة أن تكون ضمن رسالة عامة عن الزواج الناجح فتم هذا بأمر الله وعونه.

نصيحة العمر لولدِي العروس

ولدي

يَسّر ا لله لك الزواج، فإنّه نعمة ساقها ا لله إليك فاحرِصْ عليها بدعاء رسول ا لله ﷺ:

(اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم فيّ وارْزُقني ألفة زَوْجتي ومودتها، وارْزُقْها إلفتي ومودّتي واجمعْ بيننا بخير)

إنّه دعاء، ومفتاح لتقوى ا لله في زوجتك وعلى الدّوام.

ولدي

١. الزّواج حبٌّ وعطاء، وأَولى الناس بالحبّ والعطاء مَن اخْترتها شريكةً لك، ومُعينة لك على هذه الحياة، لِتَسْكُنَ إليها - وترتاح - ثم لتُنْجِب منها ذرية صالحة. فتوَكّل على ا لله واعلم أن التضحية منها على مقدار العطاء منك.

٢. تذكّر... أنّ أغلى أمانةٍ عندك هي زوجتك، فقد انتقلت من حنان أمّها وعَطف أبيها واحترام أهلها، لتجد البديلَ عندك، فتشعر بأنّها في بيت السعادة الزوجية، فَمِنْ تكريمها الاهتمام برأيها ومن احترامها حسنُ الكلام معها، وقد أوصاك الرّسول الكريم ﷺ بها خيراً (استَوْصُوا بالنساء خيراً).

٣. لا تتعجّل بوجود السكينة والمودّة والمحبّة، مِنْكَ إليها أو منها إليك، فالعشرةُ الطويلة بالمعروف والإحسان تبنيها، ولا تنس أنّ علاقة الأولاد تنمّيها وتقوّيها...

فالصبر مفتاح لكلّ أمل والرويّة محققةً لكلّ طلب. فبعد ثلاث سنوات من العشرة الحسنَة سمع منها زوجها كلمة «يا حبيبي».

وَلدي

٤. مِن واجب زَوجتك كما تَطْلب أنت، أن تُهَيء لك الراحة والسعادة في جَوّ منزلك وبينَ أولادك. فهل تُطالب نفسك بِمثل هذا، فتعود إلى منزلك وأنتَ تصحب معك أجمل الهدايا وباقات الورود فتُشْعِرها بأنك تفكّر فيها وهي غائبة عنك، وهذا من أَبلغ الاهتمام بها، فتدخل عليها السرور بذلك ـ ولك من ا لله الأجر والتقدير ـ على هذا الواجب العائلي.

٥. إنّ منْ أهمّ أسباب الحصول على جوّ الهدوء والسّعادة في بيت الزوجية رضا الوالدين عليك وعلى زوجتك، وهذا ممكن لو استعملت الحكمة، والرّفق والتوفيق بين الجميع، وفي حال تعسّر ذلك عليك، فرجّح جانب رضا الوالدين، عَلى أساس من التّفاهم الضمني والمُسْبَق مع زوجتك. وعَلى زوجتك أن تكون واعيةً لذلك، مادام هذا الترجيح شَكْلياً في حقيقته. ﴿وصاحبْهما في الدنيا معروفاً﴾.

٦. إذا أردتَ أن تكسب وُدّ زوجتك واحترامها، فلا تنس أن تودّ أهلها، وخاصّةً والدَها ووالدتها، واذكر في كـل مناسـبة الثنـاء عليهمـا، ولا تُخْـفِ إعجابك بأهلهـا عمومـاً فـإنكّ ستجد العجـائب حينهـا مـن تقديرها لك ولأهلك ودفاعهم عنك وشدَّة التصاقها بك، ففي ودّهم مصلحة مشتركة للسعادة الزوجية المشتركة.

وَلدي

٧. لا تنس أنّ الكرم والعطاء ولو قليلاً، زيادةً على واجبك نحوهـا يـدلّ على اهتمام بها، وهو أغلى شيء على نفسها، والذي يشجّعك علـى ذلك إيمانك بأنّ رزقها قد ساقه ا لله إليك، فهي لا تقاسِـمُك رزقـك، بل تأكل مِنْ رزقها، فا لله يَرْزُقُكَ وإيّاها.

٨. لا تُفَاجَأ إذا ما أَلِفَـتْ زوجتـك: غَـير مـا تألَفُـه مـن أحـوال العـادات والمعيشة معك، فإنّ الإنسـان بطبعـه يـألفُ مـا عاشـه في نشـأته وبَيْـن أهله. فلا تَحمِلْها على ما أَلِفْتَه ـ بالأمْر والقسر ـ، وحـاول أَنْ تـألفَ أنْت شيئاً من طباعها، فالحياة شـركة فيمـا تألفُـه الطّبـاع. واعْلـم أن تغيير الطّباع أثقلُ من نَقْل الجبال.

٩. إنّ الإنسان خُلِق من تراب، والـتراب فيـه شـوائب فهـو لا يخلـو مِـن أكدار فكذلك أَنت وزوجتُك، فلا تُكْـثِر العتـاب علـى مـا لا يسـّرك منها فإنّه مدّعاةٌ للجفوة وعدمُ الاحترام، ولا مانع من أن تعاتبَها علـى القليل مَشوباً بدُعابة ومحبة، فإن الرفق في كل شيء مطلوبٌ ومحبوب.

واحْمِلِ أفعَالها على حُسْن النيّـة منهـا، لتتصـرّف بحكمـة معهـا، كما تتصرّف مع أختك المسيئة وأنت لا تَستغني عنها.

وَلدِي

١٠. إنّ المصارحةَ تقوّيْ العلاقة بينكمـا، وتسـاعدُ علـى تنظيـم الأمـور المادِّيّة في الحياة الزوجية، فإذا ساءَت ظروفُك المادية وهي لا تشعر بذلك بسبب حِرصك على الظهور أمامهـا بمظهـر الغِنـى والقُـدرة المادية، فقد يكون من الحكمة إذاً أن تصارحها كشـريكة حيـاتك، فتدرك وَقْتَها واجبَها في تدبير شؤونها وشؤون أولادها فَتُقَلـل مـن المطاليب الماديّة وهذا عين الحكمة والصّواب من جانبها وَيُبّدلُ ا لله بَعْد العُسر يسراً.

١١. تذكّر... أنّ الإنسان أسيرُ عادته، فـلا تُعَوّد زوجتـك ولا نفسـك علـى عادة دائمة ــ مـن هدايـا أو زيـارات أو غـير ذلـك ـ فـإنّك قـد تضطـر لتركها، لتقديرك بتغيير الظروف الملائمة، فيصعب عليك وعليها ذلـك، وتتّخذ من هذه العادة حجّة عليك تطلب منك المسوّغ لتركهـا، وقـد لا تريد أنْ توضح لها ذلك، فتقع المشكلة ويَصْعب حلها.

١٢. تذكّر... أنّ لزوجتك عليـك حقـاً، فَفَكّـر جيـداً كيـف تملأ فراغهـا في المنزل، لأن الفـراغ خطـير يدفـع إلى التفكـير بـالعَبَث ولْيكـن مـن وجودك عندها ـ كأمر لازم عليك ـ في وقت لا تكـن مشـغولة عنـك بخدمة المنزل.

واملأ أنت فراغها، ولا تَدَع لغيرك إشغالَ هـذا الفـراغ، فـأنت أدرى بما يَملأ عليها نفسها وقلبها ورُوحها «نُزْهَةً ومُتْعة وفائدة وأدباً وعلماً».

ولدي

١٣. فكر جيداً إذا كُنتَ مثلاً تطالع مجلة أو تقرأ في كتـاب أو تؤلّـف، أن تكون هي أيضاً مشغولة بشبه ذلك، أو بَديله بما تراه مناسباً، أو هيّء لها مُسْبقاً لمثل هذه الأحوال شـغلاً محبّبـاً لهـا، ولا تَدَعهـا تنظـر إليـك منشغلاً عنها، فإن هذا يَبعـث عندهـا «الكراهيـة الخفيّـة»، والتفكـير بأسباب خروجها من المنزل.

ولا تستخِفّ بهـذه الوصيـة «فـإن مُعْظَـم النـار مـن مُسْـتَصْغَر الشَّرر».

١٤. إيّاك وسوءَ الظنّ بزوجتك لأتفه الأسباب ـ ولعلّه من شدّة الغَيْرَة عنـدك وأنْت لا تشعر ـ، وإذا تكرر السبب فتعرّف عليه، غـير مُتَعَجِّـل، بصـدر رحب وعَقـل مفتـوح، ولا تتسـرَّع في العتـاب والشـكوى، فإنّـه مدعـاة للجرأة في تكراره، ومُخَرِّبُ للثقة المتبادلة، ومضعف للمودّة والمحبة.

١٥. قدّر أعذارها إن ذكَرَتْها لك، وَحدِّثْها عن إعجـابك بهـا، ولا تَخْـش من غُرورها، وفتّش عَن محاسنها.

زِد من احترامها أمام أهلها وصديقاتهـا. جالِسْـها وهـي بِعَيْنـك إنسانةٌ محترمة.

لا تَبْخَل بالهدية البسيطة بين الحين والآخر، طَمْئِنها على دوام عِشرتك معها وأنّك تُفكّر في مستقبلها. تجن من وراء ذلك «جَنّة في الدنيا» ثمنُها هذا الكلام الحلو اللطيف وهذه الهدايا الخفيفة ولو باقة ورد تقدمها، وهي عندها عظيمة لأنها رمز لتفكيرك بها وهي غائبة عنك.

وَلدي

١٦. تذكّر... أنّ الإكرام على قَدْر العطاء، فكذلك الحِرْمان على قدر الأخطَاء. فإذا ما أخطأتْ الزوجة معك، فالحَلّ أنْ يكون الهجران على قدر هذه الأخطاء. فحدِّد إعراضك عنها بنفسك بيوم أو يومين دون إعلامها فإنّ ذلك أوقع في نفسها، وإذا ما انتهت مدّة الإعراض عنها، ففاجِئْها بالحديث معها دون مقدمات ـ توبة أو أعذار ـ، لأنّ الحياة معها طويلة، ولسْنا بحاجة إلى وسَطاء.

وستعاملُك بالمِثْل وتدوم الحياة دون مَحَطّات كبيرةٍ من الصلح والقضاء. وتَذكّر أنَّ الهجران في الشرع لا يجوز أكثر من ثلاثة أيّام. «والتسامح من شيم الكرام».

١٧. لا تَتَسرَّعْ في أخذ قرارٍ حاسمٍ في العطاء والحرمان، فأغلَبُ هذه القرارات الزوجية يَحْدث التراجع عنها، إمّا بالنفس أو بالوساطة. فَنظْرَتُك إلى الأمام ينبغي أن تكون محسوبةً وثاقِبة، وإنْ عَظُمَ عليك الأمر فاتّخذ القرار مُعلّقاً غير منجز «لتحفظ خطّ الرجعة»، والرُّجوع هنا فضيلة وليس بنَقيصة (وخَيْركم الذي يَبْدأ صاحبه بالسّلام).

١٨. إذا رغِبْتَ من زوجتك شيئاً، كأن لا تختلطَ بالرجال الأجانب، فتَذكّر أنَّ لسانَ حالِها يقول لك: عامِل الآخرينْ بما تُحبّ أن يعاملوك. فهي أيضاً لا تحِبُّ منك الاختلاط بالنساء الأجانب، لأنّ مشاعر الناس سواء والحِرْص على بناء الزواج واجبُ الجميع.

وَلدي

١٩. عامل زوجتك بما تحبُّ أن تعاملك به، من الأنْس والملاطفة، وتقدير رأيك، ولا تأخذْك الرجولة إلى الخروج عن ذلك وتذكّر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الرجل القوي الشديد: «ينبغي للرجل أنْ يكونَ في أهله كالصبيّ - في الأنس واليسر - فإذا كانَ في القوم، كانَ رجلاً».

٢٠. إنّ المقياس الصحيح لك لتحديد المساواة في الأعمال يعود إلى ضرورة هذا العمل للأسرة أم لا؟ فمسؤولية زوجتك في المنزل ضرورة لابدّ منها، ومسؤوليتك خارج المنزل ضرورة لابدَّ منها، فأنتَ وإيّاها على قدم المساواة في هذا. فعليك أن تعي ذلك حتى تعدلَ وبالعدل تستقيم الحياة الزوجية. ﴿وَلَهُنَّ مثْل الّذي عَلَيْهِنّ﴾.

وَلدي

٢١. إيَّاك أنْ تظنّ أنّك أرفعُ منزلةً وأجلّ قيمة مِنها لمجرّد الذكورة والأنوثة، بحجّة أنّ الرجال قوّامون على النساء، وأنّ للرجال عليهِنّ

درجة، فالدّرجة هي درجة مسؤوليّة لا دَرَجَةُ تفاضل وامتياز لمجرد الرجولة، لأنّ الأصل في الخَلْق سواء، «فالرجل مِن المرأة والمرأة من الرجل» وكلاهما في العيش سواء.

﴿اسْكُنْ أنْت وزوجُك الجنّة وكُلاّ مِنْها رغداً حيث شِئْتما﴾ فالسّكن سواء، والعيش الرغد سواء، والتفاضل بسبب التقوى، لا بسبب الجنس. فَافْهم ذلك جيداً يا ولدي.

٢٢. لا تُسْرِف في نظرتك نحو زوجتك فتقول: ـ خُلِقَتْ المرأة للبيت، وخُلِقَ الرّجل لخارج المنزل ـ ففي هذا تجاهل لمشاعرها الاجتماعية، وكَبْتٌ لعواطفها الإنسانية، وتُفَسِّرُهَا لك بأنّها أنانِيّة فَهَيِءْ لها فُرَصَ الحياة مع الآخرين بمشورتك ومعرفتك. وشاوِرْها في بعض أمورك فَتُنمِي بذلك عواطفَها، وتقوّي لها شَخْصِيَّتها، وتُوسعْ مَدَاركها. فكل هذا ينعكس على جوّ الحياة الزوجية بالسعادة والازدهار. فالنّساء شقائق الرجال في شؤون الحياة.

٢٣. لا تأنَف أن تساعد زوجتَك حتّى في الأعمال المنزلية، المختصة بزوجتك، ولو لم تكنْ ضرورة لذلك، ولا تظنّ بأنّ هذا يُنْقِص من قَدرك، ويَغُضّ مِن رجولتك فإنّ ذلك من أفكار الجاهلية، وتذكَّرْ ما وصفت السيّدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ «ويَخْدم في مهنة أهله، ويَقْطَع لهنّ اللّحم، ويُقِمُّ البيت ـ يَكْنسه ـ ويُعِيْن الخادم في خدمته» ـ رواه الطبراني. ورسول الله قدوة للناس جميعاً.

٢٤. إنّك تريد مِن زوجتك أن تحسن التصرّف معك في شؤونك، وتقدِّرك قدْرك لتَرضيكَ، وتَصونَ كرامتكَ، فحاول إذاً بالتدريج أنْ تأخذ بيدها «لمعرفة التعاليم الدينية» والثقافة العامة. وكما تهتم بنفسك في هذا، فكّر أن تهتمّ بها كذلك، فإنّ العلمَ يُوَسِّع المَدارك، ويساعدُ على تَفَهّم الأمور لحلّ المشاكل، ثم هُو ميزانٌ للفضائل. فإنّ العلم ما كان في شيء إلا زانَه وجَمَّلَه وكان فيه الخير الكثير.

٢٥. جَنِّب زوجَتَك مواطنَ الرّيبة وأسباب الفساد مهما كانت الأسباب وإنْ جاء عنها خبرٌ بسوء فتذكّر قول الله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنوا...﴾ فهي «مَوْطن عزّك وشَرفك» ولا تكنْ سبباً في إظهار معايبها للآخرين، وإحراجها بذلك.

فاعْلم أنّ تقواها لله مِنْ مَصْلحتك، وأنتَ المسؤول عن ضَياعها عِند الله.

٢٦. إحذَرْ التعصّب لغير الحق في طريق التّفاهم معها، بدافع الرّجولة. فهي إنسانة أمانة بين يديك، وتلطّف في الاعتذار منها إذا عجزت عن أداء حقها.

٢٧. إيّاك والنّدم، فما طلَّق أحدٌ إلا ندم، ولتكُنْ من أمثال الكثيرين الذين عاشوا سنين، وحَلّوا مشاكلهم دون استعمال لفظ الطلاق.

إيّاك والطّلاق، فإنّ آثارَه على المدى البعيد وخيمةٌ وإن صَمَّمْتَ على الفراق لأمر لا يُحْتَمل، فَحاوِل ثم حاوِل أن يتمّ على وفاق ﴿وإنْ يتفرقَا يُغْنِ ا لله كُلاً مِن سَعَتِه﴾.

٢٨. لاتفرّط بها فإنّها أمانَة.

- لاتسء الظنّ بها فإنّ لها كرامة.
- لاتُنْقِصْها قدْرها فإنّها من قَدْرِك.
- لاتُسوّف في حقّها فيدل على اهتمامك بها.
- لا تعامِلْها بنظرة دُونِيّة «بسبب الجنس أو غيره» فإنّ في ذلك نقصاً من قدرك «فالنساء شقائق الرجال».
- لاتَتَحكّم بها. واسْمَع لملاحظاتها وتقبّل نصائحها، لتشجّعها على تقبّل نَصَائحك وما أكثرها عندك.
- اذْكُر قول الحسن بن عليّ رضي ا لله عنه «لاتُزوّج ابنتَك إلا لتقيّ إنْ أحبّها أكرمها، وإن كَرِهَهَا لم يظلمها».

ولدي

٢٩. إنها نصائح لك ولزَوجتك، من قَلب صادق ومخلص، بدافع الأبوّة والوَفاء، فالزَمها فإنّها مِقود جيد لك لِكُلِّ توجُه إلى الخير. وتَفاءَل دائماً بقول ا لله تعالى: ﴿فإنّ مع العُسر يُسراً﴾ فأنْتَ وزوجتك وأولادك على طريق طويلٍ وطويلٍ، فالرفق مرغوب، والعلاج بالحكمة مطلوب، والصبر مندوب.

وأخيراً ياولدي :

٣٠. بُورِك لك بزَوجتك ـ وهنيئاً لَك بحياتك وأولادك.

- وكنْ بارّاً لوالديك حتى بَعْد زواجك وبُعدك.

- وَكُنْ حسنةً في صفحة والديك واذكرهما برحمةٍ ودعاءٍ على الدوام أنت وزوجتك وأولادك ...ا.هـ.

- أسأل ا لله أن يديم نفع هذه الوصايا للعروسين الكريمين.

الباحث
عن الزواج الناجح
والأسرة السعيدة

((إنّ خيرَ ما يكنز الرّجل المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرّته، وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضها))

«حديث شريف»

العنصر الثاني:

الأسس الهامة لاختيار الزوج بمعيار إسلامي واجتماعي:

- مَفهومُ الوقاية في نِظام الزواج.
- الأسُس الهامة للإختيار.
- المقياس الصحيحُ للإختيار.
- ما يجب في المخطوبة مْن مميِّزات.
- ما يجب في الخاطب من مميزات.

مفهومُ الوقايَة في بِنَاءِ الزّواج

إن المراد بالوقاية من الأمراض البدنية هي الإجراءات المسبقة لِدَرْء أيّ خطر يهدّد الجسم في المستقبل مثل التطعيم. أمّا في معادلات «بيت الزوجية، وكيان الأسرة» فَهُو التطعيم ضِدّ احتمال مشاكل تطرأ على بناء الزواج، منذ أن يُفَكِّر الشاب في بداية الزواج «كخاطب» «وسنتكلم عن هذا التطعيم وكيف يكون» وحين يُخْفِق مُنذ البداية في هذا التطعيم ـ يَضطَّر إلى العلاج ولكِنْ ـ قد لا يؤثرّ هذا العلاج في حينه وتقع الكارثة، وتَنْفصمُ عرى الزوجيّة، ويسقُط البناء (وذلك بما كَسْبت أيدينا وعلى حساب مستقبل الأسرة، والمجتمع والأمّة). لذلك كان هذا البحث ضرورياً وهامّاً لكل من يريد الإقبال على الزواج لسلامة البناء.

ولاشك أنَّ ما شرّعه الإسلام وقايةً هو الطريق الأمْثل والوسط، الذي يوافق طبائع الأشياء للفطْرة السليمة، والخلقُ الكريم «طريقُ من حكيم، عليم، خبير» **﴿ألاَ يَعْلم مَن خَلق وهو اللطيف الخبير﴾**..

فما هي سُبُل هذا التطعيم؟ وما هي سُبُل هذه الوقاية؟.

المقياس الصحيح للاختيار

لابدّ للوصول إلى أسس هذا الاختيار على الوجه الصحيح والدّقيق، من الإمساك بالمقياس الصحيح والحكيم لهذا الإختيار ألاْ وهُو:

«تحكيم الدين والعقل في هذا الاختيار». فلا يَدَعْ للهوى، والتقليد الأعمى، أثراً في هذا الاختيار حتى لا يكون مُتَحَّمساً فقط، لمجرد المظاهر الزائلة، لأنّها لا تُعبِّر عن حقيقة الذّات وجوهرها، وهو المراد بتحكيم العقل.

وإذا ما تعرّضت هذه المظاهر للزّوال، أو الضَعف، أو التغيير، حَدثَ النّزاع، وتَوسّع الخلاف، وتزاحَمَت المصالح الشخصيّة، وحينها يَفقِد بيتُ الزوجية الاستقرارَ، وتتبدّل السعادةُ إلى شَقاء. فالمظاهر بأشكالها المختلفة لا تُعْتبر مِنْ وجهة نظر التشريع الإسلاميِّ مقْصداً أساسِيّاً، ومقياساً صحيحاً، لاختيار شريكة الحياة، ولا تبعث هذه المظاهر على الثّقة، والتوادّ والتوازن والمعاشرة الحسنة...

واستبعد الرسول عليه الصلاة السلام أن تكون هذه المظاهر مقياساً، حينما أخبر ما كان عليه الناس في الجاهلية وصدر الإسلام فقال: (تُنكح المرأةُ لأربع لمالها، ولَحسَبها، ولجمالها، ولدينها، فاظَفْر بذات الدّين، تَربَتْ يداك) «رواه البخاري».

وهذا إخبارٌ منه وليس إنشاءً أَو أمراً، إنما الأمر جاءَ بقوله: (فاظْفَر بذات الدّين) وقد أشار بذلك إلى الميزة الأولى في الاختيار.

وكلّنا يَشْهَد أنّ كثْرة المشاكل اليومية التي تؤدي إلى انتكاس الحياة الزوجية وقَلْبها إلى جحيم، هو الأخْذ بمقياس: «المادة والدنيا، والعادة، والبيئة، فقط...» والسعيد من وُعِظ بغيره.

فالمقياس الصحيح هو تحكيم الدين والعقل، وقد وجه الرسول محمد ﷺ توجيهاً في حسن هذا الاختيار ليساعد العقل، وليضيء أمامَه الطريق في الاختيار

إلى ما ينبغي أن تكـون عليـه شـركةُ الحيـاة ونجملـه بميزات ثـلاث لأن العقـل وَحْده قاصرٌ عن إدراك حقيقة الأمور،وإنْ أصاب مرة فيخطئ مـراراً، فـلا بـدّ له من التعاليم الدينية كنورٍ له وهداية لطريقه.

ما يَجبُ في المخطوبَة من مميّزات تنعكس على بَيْت المستقبل بالسعادة

الميّزة الأولى:

أنْ تكونَ على عقيـدة صحيحـة: مـن الإيمـان بـا لله، وعقيـدة الإسـلام، والتدّين الصادق. لأنّها أصل السجايا الحميدة، والكمـالات النَفْسِيّة، وبسـببه تتولّد الثقَة بينَ الزوجين المؤمنين، ويَحْسنُ التفاهم والتَوادّ، وبه تتحقق العُشْـرة الزوجية، القائمة على المعاشرة بالمعروف، والوَفاء، والإيثار، والتَضحية، وهـذه الأخلاق العالية هي قِوامُ الزواج المثالي. والتوجيه النبوي ـ فاظْفَر بذات الديـن ـ فيه إشارة إلى اللقاء على عقيدة واحدة، ذات أهداف، وغايات موحَّدة مُتَفق عليها من الطرفين فإنّ لها الأثر الكبير على حُسْن التفاهم، والتعايش، والسعادة الزوجية، وهذا لا يتـمّ إلا أن تكـون الزوجـة علـى معرفـة بـأمور دينهـا، وأن تكـونَ علـى درايـة بالثقافـة الإسـلامية في شـؤون تسـيير أسْـرتها، وواجبـات زوجها، وكذلك الزوج يكون علـى ذلـك وأن يكونـا علـى خـط واحـد. في الفكر والعقيدة الإسلامية.

الميّزة الثانية:

أنْ تكون ذات خلّق ومَعْشر حسن.

ـ إنها صفاتٌ جوهرية، وأساسيّة، في حُسْن إعداد الفتاة لبيت الزوجية، وهي الترجمة الصادقة والعملية لمفهوم التدين والإسلام «التدين الواعي والمنفتح». أعني التدين المعتدل الذي لا إفراط فيه، يُرهِق النفس والجسم، ولا تفريط يجعله شكلاً بلا روح. وقد أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هذه الميزة بقوله: (ذات خلق ودين) وألزمه بها بقوله فاظفر ثم لم يكتفِ أن يقول ذات دين، بل قال: خُلق ودين، وكذلك في الخاطب (مَن ترضون دينه وخلقه). والمراد من النص الناصّ على الخُلُق في الزوجين هو السلوك العملي الصحيح، لمفهوم الأخلاق في الدين، ومصداقه في حسن العشرة، والتعامل الحسن، وطيب الأصل..

ويمكن التعرف على ذلك بالتحري عن سلوكها مع أهلها، ومع صديقاتها، ومع من يتعاملون معها.

فالتدين وحدَه لا يكفي بل لا بد من تطبيق الأخلاق التي أمر بها الدين، وفي مقدمتها في صدد الزواج: طهارة النفس، وطيب المعشر، ولين العريكة. وفي رأيي أن هذه الميّزة هي صِمام الأمان لعدم وقوع مشاكل زوجية، وهي سِرّ السعادة والهدوء في هذه الحياة المشتركة، لأن التعامل بانفصام العقيدة عن السلوك، وانفصام العبادة عن التعامل الأخلاقي عند كل من الخاطب والمخطوبة، أمر غير مُرَاد في الشرع، ومَرْفوض في جوهر الدين، فالاقتصار

على عقيدة، وإقامة الشعائر دونَ أن يُصدَّق ذلك بالعمل، والجوارح بكل شؤون الحياة، أمر بعيدٌ عن روح التشريع الإسلامي كلّ البعد.

الميّزة الثالثة:

وهي أساس أيضاً في هذا الاختيار ولكنها دون الدرجة الأولى والثانية. ولا يجوز الاقتصار عليها ألا وهي توفّر «المال، والجاه، والجمال، والحَسب والنّسب» وهي أمور تكميلية في جوهر عملية الزواج، والخطورة تكمن في التحري عنها فقط وإغفال التحري عن «الخلق والدين».

والإسلام ندب إليها صراحة وضمناً.. فقد أجاز الإسلام النظر إلى المخطوبة، اهتماماً منه بقضية الحُسْن والجمال، وندب إلى رؤية كفّي المخطوبة لمعرفة جمال بدنها وصحة قوامها.

وقال الرسول ﷺ أيضاً وهو يصف المرأة الصالحة ذاتَ الدين: (إن نظر إليها سَرَّتْهُ) «رواه ابن ماجه»، وعلّل ذلك في حديث آخر: (فإنه أحرى أن يُؤْدَم بينكما). فالجمالُ وحسنُ المنظر يساعد على دوام المعيشة وبَهْجَتها، وحُسن الودّ والعشرة، ... هذا عن الحُسْنِ والجمال، أمّا عن المال والحالة الاجتماعية، فقد ندب إلى مراعاتها الفقهاءُ حينما اشترطوا الكفاءة بين الزوجين، فيكون كل منهما كفؤاً للآخر، والكفاءة من لوازمها، الوضع الاجتماعي، والمال لكل من الأسرتين، وهذا ما يساعد على «استمرار المعيشة، وقلّة المشاكل الزوجية، وتماسك بناء الزواج». وأخيراً ما أرْوع أن يكون كلّ هذا رديفاً لصاحبة الدين، والخلق والمعشر اللطيف.

أمّا إذا أخذنا هذه الميزة «الثالثة» وَحْدها واتجَهْنا إليها، وأغمَضْنا الطَرْف عن أهميَّة الميزة الاولى والثانية نكونُ قد ساهَمنا في إسقاط هَذا البناء بَعْد فترة قليلة مِن الزمن، وقد أحدثنا خَلَلاً في أساس المقياس الصحيح للاختيار في الزواج وكأننا نقف على رِجْلٍ واحدة، ومَنْ فَعَل ذلك سقط ووَقَع.

إذاً فالمِقياس في الاختيار في نظر التشريع الإسلامي، هو في الدرجة الأولى: الدين والخلق، وحسن العشرة، والسمعة الحسنة.

أما ما عداها من توفر مال، أو جمال شديد، أو جاه عريض، فيسقط حين التعارض والتفاضل.

فالفقر مثلاً ليس سبباً في عدم تزويج الرجل أو الفتاة، بل إنّ أولياء الأمور طُلِبَ منهم أن يزوجوا بناتهم للرجل الصالح، دون النظر إلى غناه، أو فقره، بل عليهم أن يُفَضّلوا الفقير الصالح، على الغني الطالح.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿**إنْ يكونوا فقراء يُغنهم الله من فضله والله واسع عليم**﴾ النور /٣٢/.

والله وعَد أن يتولّى غِناه وغِنى زوجته، فميزان الإسلام في كل الأمور «النظرُ إلى الجوهر والقلوب والأعمال وإعطاؤها درجَة الاختيار والامتياز».

ولعلَّ هذه القصة، هي الحد الفاصل في ذلك.

روى سهلُ بن سعد رضي الله عنه قال: مَرّ النبي ﷺ برجل فقال ﷺ: (ما تقولون في هذا؟ قالوا: حَرِيّ إنْ خطب أن يُنكح، وإن شَفَعَ أن يُشَفّع، وإن قال أن يُسمع، ثم سَكت النبي ﷺ فمرّ به رجلٌ من فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حريٌّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شَفع أن لا

يُشَفّع، وإن قال أن لا يُسمع. فقال النبي ﷺ: هـذا خيرُ مـن ملء الأرض مـن مثل هذا). «رواه البخاري»

فهل بعد هذا القول رأي «لمجتمع أو بيئة أو هوى» يُرجع إليها في بناء يبنيه الإنسان ـ لحياته الزوجية وإن الغاية من توفر هـذه المميزات ـ أن تكون الزوجة:

١. مصدَر سرور ومرح، ومبعث هذا السرور هو بمدى ثقة الزوجة بزوجها وصدقها في حبها لزوجها وحب زوجها لها.
٢. أن تكون مطيعة لزوجها ـ وهذا مِنْ أسرار نجاح الحياة الزوجية ـ وهذا ليس معناه أبداً استبداد الزوج بزوجته. بل على الزوج أن يذكر أنه مسؤول أمامها عن حقوقها الماليّة والأدبية. ولأن الزوجة لو تمردت لفقدت العنصر الجاذب للرجل نحوها ـ فالرجل يحب الأنوثة والجمال المتواضع، والمرأة تحب الرجولة الحانية والآمرة ـ ولكنّها طاعة في معروف.
٣. أن تكون أمينة على ماله وعرضها.
٤. أن تكون نظيفة ومتجددة في زينتها وحديثها وسجاياها.

ما يجب في الخاطب مِن مُميّزات لها أثرٌ فعّال في دوام المعيشة

حَثّ الإسلام آباء الفتيات على اختيار الشباب والأزواج (ذوي الدين، والخلق الحميد) وأمرهم الرسول ﷺ بتزويج ذي الخلق والدين، وحذرهم من ضرر إيثار غيره عليه، رغبةً في المظاهر بأشكالها المختلفة.

وتكاد تكون الميزات الثلاث التي عليها «المخطوبة» متوفرة في الخاطب أيضاً، وهذه هي القسمة العقلية لأيّة شركة تعاونية. فالتساوي في رأس المال مطلوبٌ شرعاً، ليسهل توزيع الحق والحصص لكل من الطرفين. ويجمل هذا قول رسول الله ﷺ: (إنْ جاءكم مَنْ ترضَون دِينه وخُلُقَه، فزوِّجوه، إلاّ تَفْعلوا تكُنْ فِتَنةٌ في الأرض، وفساد كبير) «رواه البخاري».

وأُلْفِتُ النظر ثانية إلى قول الرسول ﷺ (وخُلُقَه) و لم يقتصر على (دينه) فعلى وليّ الفتاة أن يبحث ويتحرّى عن حسن مَعشر هذا الخاطب، مع أهله، وأصدقائه، ووَعْيه ما أمكن لمعرفة أمور الحياة، ومدى قوّة شخصيّته، وثقافته، لتحمّله المسؤولية الخاصة والعامة، عن زوجته، وأولاده.

فالدّين فيه جميل، والتدين الواعي أجمل. والخلق فيه فاضل، وحسن عشرته ومعشره مع أهله، ووالديه، ورفقائه أفضل.

الميزة الرابعة

مدى كفاءته المادية:

فعلى وليّ الفتاة أن يتعرّف على أمور كَسْبه ورِزْقه في حُدود الواجبات الشرعية الماديّة تجاه مسؤوليّته نحو زوجته وأولاده، فالنفقة على الزوجة والأولاد واجبةٌ شرعاً، فلابدّ له من عَمَل أو مورد يُغطّي ذلك في إطارٍ من التقدير الشرعي المبني على الضرورة والعُرْف الشرعي للمجتمع المسلم.

الميزة الخامسة

مدى أهليته للعمل:

ولما كانَ الـزواج مسؤولية تستوجب أهليـة الـزوج للعمـل وقدْرتـه عليـه. وجبَ على ولي الفتاة البحث عن مدى إمكانيّته للعمل، ورغبته فيـه، وهـل يحب عمَله، أو يميل إلى الكسل والدعة، إذا سنحت له الظروف، ويرضى باليسير الـذي يؤدي به وبزوجته وأولاده أن يعيشوا عالة على الآخرين.

كل هذه المزايا في رأي الشـرع واردة لأن الرسـول ﷺ علّـل قولَـه حـين سمح له بالنظر إلى المخطوبة وبالتالي نظرها إليه (لِيُؤْدَمَ بينكما) فكل ما يسـاعد على استمرار الزواج، وحسـن المعيشـة، وتربيـة الأولاد يجـب أن يؤخـذ بعـين الاعتبار في التحـري عنـه والـتريث قبـل أخـذ القـرار، فـالخروج مـن المعركـة، أصعب بكثير من الدخول فيها. فالتعليل من الرسول ﷺ بذلـك يـدل بوضـوح على الاهتمام بدراسة أمر الخاطب والمخطوبة ـ اهتماماً جوهريـاً ومدروسـاً ـ مأخوذاً بعين الاعتبار الميزات الخمس التي ذكرناها. وما ضـلّ، ومـا خسـر ولا ندم من تقيد بالشرع، و لم يحدْ عنه.

وما أنزل ا لله هذا الشـرع العظيـم، إلا لمصلحـة الإنسـان والإنسـانية في عيشها بما يصلح دينها ودنياها.

وإن كـل متدبـر ومنصـف، لـيرى هـذه الحقيقـة في هـذا الشـرع في أي مضمار من طرق الحياة البشرية جمعاء. وما تنكب عن هذا إلا مغرضٌ، معاند، وهو بذلـك عـالم: ﴿**وجَحَـدوا بهـا واسْـتَيْقَنَتْها أنفُسـهم ظلمـاً وعُلـوّا...**﴾ النمل /١٤/.

وَلْتُؤتي هذه المـيّزات ثمارهـا ـ فتنعكـس علـى الحيـاة الزوجيـة وتتحـول سلوكاً عمليّاً ـ ينبغي أن يكون الزوج على الشمائل الآتية كما تريده الشـريعة له:

١. أن يكون رحيماً بزوجته، صابراً على بعض عوجها، رفيقـاً بهـا، حانيـاً عليها. في الحديث (لا يفرِك ـ لا يُبغض ـ مؤمن مؤمنة ـ الزوج والزوجة ـ إن كره منها خلقاً رضي منها آخر) ـ أخرجه مسلم ــ. وبهـذا الخلـق معها يُمثّل الأب والأخ والزوج وهذه أمنية الزوجة أن تشعر من زوجها بذلك.

٢. أن لا يُذيع ما بنيه وبين زوجته من أسرار اللّقاء أمـام النـاس. وقـد نهـى رسول ا لله ﷺ عن ذلك فقال: (إنّ مِـن أشـرّ النـاس منزلـةً يـوم القيامـة الرجُل يُفْضـي إلى امرأتـه ثـم تُفضـي إليـه ثـم ينشـر سِرّها). «أخرجـه مسلم».

وخطورة إفشاء أسرار الزوجيـة لا حـدود لهـا وهـي تقضـي علـى فكرة اللباس والستر: ﴿**هن لباس لكم وأنتم لباس لهـن**﴾. فـإذا ذاعـت الأسرار الزوجية فقد انعدم الستر واللباس وهما من أهداف الزواج.

٣. أن يستمسك الرجل بمقوِّمات رجولته الشـكليّة والذاتيّـة، فـلا يتشـبه في ملابسه وفي تصفيف شعره كما هو معروف بين الشباب اليوم بالنسـاء، وكذلك هي لا تتشبه بالرجال. لأن هذا مناف للفطرة التي أرادهـا ا لله، ومناقضٌ للاستقرار والسعادة في الحياة الزوجية. فالفطرة التي أرادها ا لله هي: تفريغ عاطفي وجنسـيّ تسـتمتع بـه الأنثـى مـن شـخصيّة الرجـل،

ويستمتع به الرجل من شخصية الأنثى، فإذا ذابت الفوارق بقي هذا الفراغ في داخل الرجل والمرأة دون أيّ شيء يملؤه.

٤. أن يكون نظيفاً جميل المظهر. وكان عبد الله بن مسعود يفعل ذلك ويقول: «أفلا تحبّه من امرأتك».. بهذه الأخلاق يتحقق ما ينشده الإسلام من بيت الزوجية المسلم.

(إذا ألقى الله في قَلْب امرئ خُطبةَ امرأةٍ فلا بأس أن ينظر إليها)

«رواه أحمد وابن ماجه»

العنصر الثالث:

مراحل هامة على طريق الوقاية:

- الخطوبة هدفها وآداب التعارف خلالها.
- رضا المخطوبة عامل هام في استقرار الزواج.
- لماذا كان لوليّ الفتاة رأيّ في عقد الزواج.
- طرقُ التعرف على أحوال الخاطب والمخطوبة.

الخطوبَة: هدَفُها ـ وآدابُ التعارف خلالها

أجاز الإسلام النظر إلى المخطوبة وكذلك نظرها إلى الخاطب حتى لا يُفاجأ كل منهما بالزواج من إنسان لم يكن بينه وبينها تعارف في هذا العقد الخطير. وذلك ضرورة لدعم كيان الأسرة واستمرارها.

وكان للنظر حدودٌ في تعاليم الشرع وهي: وَجْه المخطوبة، ويديها، وقَدَمَيْها فقط، والاستماع إلى حديثها وذلك في مَرات، وقيل أنْ لا يزيد اللقاء على ثلاث.

والسّند الشرعي في ذلك ما صحّ أن المُغيرة بن شُعبة خطَب امرأة، فقال له النبي ﷺ: (أنظرتَ إليها؟ قال: لا، قال: اذْهَب فانظُر إليها، فإنه أحرى أن يُؤْدَم بينكما) ـ رواه البخاري ـ، أي ليحصل بينكما الموافقة والملاءمة التي تديم العلاقة الزوجية. وما عليه الناس اليوم من تكرار النظر والجلسات بعد أن ألبسها الخاتم واعتمد عليها ـ فغير جائز شرعاً ـ لأن الغاية من النظر إليها قد انتهت بالموافقة إلى أن يتم العقد عليها أصولاً.

ولا يفوتنا أن ننوّه بأن حَجْب المخطوبة عن خاطبها، وعدم إتاحة الفرصة له لمشاهدتها، وللحديث معها، تَذَرُّعاً باسم التدين، أو تقليداً لبعض الأسر، ليس من آداب الإسلام في شيء وهو من باب الإفراط والمغالاة في الدين، والتدين، قال الله تعالى: ﴿**لا تَغْلو في دينكم**﴾ النساء /١٧١/.

وكذلك ينكر الإسلام على الذين يجاوزون حدود آداب الشرع في فترة الخطوبة، فيتركون الحبل على الغارب، ويبيحون لهما الحرية المطلقة في اللقاء،

والخلوة، والاجتماع في المنتزهات، والرحلات، والأسفار. فهذا إسراف وتفريط لا تؤمن مغبَّتُه، ولا تؤمن سوء عاقبته، وهو محظور شرعاً.

ولنعلم أن القيم التشريعية في الإسلام، تقوم على الوسطية والاعتدال. والادعاء بأن الهدف لا يتحقق إلا بذلك، عدوان على الواقع والحقيقة، وتجرّؤ على الدين وخلل في أصل العلاقات الأسرية المسلمة، تظهر آثارها في المستقبل، وكم فسخ عقد وفسخت خطوبة بسبب هذا الإسراف في العلاقات والتعرّف على المخطوبة والخاطب بهذا الأسلوب.

رِضا المخطوبة عاملٌ هامٌ في استقرار الزواج

في الوقت الذي أُسنِدت الولاية للآباء، حذّر الإسلام الآباء والأولياء من إجبار البنت البكر البالغة العاقلة وبالأحرى الثيّب، على الزواج مِمَّن لا تريد، فلابد من إبداء رغبتها، والتعرف على رضاها، والإعراب عن ذلك.

ـ أمّا التَعنّت والتحكّم من طرف الولي أمرٌ لا يتفق مع تعاليم الدين، لما يجرُّ من مآسٍ وفواجع. يؤيد هذا قول الرسول ﷺ: (لا تُزوَّج الأيّم ـ الثيب ـ حتى تُستَأْمَر ـ تُستشار ويؤخذ رأيها ـ، ولا البكر حتى تُستَأذن، قالوا: يا رسول الله كيف إذْنها؟ قال: أنْ تسكُتْ). «رواه أبو داود».

واكتفى المشرّع من البكر ـ بالسكوت ـ تقديراً لحيائها ولأنها في العادة إذا نفرت من الخاطب لا تستحي أن تعبّر عن ذلك صراحة.

لماذا كان لوليّ الفتاة رأيٌ في عقد الزّواج

سبق أنْ حذّرنا الوليّ من الاستبداد والتحكّم في تزويج بناته، ولكنْ في الوقت نفسه لا يَسْمَح المشرِّع للبنت، أن تستبدّ برأيها دون أن تعْرضَ الأمر على أبيها أو وليّ أمرها، وتتعرّف على رأيهم، فلربّما استبدّت برأيها، فأدخلت زوجاً ليس من مستوى الأسرة خلقاً ومجتمعاً، كأن تختاره ساقط المروءة، مستهتراً بآداب المجتمع. وفي هذه الحالة أباح الإسلام للولي حقَ الاعتراض على عقد الزواج، لأنَّ كفاءة الزوج من حق الأسرة أيضاً، لكي تصون سمعتها.

- فالأسرة السليمة تَسْعدُ بسعادة بناتها، وتشقى بشقائها. ودرجة الكفاءة تعني التعادل والتساوي بين الزوجين والأسرتين، ثم في حال الزواج من غير كفء فلابدَّ من رضى سائر الأولياء - لأنه شرط عند بعض المذاهب لصحة العقد - يؤيد هذا قول الرسول ﷺ (وآمروا النساء في بناتهن) أي: استشيروا الأمهات في شؤون بناتهن. ولا ننسى أن تقدير المصلحة العامة للأسرة المسلمة، من مقاصد الإسلام، وتشريعاته الّذي يحرص على تطبيقها.

وفي الجملة: لا إكراه في الزواج، ولا تحكّم ولا تعنّت من قبل الولي أو الأم، ولا إساءة أيضاً في التصرف من قبل البنت وحدها، فتمسّ من كيان الأسرة، وتوغرَ الصدور. فالزواج في الإسلام، يقوم على الشورى، والتروّي والتعقّل، لا على الهوى الطائش، والنزوة العابرة، والمظاهر البراقة، والوعود الخياليّة. فعلى الفتيات قبل الفتيان أن تعي ذلك تماماً.

طُرُق التعرّف على أحوال الخاطِب والمخطوبَة

بعد أنْ تعرّفنا على «مقياس الاختيار» وعلى أنّه «الدين والعقل» هُما الميزان لحقائق الأشياء ومنها «اختيار شريكة الحياة» وذكرنا الأسس والميزات التي ينبغي أن تتوفّر في كل من الخاطب والمخطوبة، حماية للبناء في المستقبل من السقوط والانتكاس،. بقي سؤال يطرح نفسه: كيف نتعرف على هذه الميّزات، وما هو السبيل إلى ذلك؟

حقاً إنه سؤال في محلّه، وللإجابة عليه باختصار نقول إن ذلك من أولى مسؤولية الأولياء في تزويج أولادهم تجاه الله (وكل راع مسؤول عن رعيته).

الطريق الحقيقي: هي المعرفة الشخصية والدقيقة وليست المعرفة السطحية القائمة على الصدفة العابرة، أو الاخبار المتناثرة، ولابد من الاتصال المباشر بالأفراد والعائلات الذين هم على صلة مباشرة بالمعاشرة، والمعاملة مع «الخاطب والمخطوبة».

ـ وقد قلتُ لرجل في صدد النقاش حول الطريق الموصل إلى المعرفة، ليتنا نتريث ونبحث بدقّة عن خُلق «الخاطب والمخطوبة» كما نتحرّى عن «نجار موبيليا» ـ ماهر وخبير ـ ليعدّ لنا غرفة النوم لهذا الزواج.

وأذكر مرّة أن جماعة بذلوا جهداً من الوقت والعمل والثمن، ليتعرفوا على ـ قماش للكنبات ـ واختلفوا كثيراً في لونه وجودته وجنسه وفكروا في الإتيان به من خارج البلاد، فقلت لنفسي: ليت هذا الجهد يصرف في التعرف على الخاطب والمخطوبة كما يجب أن يكون، والقياس مع الفارق كبير.

ـ مذهب سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في طريق التعرف على الرجال «الخاطب والمخطوبة»:

إن سيدنا عمر بن الخطاب، قد وضع النقاط على الحروف وأخذ بيد المخطوبة والخاطب، لمعرفة وسائل الوقوع على الحقيقة، في معرفة الناس. وما أروع ذلك حينما جاءهُ رجل يشهد لرجل آخر. فقال له سيدنا عمر: أتعرف هذا الرجل؟

فأجاب : نعم.

قال : هل أنت جارُه الذي يعْرِفُ مداخلَه ومخارجه؟

فأجاب الرجل : لا.

قال عمر : هل صاحَبْتَه في السفر الذي تُعرف فيه مكارمُ الأخلاق؟

فأجاب الرجل : لا.

قال عمر : هل عامَلته بالدرهم والدينار الذي يُعرف به وَرَعُ الرجل؟

فأجاب الرجل : لا.

فصاح به عمر : لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلي في المسجد؟

فرد الرجل بالإيجاب.

فقال له عمر : اذهب فإنك لا تَعْرفه، والتفت إلى الرجل الأول وقال له: ائتني بِمَنْ يعرفك.

إنّ شأنَ الزواج بالنسبة للتعرف أهم بكثير من التعرف من أَجْل الأعمال الدنيويّة. وإنَّ الاستعجال في هذا الأمر، والتهاونَ فيه، والاكتفاء بالشهادات العابرة، أمر له عواقبه الخطيرة على الزواج، وهذا ما حذر منه الرسول ﷺ، التعجّل والتهاون والاستهتار في أمر من أهم أمور المسلمين وأقدس غاياته في الحياة «زواج صالح وذرية صالحة» فَطالَبَ بلا عجلة بالتحري عن الدين والخلق ـ والمعشر الحسن ـ والمنظر الحسن والكفء الصالح من خلال ما ذكرنا من أحاديث.

ـ وممّا يجب التنبيه إليه، أنه يجب على كل من سُئل في شأن أخلاق الخاطب والمخطوبة، أن يؤدي شهادته، بأمانة وصدق، ولا حرج في أن يذكر العيوبَ والنواقص. فقد استثنى الفقهاء هذا ، من حُرْمة الغيبة (وهي ذكرك أخاك بما يكره). ولكن بحدود الحاجة إلى ذلك.

أو أن يلتزم بالسكوت والإعراض، في حال الجهل بحالهما، وعدم معرفة حال كل منهما، وينصحه بأن يتابع في السؤال، ولا يخشى الناس في ذكر الحقيقة، ﴿**وتَخْشَى النّاس، فا لله أحَقّ أن تَخشاه**﴾ الأحزاب / ٣٧، وهذا يؤيد اتجاه المشرع للوصول إلى الحقيقة في التعرف على أحوال الخاطب والمخطوبة.

ورسول ا لله ﷺ «أورع الناس ديناً»، ومع هذا اُنظُر ماذا قال لفاطمة بنت قيس.

في الحديث: (إنّ فاطمة بنت قيْس أخبَرتْ رسول ا لله ﷺ، أنّ معاوية بن أبي سفيان، وأبا جَهْم، خَطَباها. فقال ﷺ: أمّا أبُو جَهم فلا يَضَع عَصاه عن

عاتِقِه ـ كِنايةً عن ضَرْب النساء، أو عن سفره الكثير ـ وأمّا معاوية، فَصُعْلوك لا مالَ له ـ فقير ومحتاج ـ أنْكِحي أسامة بن زَيد) «رواه مسلم».

ونَخلُصَ إلى نتيجة هامة هي أن طرائق الوقاية:

١. من النّصائح للعروسين.
٢. ومن مقاييس الاختيار.
٣. والأسس الهامة في الاختيار.
٤. وآداب الخطوبة.
٥. ورضا الوَليّ، والمخطوبة.

أمورٌ جديرة بالاهتمام والرعاية منذ البداية، مما يساعد بحق على استقرار الزواج، وتحقيق الغرض منه والغاية المنشودة منه، وإلاّ تعرّض هذا البناء لهَزّات وانتكاسات، وتحوّل إلى بؤرة وباء على الآباء والأبناء. ثم إنّ الأمور بقوابلها (بداياتها)، و«درهم وقاية خير من قنطار علاج».

وَليذْكُرْ كلٌّ مِنَ الخاطب والمخطوبة أن التحرّي عن المميّزات في الاختيار التي ذكرناها أمر هام جداً فلا نتعجَّل بذلك. ولا يجعلنا نحيدُ عنها أو عَنْ بَعْضها أمورٌ مادية، أو عواطف جانبيّة، أو تحت وطأة ظروف عائلية. لأن حسن الاختيار له أثر كبير على نشأة الأطفال وتربيتهم.

سألني بعضهم متى تبدأ تربية الأطفال؟ أجبْتُه قبل أن يُولَد الأطفال. قال وكيف يكونُ ذلك؟ أجبْتُه بحُسن اختيار كلّ من الخاطب والمخطوبة. ذلك لأن العِرْق دَسّاس. ورد في الأثر (تخيروا لنطفكم فإنّ العرْق دَسّاس).

العنصر الرابع:

تصحيح مفاهيم خاطئة

١- القِوَامَة: الرجال قوّامون على النساء [النساء: ٣٣]

٢- الدَّرجة: وللرجال عليهنّ درجة [البقرة:٢٢٤]

٣- الضرب: واضربوهن [النساء: ٣٣]

أولاً : تصحيح مفهوم «القوامة والدرجة»

قال ا لله تعالى:

﴿الرجال قوّامون على النّساء بما فَضَّل اللهُ بعضهـم على بعض وبما أنفقوا من أموالهـم﴾

النساء /٣٣/

إن تحرير مفهوم قوامة الرجل على المرأة على مراد المشـرّع يسـاعد تمامـاً على حسن التصرف مع الزوجة، وعلى قلة الصدام وسوء التفـاهم. لأن نظـرة الأنا والأنانية، الـتي تسـوق إلى فكـرة الشـعور بـالفضل علـى الآخريـن جنسـاً ونوعاً، هذه الفكرة وحدها تبعـث علـى الشـحناء والخصومـات، ليسـت بـين الرجل والزوجة بل بين الرجل والرجل، ومنها ينطلـق الإنسـان إلى الإعجـاب بنفسه ورأيه فقط، ويطرح رأي الآخريـن وتفكـيرهم، فيقـع الخـلاف وتعظـم المشكلة ويهتز بناء الزواج، وقد ذم رسول ا لله ﷺ ذلك بقوله: (وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه).

إذاً فقوامة الرجل على المرأة في الآية لا تقتضي تفضيله عليها في الدين أو في الدنيا فا لله سبحانه يقول: ﴿**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**﴾ آل عمران /١٩٥/.

ولكن هذه القوامة، قاعدة تنظيمية تسـتلزمها هندسـة المجتمـع واسـتقرار الأوضاع في الحياة الدنيا، ولا تسلم الحياة في مجموعها إلا بالتزامها فهي تشـبه

قوامة الرؤساء وأولي الأمر، ولكن لا يستلزم هذا أن يكون الرؤساء أفضل من المرؤوسين والمحكومين على النحو الذي ذكرنا، وهي ضرورة في المجتمع الإسلامي وتأثم المسلمة والمسلم بالخروج عليها مهما يكن من فضلها على ولي الأمر في العلم والدين.

ـ وإن ذِكْرَ سَبَبٍ من أسباب التفضيل في الآية ـ وهو وجوب النفقة على الزواج ـ لدليل على أن المراد بالقوامة ـ التَّبِعَة والمسؤولية ـ. فإذا عجز عنها أو امتنع منها فقد الطاعة وبالتالي فقد القوامة.. إذاً ليست القوامة قوامة ذاتية لمجرد أنه زوج أو رجل، بل قوامة عارضة، تنفك عنه إذا هو قصر بواجباته نحوها، أو انسلخ من أداء واجباته نحوها ومن حسن القوامة عليها.

ـ والقوامة على هذا المعنى الذي ذكرناه مدعاة لاستقرار الحياة الزوجية، وعدم اختلال الأسرة. وفي كل الأحوال فتفسير القوامة لا يعني «الاستبداد والتحكم»، جاء في تفسير الخازن «ولاية الرجال على النساء، ولاية تدبير وإرشاد، لا ولاية تحكم واستبداد...»، ثم إن هذا التفضيل الذي يفهمه البعض من القوامة من حيث الجنس خطأ، وإلا فلرُبَّ امرأة أفضل عند الله من ألف رجل: ﴿**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ الحجرات /١٣/.

والآية من حيث الجملة أشارت إلى القوامة في العلاقات الزوجية مقيدة بأوامر الشريعة العامة. فهي إذاً نسبيّة ولأسباب خارجية ومخصوصة في العلاقات الزوجية والأسرية، أما خارجها ـ في الدوائر والمعامل والمدارس وغيرها ـ فقد تكون القوامة للمرأة حتى على زوجها في مدرستها. وسنبحث هذا مطولاً وندلل عليه في كتاب آخر سيصدر إن شاء الله تعالى.

ثانياً: تصحيح مفهوم الدرجة

قال الله تعالى:

﴿ وللرجال عليهنّ درجة ﴾

البقرة /٢٢٤/

إنّما أفردنا بالذكر، البحث عن مفهوم الدرجة الواردة في الآية، ومراد المشرع منها.. لنصحح بعض المفاهيم الخاطئة، والدافعة بالتالي، إلى نظرة فوقية من الرجل تبعث على الشقاق أحياناً والخلافات ولا تدفع إلى التحمّل وحسن العشرة بين الأزواج.

لقد تعددت وجهات النظر لدى العلماء لمفهوم ـ الدرجة ـ في الآية إلى اثني عشر قولاً، أبرزها أنها دلالة على الفوارق بين الرجل والمرأة، الزوج والزوجة، كالإمامة والولاية والمواريث وغيرها مما هو وارد في كتب الفقه.

وعلينا أن نؤكد أن هذه الفوارق، لا علاقة لها بالذات والنفس والنوعيّة، وإنما هي لاعتبارات خارجية. تضطرها ظروف الحياة الزوجية من الناحية التطبيقية «فلا مساس لها بالذات الإنسانية ـ كذكر وأنثى ـ ولا بالنفس البشرية ـ كزوج وزوجة ـ فالكل سواء في دائرة الأهلية وتحمل المسؤولية وأساس التكليف، ثم هي فوارق نسبية، وليست على الإطلاق أبداً إلا في حدود أمور تُعدّ على الأصابع. ولا اختلاف عليها وهي فقط في الجانب التطبيقي».

وإن أروع ما قرأت لمعنى «الدرجة» الواردة في الآية، ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه، فهو يفسرها ـ رضي الله عنه ـ بحسن التعامل في الحياة الزوجية، وذلك بإكرام الزوجة بالتسامح وغض النظر عمّا تقصر به من الحقوق والواجبات الزوجية فيكون هذا تفضلاً منه عليها، وهذا التفضل والفضل درجة رغّب بها المشرع الزوج والرجل...

وهذا التفسير يقويه، الغرض الأساسي من تكوين الأسرة، ومسارها في السكينة والمودة والطمأنينة، ويؤيده مكارم الأخلاق للرجال في الإسلام، التي بُعث رسول الله ﷺ من أجلها: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) «رواه البخاري»، والتي ودّع بها الحياة فقال: (واستوصوا بالنساء خيراً) «متفق عليه».

الدرجة بين التكريم والتكليف:

فإن الدرجة سواء كانت في مقام التكريم أو التكليف، فإن سنة الله في خلقه اقتضت أن يكون مقابلها ما يتناسب معها من جهد وعطاء ومسؤولية.

وقد ورد ذكر الدرجة في القرآن في أكثر من مكان منها: ﴿**فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وَكُلاً وعد الله الحسنى**﴾ النساء /٩٦/.

وقال تعالى: ﴿**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أولئك هم الفائزون**﴾ التوبة /٢٠/.

فالدرجة هنا تعني التكريم والثواب والعقاب، فهي درجة أخروية. أما في قوله تعالى: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾، فالمراد هنا درجة تكليف ومسؤولية متطلبة باتجاه هدف معين.

وهذا المعنى للدرجة لا يعني أبداً انتقاصاً من الآخرين الذين ليس لهم هذه الدرجة. فأولو العزم من الرسل، لهم درجات عند الله سبحانه وتعالى، لكن دون نقصان من مكانة بقية الرسل.

وكذلك الشأن في الإمامة «فَأَنْتَ إمام عالم قارئ، أو قارئ فقط، أو عالم فقط» فإن العالم القارئ هو الذي يقدّم للإمامة، ولكن دون أن يترك هذ االتقديم أثراً ينقص من قدر العالم المقتدي أو القارئ المقتدي.

ـ فالفوارق التي بين الرجل والمرأة والزوج والزوجة كلها تقاس بهذا المقياس. وإن هذا المعنى الصحيح والسليم والشرعي ليساعدنا تماماً على مبدأ الوقاية والعلاج في مفهوم الزواج فتقلّ الخلافات ويسود التفاهم بروح رياضية ونفسية هادئة وطيبة.

وبذلك نختم ما أجملنا من الحديث عن «الوقاية في بناء الزواج» وفق ما أرادها الشرع وعلى ضوء قواعد تربوية وأخلاقية، وتجارب اجتماعية، والحديث يقبل السير في هذا المطاف إلى أكثر من ذلك وأبعد على ضوء تجدد وجهات النظر التربوية والاجتماعية واجتهادات الفقهاء أصحاب الاختصاص. والمقولة التي تقول: «إن الأمور بقوابلها» والتي تقول: «الدفع أسهل من الرفع» ليؤكدان على أهمية وعي الخاطب والمخطوبة في دراسة وتفحّص هذه الدروس في الوقاية على دروب الزواج قبل البدء به.

وما وقع بناءٌ مدعّم بشروطه الفنية، اللهم إلا بهزة أرضية لا إرادية، وحينها تسقط المسؤولية. أما بغير ذلك فالعهدة في فشل الزواج وفشل الزيجات على من قَصّر في البداية، وأخطأ الهدف، وعطل الدين والعقل في الاختيار، وحَكّم الهوى والعاطفة، والناس، والتقليد الأعمى في أخطر قضية للإنسان على حساب مستقبله ديناً ودنيا..

وأخيراً، لسائل أن يتساءل: هذا لِمَن يريد الزواج أن يحتاط، فما هو حال زواج سابق تم بدون وقاية؟ فالإجابة ستجدها في البحث الثاني ـ الطرق العلاجية لمشاكل الزواج.

«ما غَلَبَهُنَّ إلا لَئِيم .. وما غَلَبْنَ إلا كريم»

قول مأثور

المبحث الثاني:

الطرق العلاجية لمشاكل الزواج الطارئة

العناصر:

- المَنْشَأ الجَوْهرِيّ للخلافات الزوجية.
- صَمَّام الأمان مِنَ المشاكل الزوجية.
- الأسباب الإجمالية لمَنْشأ الخلاف.
- سُلَّمُ الوسائل العامّة للعلاج.
- المشاكل المحتملة بين الزوجين.
- الشعور العارض بالكراهية من الطرفين وعلاجه.
- الخوف من النشوز واحتمال نزاع شديد.
- الشقاق والنفور الشديد وعلاجه.
- الطلاق على مرات ثلاث هو آخر وسيلة مُرّة للعلاج.

ما أشْبه الحياةَ الماديّة للأجسام، بالحياة المعنوية والأخلاقية للأنفس والأرواح.

فكمَا أنّ الأجسام يعتريها الدّاء، فكذلك العلاقات بين الأسر تعتريها المشاكل والخلافات، وقد اقْتَضَت حكمة الله البليغة أن يكونَ للدّاء الدواء، يجب البحثُ عنه علاجاً للشفاء، وكذلك المشاكل والخلافات، لها أدوية وعلاجات في التشريع الإسلامي يجب البحثُ عنها، والعُثور عليها، والالتزامً بها للعلاج والشفاء.

فإذا ما تُرِك الجسم بِلا دَواء، أو أهمِل الدواء، استفْحل المرض في الجسم فهَلَك، كذلك بُنْيَةُ الزّواج القائمة على العلاقات. فإذا ما أُهمِل علاجُ الخلافات التي تَقَع، أو عولِجَتْ على خلاف ما رَسَم الله وشَرّع، هَلَك الزواج، وسَقَط بناؤه. وقبْل أن نستعرضَ الحالات التي تقع بين الزوجين والتي تحملْ طابعَ المشاكل والخلافات وقبل أن نستعرض وجوهَ علاجها، علينا أن نشير إلى «المنْشأ الجوهري لمشاكل الزواج». وما هو صَمّام الأمان منه؟

المَنْشَأ الجوهَرِيّ للخِلافات الزوجيّة

إنّ المفاجآت التي تحدث بعد الزواج والتي لم تكن في حسبان الزوجين من الاختلاف على تحديد الآمال وأنواعها وعلى كيفية تحقيق الطموحات المتوقَّعَة، والتي كان يسعى إليها كلٌّ منهما من وراء الزواج.. وشعور أحدهما أو كليهما بالعَجْز عن تحقيق آمال مستهدفة من الزواج كل هذا هو منشأ الخلافات الجوهرية

في الحياة الزوجية، وتصبح العلاقات الزوجية لمجرد المعيشة ودوام استمرارها بحكم الحياة العادية ليس فيها تحقيق أحلام لكلّ منهما.

ونؤكد أن سبَب المفاجأة هو سوء التقدير في الاختيار، في بداية الزواج، أو خطَأ في الاجتهاد المبني على دراسة خاطئة، أو معلومات غير دقيقة، هي التي كانت بسببها «ولادة المفاجأة» باختلاف وجهات النظر حول الآمال، والطموحات لكل منهما، من هذا الزواج. لذلك نعود فنؤكّد على ضرورة «وسائل الوقاية» التي تَعَرَّضْنا لذكرها أولاً، ومُجْملها: حسن الاختيار من أجل وحدة الآمال والطموحات، والغايات من هذا الزواج، الذي هو عهدٌ وميثاق للاقتراب من هذه الوحدة ما أمكن.

صَمّام الأمان مِنَ الخلافات الزوجيّة

نعم إنّ صَمّام الأمان للوقاية أصلاً، مِن وقوع هذا الخلاف هو: استهداف النقاط الأربعة ـ خلال الخطبة والاختيار:

١. وحدة العقيدة، بما فيها المفاهيم الأخلاقية.

٢. وحدة الآمال أو التقارب فيها.

٣. والتقارب في البيئة، والعمر.

٤. والحالة الاجتماعية.

كلّها، حقاً، عوامل جوهرية للحيلولة دون الخلافات الحادّة، والمشاكل الكثيرة، وإن وقع شيء منها بعد تحقيق ذلك فستكون هامشية وسريعة الزوال. ومِنْ هذه النظرة حَرّم الإسلام أن يَرْبط الزواج بين قَلْبيْن، لا يجتمعان

على عقيدة واحدة، لأنّ الرابطة الفكرية هي أشدّ الروابط بين بني الإنسان، وهي تستدعي إلى وحدة سلوكية أخلاقية واجتماعية، تقوم عليها الحياة الزوجية، وبدونها تظل الحياة بينهما متعثرة الاستقرار، ولعل السند في التوجيه إلى وحدة العقيدة والهدف قوله تعالى: ﴿**ولا تنْكِحُوا المشركات حتى يؤمِنّ ولأمةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مشركة ولو أعجبتكم**﴾ البقرة /٢٢١/، ﴿**الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**﴾ النور /٢٦/.

ـ أذكر انفصالاً وقع في الحياة الزوجية بسبب خلاف حول معتقد كلّ من الزوج والزوجة: فالزوجة تريد تعليق صورة معتقدها في غرفة النوم أو الاستقبال، وهو يريد إنزالها لأنها غير معتقدِه. فأنزل الزوج صورة معتقد زوجته وحطّمها، وعلى إثرها انفصلت عرى الزوجية لاختلاف وحدة العقيدة. ومثلها الخلاف حول وجهة نظر في الذهاب إلى حفلات عائلية ساهرة وإلى غير ذلك من المشروبات الروحية.

ونجمل القول كلما تحققت العناصر الأربعة التي أشرنا إليها، قلّت الخلافات الجوهرية وأصبح من الممكن التغلب عليها لو وقعت.

الأسباب الإجمالية الطارئة لِمَنْشأ الخِلافات بوجه عام

ونُجْمل القول بذكر أسباب الخلافات والمشاكل نتيجة العلاقات الزوجية. وفي تصورنا قد تقع من أحد الطرفين أو من كليهما وهي:

١. حول أمور مَعِيْشيّة، لباس، سكن وغيرها.

٢. حول تربية الأولاد ومستقبلهم.

٣. بسبب سوء الأخلاق والعشرة.

٤. بسبب المطامع المادية، ومفاجأة صعوبة الوقوع عليها، واستخدام وسائل الضغط بانحسار العشرة الحسنة حتى تتحقق هذه المطامع.

٥. التوسع في العلاقات الاجتماعية والسَهْرات العائلية مع الفوارق الطبقيّة، لأن المَيْل إلى التقليد والتبعيّة والتأثر بعادات المجتمع تساعد على مبعث الخلاف بسبب هذا التوسع في العلاقات.

٦. أن لا يرعى حقوقها في المعاشرة الجنسية فيُقصِّر فيما نَدبَ الرسول ﷺ إليه بقوله: (ولْيَكُنْ بينهما رسولٌ. قِيل وما الرّسول؟ قال: القُبْلة والكلام) «رواه الديلمي». وتقصيرها أيضاً أيضاً.

٧. بسبب خارج من المنزل من أهل وجيران وأصدقاء.

٨. بسبب عفويّ وقَع من الزوج أو الزوجة.

وبوجه عام فاحتمال وقوع الخلاف والنفور، أو الشّقاق أمر وارد وواقع، من شَأن الفطرة، والبيئَة، والحالة الاجتماعية والتعصب للرأي الشخصي، يؤيد كل هذا القرآن الكريم والرسول ﷺ خلال التوجيه للعلاج حين حدوث خلاف. فما هي إذاً وسائل العلاج والشّفاء لمشاكل الزواج؟

سلّم الوسائل العام للعلاج

١. العفو والتسامح.

٢. التَفَاهُم بقلب مفتوح من كلا الطرفين.

٣. الأسلوبُ الحكيم، والرّفق بالقول، ووجود الرغبة في حلّ الخلاف من كلا الطرفين.

٤. التربية والتوعية، والموعظة الحسنة، الدائمة لكلا الطرفين.
٥. التأديب والحرمان، وفْق سُلم من الأولويات.
٦. الوسطاء والقضاء.
٧. تسريحٌ ولكن «بإحسان».

إن ما ذكره علماء التربية والنفس، وما تعرض له نظام الله في كتابه وتوجيه رسول الله في سننه حول كيفية معالجة الخلافات الزوجية من أهمها التدرج في العلاج وعدم القفز إلى العقوبة القاسية وعدم التسرع في استخدام الطلاق وبالثلاث بدوافع التَشفّي والتعنت، والاستهتار، والأنانية، وحب الغلبة، والظَّفر. فهذه أسلحةٌ تستعمل لمواجَهة عدو لدود. فلا تُواجَه بها انسانة وديعة اخترتها شريكة الحياة بل اختار كل منهما صاحبة ببداية الزواج عوناً لِيَبنيا سعادة وسؤدداً. ومهما تكن المفاجآت في سوء التفاهم من كلّ منهما يَجِب أن يكون السُّلوك في العلاج تدريجيّاً، ويؤكد هذا السلّم في التهذيب والعلاج نظام الله في دستوره وهو نظام أساسه المنطق والحق والعدل. والمسلم والمسلمة يُفْرض عليهما هذا النظام لئلا يعصيا الله ورسوله وإلا فقد وقعا في الإثم زيادة على مشاكلهما.

وإن الواقع الآن ـ من كثرة الطلاق وتفسُخ الأُسر مردّه في أكثر حالاته إلى مخالفة نظام الله في حلّ الخلافات وتجاوز سلّم العلاج.

ـ حقاً فإن من خالف ذلك، وتعدّاه فقد وسَّع المشكلة وزادها تعقيداً، وصعب بالتالي على كليهما حلّها، وعجزا أمامها، لا لأنّها كبيرةٌ وعُقْدَةَ

لاتَحَلّ، بَلْ لأنه هو أَوْ هي، خرجا عن نظام الله في حل الخلافات وابتعدا عن المنطق والعدل.

إنّ كلمة الودّ، والقول الحسن، والتواضع والنوايا الطيبة واستعمال الحكمة يقطع على الفور اسلاك الشَوك المُسنّن بالخلافات الحادة والدليل على هذا الموقف وأثره الحسن قول الله تعالى **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وَلِيّ حميم، وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم﴾**.

والآية الكريمة تشير إلى أن هذا الموقف: صعب على النفس والهوى ولكن يجب التغلب عليه بالصبر لأن في تنفيذه مصلحة الفرد والاسرة والمجتمع.

- وإن الآية الكريمة الآتية لتدعو إلى سلم العلاج ودرجاته قال تعالى: **﴿واللّاتي تخافون نُشُوزَهنّ فعظوهنّ، واهجروهن في المضاجع، واضْربُوهنّ، فإن أطعْنَكُم فلا تَبْغوا عليهنّ سبيلاً﴾** النساء /٣٤/

- وتُشير إلى سُلّم الترتيب في العلاج بل إلى وجوبه، كما ذكر ذلك أكثر علماء التفسير. وما أعتقد أن زوجاً استعمل وسائل العلاج لكلّ خلاف بالترتيب المذكور إلا وانتصر عليه.

- وليكن في حسبان الزوج أن مجرد رغبة الإنتصار على الزوجة صفة عند بعض الرجال غير مُرْضِية ولا كريمة: وقد قيل «ماغلَبهنّ إلا لِئيم، وما غلبْن إلا كريم» والمغلوب من الأزواج صاحب مروءة ورجولة وكرم وبهذه الاعتبارات كلها يُقضي على الخلافات وتبقى الأسرة متماسكة، وبناء الزواج شامخاً. وهذا ما بني من أجله الزواج في الإسلام.

(ولا تَجِدون خيارَكم أولئكم الأزواج الذين يضربون)

وفي لفظ آخر:

(ولا يضرب إلا شراركم)

«حديث شريف»

الشعور العارض بالكراهية من الطرفين

وَجّه القرآن الكريم إلى عدم انسياق الزوج والزوجة وراء الشعور العارض بكراهية الزوج لزوجته أو بالعكس، فقد تحدث هذه المشاعر، لأسباب نفسية عارضة، وقّد لايجد الزوج لها في نفسه سوى هذا الإعراض، ذي المنشأ النفسي العارض، فيدفعه إلى التشاؤم منها، وسوء المعاملة معها، ولا يتصور الخير في عينيها وإذا ما سألته عن حادثة أو سبب ظاهر ومادي أحدث هذا الشعور فيجيب بالنفي. فما هو رأي الاسلام في ذلك؟

ـ إن هذه المشاعر عابرة جداً. تتبدل وتتحوّل، فمشاعر الكراهية يعقبها مشاعر الحب والرغبة. فعليه أن لا يسترسل في ذلك بل عليه أن يتفاءل.. بل يظنّ الخير الكثير في زوجه .. والواقع يؤكد ذلك، والقرآن الكريم يشهد بذلك: ﴿**وعاشِروهن بالمعروف، فإن كرهتمُوهنّ، فعسى أن تكرهوا شيئاً، ويجعل ا لله فيه خيراً كثيراً**﴾ «النساء ١٩»

والوقوف عند قوله تعالى: ﴿**خيراً كثيراً**﴾، وتكرارها، وتدّبرها يدفع الزوج والزوجة إلى التروي، والتعقل حين ينتابه مثل هذا الشعور بالكراهية والنّفور، بل يحكم عليه أنّه خاطئ، وشعورٌ كاذب، بل ومن ورائه الخير الكثير، والسعادة الدائمة.. ﴿**ومَن أصدقُ من ا لله حديثاً**﴾.

وقد حدث بالفعل مثل هذا في بعض الأسر وكان مِن تَعَقّل أحد الزوجين فيما بعد الخير الكثير وزيادة مشاعر الحب والسعادة. فمنطلق القرآن الكريم والواقع ودواعي الحكمة والتروي يؤيد ذلك، كما أشارت إليه الآية.

الخلاف الشخصي وسوء التفاهم

إذا حدث مثل هذا فعلى الزوجين أن يتوليا إصلاح ذات بينهما بأنفسهما بأن يتعرفا على أسباب ذلك، ويعالجا الأمر بالتفاهم، ويسعيا ألا يَتسرّب شيء من أسرارهما خارج حدودهما، لئلا يفسح المجال لأصحاب النيات السيئة، والمُغْرِضة، في توسيع هذا الخلاف أو تعقيده، ولئلا يُسْمَح لمن لا يَعنيهم هذا الأمر أن يتدخلوا ويحشروا أنفسهم، وهم المتطفلون على حساب سعادة الآخرين. ويوجد بعض هذا من أفراد المجتمع وياللأسف.

فالزوجة الطّيبة الذّكية، لا تعدم وسيلة لمعالجة إعراض زوجها عنها.

والزوج التّقي المسلم، يتقي الله ويحسن إليها، ويحمل النيات الطيبة للإصلاح «فالصلح خير» **﴿إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما﴾** بشرط أن تتحقق الرغبة القلبية في الميل إلى الصلح وعودة الحياة الطيبة وقد وجه القرآن الكريم إلى ذلك بقوله **﴿وإن امرأةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلها نُشُوزاً أو إعراضاً، فلا جُناحَ عليهما أن يُصْلحا بينهما صلحاً والصّلح خير﴾** «النساء ١٢٨»

وفي الآية ما يشير إلى المبادرة بإصلاح ذات البين بأنفسهما دون أن يتدخل أحد حتى الأولاد ذكوراً أو إناثاً. وينجح هذا العلاج إذا ما سبقته النوايا الحسنة، والمشاعر الطيبة، فإن النوايا الطيبة والمقاصد الحسنة لها فعل المعجزات في الإصلاح والمعاشرة الحسنة، ويخيّم بذلك جوّ السعادة على الأسرة.

وفي حال العجز عن الرغبة في الصلح والإصلاح بالتي هي أحسن نلجأ إلى وسائل العلاج الأخرى.

الخوف من النّشوز واحتمال نِزَاع شديد

في حال استعصاء حلول التفاهم التي ذكرناها سابقاً، سوّغ المشرّع الانتقال إلى مرحلة أقسى وأشد، تدور حول: أن يُشْعِرَها الزوج بقيمة الود والحب واللقاء الذي كان بينهم ـ وذلك بالحرمان منه ـ فيستعمل الجفوة في اللقاء، والبعد عنها قدر الإمكان، ويلوح بزيادته تدريجياً، شريطة أن يتم ذلك ضمن بيت الزوجية، وألاّ يفوح منه رائحة الكراهية والتحقير وفي الحديث ما معناه «ولا تُقبّح الوجه ولا تهجر إلاّ في البيت» «رواه النسائي»، وفي حدود استعمال الدواء المر ولكن بحدود ثلاثة أيام فالهجران إذاً كناية عن جفوة مؤقتة وتأجيل التمتع الذي أحله الله بينهما بقصد الإصلاح وحل المشاكل ولا يتجاوز ذلك حرمانها من الحقوق الزوجية الأخرى من نفقة واهتمام بشؤونها الصحيّة وإلاّ نكون قد فوتنا المغزى من قول الله تعالى: ﴿..**في المضاجع**﴾ في الآية تعليلاً لهذا الهجران، فلا نتعدى بالحرمان الآثار المترتبة على المضاجع إلى غيرها من نفقة وكسوة وشؤون صحبه، وإن يكون الهجر في حدود غرفة النوم فلا يتعدى خبره إلى الأولاد والأهل،كما تشير لفظ مضاجع حتى إذا أراد العودة فلا يتدخل أحد .

ثم إنّ الطباع السليمة، ذات الفطرة السوية، والبيئة الصالحة، ترتَدّ إلى الصواب، وإصلاح الحال في مثل هذا الموقف من العلاج. وفي حال تعثر ذلك ـ رغم تكرار الهجران ـ يلجأ الزوج إلى الضرب كعلاج لتقويم ذلك

الاعوجاج. قال تعالى: ﴿**واللاّتي تخَافُون نشوزَهن فَعِظوهن واهْجروهُنّ في المضاجع واضْربُوهنّ.. إلخ**﴾ النساء /٣٣/.

ـ ماذا قال العلماء عن مراد ا لله من الضرب في الآية؟ صحيح أن القرآن عَدّ من وسائل الإصلاح والعلاج استعمال الضرب، ولكنْ مَن الذي يَضْرِب من الأزواج؟ ومتَى؟ وكيف يَضرب؟ وهذه المجموعة من الأسئلة يجب علينا أن نكون وقّافين عند حدود ما ذكره العلماء في صدد الإجابة عليها، وبما سمح به الرسول ﷺ.

ـ ذكر رسول ا لله ﷺ في معرض شكوى بعض النساء مِن ضرب أزْواجهن، فقال: (لَنْ يضربَ خيارُكم) وفي لفظ آخر بالمعنى (ولا تجدون خياركم أولئكم الأزواج الذين يَضربون) فالذين يضربون هم ثلّة من الأزواج ليسوا بالأخيار عند ا لله وعند رسوله ﷺ وعند الناس، بل هم الأشرار (ولا يَضْربُ إلا شراركم).

ومقابل الأخيار عند ا لله الأشرار، والرجل المسلم المؤمن، يأبى إلاّ أن يكون من خيار المؤمنين وليس من أشرارهم.

وأما ما يتذرّع به البعض من أنّ حكمَ الضرب مباحٌ وجائز شرعاً، ويستعملونه بغير حكمة وفي غير محلّه فنجيبهم بقول الإمام الشافعي رضي ا لله عنه ـ وهو بذلك يوضح المعنى المراد من الآية الكريمة ـ «الضرب مباح وتركه أفضل»، لم يقل وتركه أولى بل قال أفضل والأفضلية تعني ذَمّ المفضول وهجاءَه والحضّ على تركه. مثل الطلاق تماماً، صحيح أنه حلالٌ، وجائز ولكنه مبغوض ومنكر عند ا لله يوم القيامة، والزّوج الصالح الورع، يتورّع في أن يقع فيما يغضب ا لله وإنّ مما يغضبه الطلاق ولو كان حلالاً (أبغض الحلال

إلى الله الطلاق). ويتورع الزوج المؤمن أن لا يكون من خيار الناس، لأنه إن لم يكن من خيار الناس كان من أشرارهم.

ثم إن ما ذكره بعض العلماء من «الهيئة التي يكون عليها الضرب» لَمُؤشّر على أن «الضرب صُوري وشكليّ» فقالوا أن يَلُفّ على يده منديل ـ بشكير ـ ويدفعها به. ومن أوصافه أيضاً أن لا يَقَعَ على الوجه ولا على العظم وأن لا يكون «مبرّحاً» إلى آخر ذلك من الأوصاف التي يفهم منها اللبيب العدول عن ذلك كله وقد ذكر الروياني وهو من أعلام الفقهاء «تَعْيين الضرب إما باليد أو بمنديل» واستبعد أن يكون غاية المشرّع الضرب بعصا أو بسوط أو أي شيء آخر.

ـ ويكاد يكون هناك إجماع عند العلماء بأن الضرب لا يجوز إلا إذا توقّف أمرُ الإصلاح عليه، وأصبح الوحيد كدواء للعلاج، لا يُستعمل غيره. بل أدَقُّ مِن ذلك وأوضح، لا يستعمله الزوج الماهر الحكيم إلا حينما يكون حَلاًّ، للهروب من الطلاق، ومن الحَلِف بالطلاق. وفي هذه الحالة، يستعمل الإنسان أخفّ الضررين، لأن الطلاق «بَتْرٌ وقطع وهدم». فلم يكن الضرب في يوم من الأيام في وجهة نظر الشرع.. وسيلة للتسلط والقَهر، ولا وسيلةً للرجولة، وسيطرة الذكورة على الأنوثة، ولم يكن تَشَفّياً أو تعنّتاً، أو عقوبة بدافع الغيظ والحَنَق والعصبيّة، فليتق الله أولئك الرجال في زوجاتهم الذين يفهمون هذا الفهم، فإنهنّ أمانة الله بين أيديهم، «فليَرع الأمانة، ولا يخن الله ورسوله» وليذكر قول رسول الله ﷺ (خياركم خياركم لأهله) «الطبراني في الكبير»، «ما ضرب رسول الله ﷺ زوجة قط».

ـ ثم إن الضرب في الحقيقة، إعلانٌ واضح للزوجة العاقلة الواعية، أن زوجها وصل إلى حالة غير مُحْتملة، من موقفها ومن مخالفته ، وهو أعنَف مشاعر عدم التحمل فعليها أن تطيعه، فطاعة الزوجة في كل الأحوال، للزوج، أمر واجب، ورَغَّب به الشرع، وألحّ عليه، وجعل منه الجزاء الأوفى الأكمل، وعادله بالجهاد في سبيل الله، ورفعه إلى مرتبة العبادات.

وفي الحديث: (لا تؤدّي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها) «ابن ماجه وابن حبان في صحيحه»، وأظن هذه المسألة «مسألة الضرب» لم تعد ذات أهمية وعائقاً في الوسائل المشروعة للعلاج بعد هذا التوضيح، فالعبد يقرع بالعصا، والحرّ تكفيه الإشارة. والإشارة هنا للزوج والزوجة على السواء في تقدير الأمور، والابتعاد عن استعمال العنف مع مشاعر الزوجة. ومثل هذا أمر مجافٍ للمنطق والطبائع ويشير إلى ذلك قول رسول الله ﷺ فيما رواه ابن سعد (يَظلّ أحدكم يَضرب امرأته، ضَرب العبد، ثم يظل يعانقها ولا يستحي) ويكفي ذماً للزوج الذي يضرب وصفه بعدم الحياء. ومن أجل ذلك يروي ابن سعد أيضاً عن السيدة عائشة رضي الله عنها «ما ضَرَب رسول الله ﷺ امرأته قط» والرسول ﷺ جاء مبيناً لمراد الله من وسائل العلاج والإصلاح بسيرته مع أزواجه، ويكفي المسلم أن يقلّد رسول الله ﷺ في ذلك وهو ـ القدوة الحسنة ـ للمسلمين وغيرهم... ﴿**ولكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾.

ولابد بعد هذا من عودة إلى معنى النشوز واحتمال وقوعه؛ فالمعنى العام له هو الخروج عن طاعة الزوج ـ بالامتناع مثلاً عن التمتع بها وعدم طلاقة الوجه والكلام الخشن معه ـ فعليه أن ينصحها مسبقاً. يقول ابن عباس «أيما امرأة عَبَست في وجه زوجها جاءت يوم القيامة مسودّة الوجه».

الشقاق والنفور الشديد

إذا ما تفاقم الأمر واستحكم الشقاق، وفَشِلت وسائل التفاهم بينهما بعد بذل أقصى الجهد في حل الخلاف بينهما بأنفسهما، بات من الضروري أن يُدخلا وسطاء في حلّ هذا الخلاف ـ ويفضل الأولياء من كلّ منهما ـ ليبحثوا أسباب الشقاق، في محاولة للوئام وحل هذا الخلاف، ولتعود المياه الطيبة إلى مجاريها. وتكون الأرضيّة خَصبة للإصلاح، إذا صدقت نوايا الوسطاء وأطراف النزاع.

وإذا ذكَّر الوسطاء الأطراف المعنيّة، بالودّ السابق بينهما، والمشاعر الطيبة القديمة، واستعرض الوسطاء محاسن الوفاق، ومساوئ الفراق، وآثار ذلك على بيت الزوجية، والأولاد، كان ذلك مساعداً على الوفاق والإصلاح.

والقرآن الكريم شَجّع الوسطاء على الإصلاح حينما وصفه الله بالخير ﴿**والصلح خير**﴾ ووعدهم إذا هم أرادوا الإصلاح بتوفيق الله، للزوجين في المستقبل، يقول الله تعالى: ﴿**إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما**﴾. فيثمر هذا الإصلاح وتستمر الحياة الزوجية وعليهما أن يكونا كذلك.

قال تعالى: ﴿**وإنْ خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً**﴾ النساء /٣٤/.

وقد دخلْتُ مُحَكّماً أكثر من مرة، وكنّا نسمع للزوجين أسباباً لهذا الخلاف الشديد، وكان شعور كل منهما باستحالة عودة الوفاق والوئام

والحب، إلى حد أن قال لي بعضهم «لو طَحَنتَ عظمي بعظمها ولحمي بلحمها لافترقت كل قطعة عن بعضها...» ومع كل هذا التشاؤم الكبير حكمنا بالصلح وعادت الحياة الزوجية بينهما، إلى ألفتها وودّها السابق، والأقدار بيد الله سبحانه. وكذلك الحكم فيما لو خافت الزوجة من بعلها إعراضاً شديداً أو نشوزاً عن الحقوق الزوجية ـ واستعصى عليها أمر التفاهم ـ فعليها أن تلجأ إلى الوسطاء والصّلح، قال تعالى: ﴿**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير**﴾ النساء /١٢٨/.

الطلاقُ وعلى مرّات آخر وسيلة للعلاج

سبق في علم الله أن الخلاف سيقع بين الناس، وقد يشتدّ إلى حدّ الشقاق، واستحالة الوفاق، وهذا في نشأة الخليقة من بني البشر «منذ ولدَيْ آدم، قابيل وهابيل» يقع حتى بين الولد ووالده، فكذا بين الزوج وزوجته، والخلاف في كل الأحوال بمثابة الداء والأمراض، وقد يستفحل فيصبح داءً مؤلماً وصعباً، فما هو العلاج؟ وما هو الحلّ..؟

العلاج ـ هنا ـ هو الطلاق، ولكنه على مرّات ومراحل، كما شرعه الله: ﴿**الطلاق مرتان**﴾، وقال تعالى مشيراً إلى الطلقة الثالثة: ﴿**فإن طلّقها فلا تحلّ له من بَعْدُ حتى تنكح زوجاً غيره**﴾ البقرة /٢٣/.

فالطلاق كالدواء تماماً، تأخذه على جرعات، ولا يستعمله إلا إذا أصبح فعلاً هو الدواء الشافي لهذا المرض.

فالمشرّع أباح الطلاق للزوج، شريطة أن يكون في تقديره قد أصبح وسيلة لحل الخلاف، وإرجاع الزوجة للصواب، فليس الغرض منه أصلاً، التشفّي أو القطيعة والفراق.

ولذلك كان ما يسمّى «بعدّة الطلاق» بعد لفظ الطلاق ليراجع كل من الزوج والزوجة نفسيهما، وقد فكرا في نتائج ما يترتب على هذا الفراق «عليهما وعلى الأولاد من الدّمار، والتشرّد».

وتكون ثورة الغضب وآثارها قد تضاءلت واختفتْ، فيكون التفكير «أحكمَ وأصوبَ وأهدأ» فيعودان إلى رشدهما ويرجع كل منهما إلى صاحبه. وسبب ذلك الفترة التي وضعها المشرع وسمّاها عدّة الطلاق، فهي مهلة حكيمة ليُراجع كل منهما نفسه أثر الانفصال بسبب الطلاق.

وهذا ما يسمى «بالطلاق الرجعي» ففي الطلقة الأولى والثانية يحق للزوج أن يُرجع زوجته إلى عصمة نكاحه ما دامت في العِدّة، دون مَهْر وعَقْد جديدين لأنها شرعاً لا تزال زوجته. والرجعة هنا يكفي فيها مجرّد العودة إلى الحياة الزوجية والمعاشرة، فتشريعُ ما يسمى بالطلاق الرجعي، وكون الطلقات ثلاث، كل هذا يؤكد أن الغرض من الطلاق أنه وسيلة للعلاج والتأديب وليس لهدم بناء الزواج وانتكاسه. فهل ندرك هذه الحقيقة ونكون عند حدود الشرع في توجيهاته!

وحكم الشرع فيه أنّه مباح وجائز لقول رسول الله ﷺ (إنّ أبغض الحلال إلى الله الطلاق) «رواه أبو داود وابن ماجه».

ولكن يكفي في الطلاق أن أخبر الرسول ﷺ أنه فعل مذموم وسيء ولو كان في الأصل مباحاً فهو مما يبغض الله فعله ببغض فاعله، وهذا فيه منتهى

لذم والتنفير منه، والبعد عنه. وإن ما يُبْغضه ا لله يغضبه، ويترتب عليه الإثم إذا ما أنزل ضرراً به، وبأولاده وزوجته، فمثلاً، إذا لم يكن لزوجته مَنْ يؤويها إذا طلقها، وربما تتشرد، وتسلك طرق الفساد، فأي شرع يجيز له حينها الطلاق، فيصبح الطلاق حينها حراماً لا لذاته، وإنما لما يترتب عليه، والرسول ﷺ يقول: (لا ضرر ولا ضرار)، وقد قيل لرجل صالح لماذا لا تطلق زوجتك «وأنت مضطرّ لشدة سوء أخلاقها معك، والزواج أمامك ميسور؟» فأجاب بروح من التشريع الإسلامي: «لعل رجلاً آخر يتزوجها، فلا يَصْبر عليها، فيؤذيها»، فقد خاف عليها من غيره أن يؤذيها، فصبر عليها، وله على ذلك أجر من ا لله، وحورٌ عين في الجنة.

فإذا سلّمك الشرع سلاحاً، فيجب عليك أن تحسن استخدامه «اين؟ ومتى؟ وكيف؟» فإذا ما أخطأت في حسن استعماله كنت آثماً، وندمت على ما فعلت حتماً، أو ندمَتْ هي إذا ما طلبت الطلاق منك، أو طلّقتْكَ بصيغة المخالعة. ولقد حدث أن كلا الزوجين، طلبا الطلاق متفقين وعن طريق القضاء، وألحّا على ذلك، والقاضي يؤجلهما ليتراجعا عن رأيهما، واستمر التسويف مدة ثلاثة أشهر، وفي آخر مرة، أصرا على الطلاق والفراق الدائم مواجهة، وعندما بدأ القاضي بتلقينهما صيغة الطلاق مواجهة وطلب منهما التلفظ بذلك أصولاً؛ تغيرت الصورة تماماً، فوقعت الزوجة مغشياً عليها، وذرفت دموع الأسى والحزن من الزوج، وقال الزوج «عميت عيوني إن طلقتُكِ». وهذا يصوّر لنا أن في الطلاق «بحكمة ا لله» رهبة في أعماق القلوب، وهزة عميقة في أعماق النفوس لكونه هدم لصرح وحلّ «لميثاق عظيم» وثّقه ا لله بينهما.

وما أشبه ذلك بطائر عظيم، كان ممسكاً به كلٌّ منهما بكلتا يديه، وإذا به فجأة طار من بين يديه، ولكن ياللأسف بسببهما. فعادا لا يملكان من الأمر شيئاً، وشطبا تاريخ الحياة بينهما. وإن كان لإنسان أن يقول: إنك تبالغ، فالأمر أهون مما تتصور أو تتخيل فأجيبه: إنْ وقع ذلك من أحدهم عن رضا وقبول فذلك شذوذ، والشاذ نادر، والشذوذ هنا شذوذ عن طبائع الأشياء، وشذوذ عن الفطرة السليمة، فالطلاق لا يطلبه أحدهما إلا عن سوء تفاهم وشدة خلاف وتآثر ونفور شديد، وحينها يغيب عن الذهن ما هو أسوأ من هذا، يعود على كل منهما بعد الطلاق. وخاصة إذا كان هناك أولاد صغار أو كبار فلن تحل المشكلة بإيجاد مشكلة ولن يستجار من النار بالنار. ولعل حديثنا باختصار عن حكم الطلاق في الشريعة والغاية منه، ليؤيد ما اتجهنا إليه من بشاعة فاعله.

ـ صحيح أن أصل الحكم جواز الطلاق عند الشافعية، ولكن لابد أن يكون الأمر مقيداً بما ليس فيه غرر ولا ضرر، وإلا كان المشرع بعيداً عن المصلحة العامة. وإننا لنلحظ هذا المعنى من حديث رسول الله ﷺ (أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة). «رواه الخمسة إلا النسائي».

فتُحرم المرأة من دخول الجنة إذا هي تلاعبت في أصل مبدأ الزواج فطلبته بدون سبب جوهري، وكذلك الرجل إذا طلق لغير ما بأس فيحاسب على نواياه في ذلك يوم القيامة. خصوصاً لمن اعتاد ذلك، كأن يتزوج ويطلق ويتزوج ويطلق من باب التذوق، كما ورد في الأثر (إن الله لا يحبّ الذوّاقين، والذوّاقات) «راه عبادة بن الصامت» فمن فعل ذلك فقد ارتكب إثماً ومعصية، ولكن حساب

هؤلاء في الآخرة، وحساب الآخرة هو أشد وأبقى. يقول سبحانه وتعالى: **﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾** طه /١٢٧/.

ومن يخشى ربه بالغيب يتجنب الشهوات والملذات على حساب مصلحة الآخرين وأحياناً لإنزال الضرر بالآخرين. ولا ننسى أن نذكر أن هنالك من ذهب إلى أن الأصل في الطلاق الحرمة ولا يحل إلا لسبب يقرّه الشرع، فقد جاء في حاشية ابن عابدين جـ ٤١٦/٣: «قال ابن عابدين ـ وهو من أعلام الفقهاء الحنفية ـ وأما الطلاق فإن الأصل فيه الحظر و"المنع" بمعنى أنه محظور إلا لعارض يبيحه، وهو معنى قولهم "الأصل فيه الحظر، والإباحة لحاجة ضرورية" فإذا كان بلا سبب أصلاً فيكون حمقاً وسفاهة رأي، ومجرد كفران النعمة ـ كما يحدث ذلك من بعض الأزواج ـ».

ويمكن أن يوجه الكلام إلى الزوجة أيضاً، حينما تريد أن تطلب الطلاق من زوجها بلفظ الخُلع ـ والخلع هو طلاق المرأة بعوض عن طريق القضاء ـ والمشرع أذن به للزوجة لئلا تقع تحت نير ظلم الحياة الزوجية إن وجدت، فإن أول خلع وقع في الإسلام هو؛ أن جميلة بنت سلول أتت النبي ﷺ فقالت: والله ما أعتب على ثابت في دِين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام، لا أطيقه بغضاً، فقال النبي ﷺ: (أتردّين عليه حديقته)، قالت: نعم، فأمره أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد. «فتح القدير للكمال بن الهمام جـ/٤ص٢١٧ ـ ص٣٨».

ولسنا الآن بصدد الحديث عن الخلع وشروطه وأوصافه، فهذا أمر يتعلق بالفروع الفقهية، أما حديثنا فعلاقته بالحكمة التشريعية والتوجيهية، وحسن استعمال الحق ووضعه في محلّه، لئلا تعطّل الحِكَم التشريعية العظيمة، ولئلا

تنعكس مثل هذه التصرفات بدون حكمة وروية على المجتمع بالويل والثبور وهذا ما نشاهده في مجتمعاتنا اليوم. ونؤكد القول بأن المشرع، حمّل الزوج هذا السلاح «الطلاق» فإذا استعمله وفق الاعتبارات الشرعية التي ذكرناها، فليس في عمله أي نقص أو غضاضة، وإلا فسيكون آثماً على قدر الضرر المتحقق على هذا الطلاق. ولا أنسى أن أذكر أنّ المشرع حين بغّض بالطلاق وحرّمه عن بعض المذاهب ليشعر الأولاد بالطمأنينة بالعيش في كنف الوالدين واستمرارية دوام الأسرة إذ لو علم الأولاد حتى الكبار فهم أن المشرع قد فتح باب الطلاق على مصراعيه - فيعيشون في قلق واضطراب وتوقع الطلاق في أي وقت فيخافون حينها النتائج الوخيمة، نعم حين تكون هنالك أعذار شرعية واجتماعية قاسية (كان يخافا أن لا يقيما حدود الله) - فلابد إذاً من الطلاق من باب ارتكاب أخف الضررين وقد يكون حينها لصالح الأولاد أيضاً.

فاتقوا الله أيها الأزواج في أولادكم.

واتقوا الله في المجتمع تدعون أولادكم فيه في ضياع وسوء تربية.

الزواج : سبيلٌ للوجود البشري وتكاثره.

الزواج : عقد وميثاق غليظ لِيُكتب له الدوام والاستقرار.

الزواج : سبيلٌ لتنظيم الروابط الاجتماعية القائمة على المودة والرحمة والسكينة.

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ﴾

الروم /٢١/

البحث الثالث:

الأهداف الرئيسية والأساسية لبناء الزواج

العناصر:

- الكمال والسكينة والمودّة.
- التكاثُر البَشَرِيّ.
- الإنسان خليفة الله في أرضه.
- اتساع دائرة العلاقات البشرية والإنسانية.
- حِفْظُ الدّين والكمَال في العبادة.
- حمايةُ الرجل والمرأة والمجتمع من الفساد.
- التأهيلُ لتحمّل المسؤولية وأداء الامانة.
- الصحّة العامة.
- خَلْوةٌ للعبادة ومَيْدان رحبٌ لمجاهدة النَفْس وتقوى الله.

الكمال والسَّكينة والمَودّة

قال تعالى: ﴿**ومن آياتِهِ أن خَلَق لكم منْ أنفسكم أزواجاً لِتَسْكنوا إليها وَجَعَل بينكم مودّة ورحمة**﴾ الروم /٢١/.

قال لي أحدهم بعد تدبّره لهذه الآية الكريمة: ما هو المراد من «آياته» في الآية؟ هل المراد: أن الحديث عن الزواج هو آيٌ من القرآن الكريم كباقي الآيات؟ ثم قال لماذا نلحظ في الآية فِعْل «خَلَق» عند الحديث عن خَلْق الله للأنفس وفِعْل «جَعَل» عند الحديث عن المودّة والرحمة أي لماذا لم يقل في صدد خلق الأنفس «وجعل لكم من أنفسكم» وفي صدد الحديث عن المودّة «خَلَق» أي لماذا لم يوحّد في الفعل بينهما؟

فكان الجواب: إن مراد الله من الآية «ومن آياته» هي الحجة والبرهان على دِلالة قدرة الله سبحانه وإبداعه من صلة التزاوج بين الذكر والأنثى...

وإن قصّة الحَبْر اليهودي مع سيدنا محمد عليه السلام التي حدثت بمكة وأمام مشهد من بعض زعماء المشركين الذين يَهْزَؤون بما يدعيه محمد من نبوة ورسالة وهو يحدث نفراً من المسلمين قد جمعهم لهذه الغاية. لتّوضح هذا المعنى من دلالة القدرة في صلة التزاوج.

قال اليهودي: لزعماء قريش المشركين لأَسألنّه سؤالاً لايجيب عليه إلا نبي أو رسول وجلس إلى جوار محمد عليه الصلاة والسلام، ... وقال عَلَناً... يا محمد مِمَّ يخلق الانسان.؟

فأجابه يا يهودي: يُخْلق الإنسان من نُطْفَة الرجل ومن نُطْفَة المرأة. فأما نطفة الرجل فغليظة «مادة لزجة كثيفة» يتكون منهـا العظـم والعصـب، وأمـا نطفة المرأة فرقيقة «بيضاء شفّافة» يتكون منها اللحم والدم...

قال اليهودي: هكذا كان يقول مَنْ قَبْلَك من الأنبياء والرسل.

ولو سألت بعد ذلك: هل أسلم اليهـوديّ: مـن أهـل الكتـاب؟ أجبتـك بقـول الله تعـالى: ﴿**وَلَئِـن أَتَيْـتَ الذيـن أُتُـوا الكتـاب بكـلّ آيـة مـا تَبِعـوا قبلتك..**﴾... إلخ.

ثم تساءلت هل آمن أحـدٌ مـن زعمـاء قريـش بعـد أن سمعـوا الجـواب؟ أجيبك على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَلَو نَزّلْنا عليك كتاباً في قرطـاس فلمسـوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا سحر مبين**﴾ .. إذاً كل ذلك لم يكن .

أخي القارئ: إن ما سمعتُه من الحوار ليذكرّني بإجابة عبد الله بن عباس للسائل عن معنى «أمشاج» في قولـه تعـالى ﴿**إنّـا خلقنـا الإنسـان مـن نطفـة أمشاج**﴾، فما هو معنى أمشـاج؟ فأجابـه رضـي الله عنـه: قـال: يختلـط مـاء الرجل بماء المرأة «حين التلقيح في الرحم» فيخلـق منهـا الولـد فمـا كـان مـن عَصَب وعَظْم وَقوّة فمِن ماء الرجل، وما كان من لحـم ودم وشَعر فمِـن مـاء المرأة، فمعنى أمشاج إذاً هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة. فالله سبحانه خلـق الإنسان أيّ إنسان من ماء الرجل وماء المرأة.

أخي القارئ: من خلال مـا ذكرتـه لـك تـدرك أيـنَ تكمـن عظمـة الله وجلاله وسرّ إبداعه في خلق الإنسـان؟ إن الشـخصية الإنسـانية لكـل فـرد في أصل تكوينها هي خليط بين الذُّكورة والأنوثة. فـالرجل يتكـوّن مـن ذكـورة

وأنوثة والمرأة تتكوّن من أنوثة وذكورة، وذلك لتتم عمليّة بناء الزواج وإحكامه واكتماله، ولولا ذلك لما اتحدا ولما اكتملا ولما تمّتْ عملية الزواج كما يراد لها في نظام الله وخلقه، وهذا ما يؤيده اليوم علم الوراثة والصبغيّات وعلم الأجنّة.

إذاً ـ الرجل يميل بالفطرة إلى المرأة، والمرأة تميل بالفطرة إلى الرجل ـ بحكم خلق الله في أصل التكوين.. إذاً هنالك فجوات في كل من الزوجين ـ من مشاعر الرقة والنعومة بالنسبة للرجل والقوة والحزم بالنسبة للمرأة ـ لن تُملأ هذه الفجوات إلا بهذا اللقاء ليس اقتراناً بين جسد وجسد بل بين روحين وجسدين.. وهنا تظهر قدرة الله وعظمته وهي الآية التي قال عنها سبحانه ﴿**ومن آياته**﴾، وتبدو واضحة جليّة ملء العين قدرة الله وإبداعه في خلق الإنسان الفرد رجلاً كان وامرأة.

وإن هذا التحليل وهذا التصور يسوقنا إلى أن الغاية والحكمة البليغة من ذلك اكتمال اللقاء واستمرار عملية الزواج وإنجاحها.. إذ لولا ذلك لكان تنابذاً وتنافراً، فتمرّ عملية الزواج في مراحل صعبة للغاية ولا يكتب لها البقاء.

وإن هذه الثمار اليانعة لا تتوفر إلا في الزواج المشروع واللقاء وفق سنة الله ورسوله، وإلاّ فاللقاء بين الرجل والمرأة سيؤدي إلى فساد حتماً ولا يحقق ثماره المرجوّة منه سوى شهوة عارمة وَحُب كاذب ولقاء صوري. وهذا ما تؤيده الوقائع اليومية من هذا اللقاء غير الشرعي فلا يحتاج الأمر إلى بيان ودليل...

ثم نأتي بالإجابة على التساؤل الآتي: لماذا جاء فِعْـل ﴿**خَلَق لكـم مـن أنفسكم**﴾ وجاء فعل ﴿**جعـل بينكـم مـودة**﴾ فلـم يقـل ا لله سبحانه: خلـق بينكم مودة؟ ثمّ ما هي الحكمة البليغة من ذلك؟

نجيب: إن السبب في ذلك هو أنّ خَلْـق الأنثـى «الزوجـة» لهـذا الذكـر «الزوج» والعكس، إنما هو بفعل ا لله وحده، فليس للعبد سبب فيه، ولا دخل لليد البشرية أصلاً في مادّة «خلق الأنفس».

وما نلحظه من الخطوبة التي تحدث عادة من الشاب أو الفتاة فهي مجـرد السعي والتفتيش على هذه الأنثى التي خلقها ا لله لـه وخصّهـا بـه. مثـل ذلـك التقدير في الرزق للعبد، ولكن عليه أن يسعى ليتعرف على هذا الـرزق المقـدّر له وأين هو؟ ويؤيد هذ قول العامّة عن الزوجة «خُلِقَت من ضِلْعـه» أي ليـس للإنسان الزوج أو الزوجة تدخل في ذلك إطلاقاً..

أمَّا فعل «جَعَل» في صدر الحديث عن المودة والمحبة ـ وليس خَلَق ـ ففيـه إشارة إلى أن إيجاد المودة والمحبة والسكينة بين الزوجين بعـاملين الأول: بإيجـاد ا لله لها كَنَبْتةٍ تُغْرس في قلب الزوجين، فـا لله يبـارك لهمـا فيقـدم لهمـا هديّتـه، غرس هذه النبتة، فعلى الزوجين بعدها رعاية ذلك وإرواء هـذه النبتـة لتصبـح شجرة المحبة بينهما.

ففعل الرعاية والتعهد لهذه النبتة هو العـامل الثـاني، إذاً ففـي فِعْـل «جَعـل» إشارة إلى عملٍ فيه مشاركة بين ا لله وبين العبد، بينما خلق: خاصة با لله سـبحانه وليـس فيـه أدنـى رائحـة لمشـاركة العبـد في الخلـق، وإن اللغـة والمقصـد الشـرعي ليؤيدان ذلك، وأحياناً يستعمل كل منهما مكان الآخر حسب القرائن.

والحكمة البليغة من إيجاد نبتة الحب وغرس نبتة الألفة هي استمرارية هذا التزاوج على أسس من عوامل النواحي: الروحية والمعنوية ومشاعر الحب والتقدير والألفة، وهذا بحق ما يُثبّت بناء الزواج ويجعله في حماية لئلا ينهار لأتفه الأسباب... ولو تدبّرنا بتمعّن لوجدنا في النهاية، اللقاء بين «فعل خلق وفعل جعل» في الغاية المنشودة، وهي بقاء هذا الزواج بعامل أصل التكوين وبعامل غرس هذه النبتة.

وهناك لفتة هامّة أريد أن أنبه إليها، وهي أن أغلب الظن أن هدية المودة والمحبة النازلة من السماء على قلب الزوجين تتم بعد «الدخول» بعد «ذواق العُسَيْلة لكل منهما»، فليس بمجرد العقد بين الزوجة والزوج. يؤيد هذا ما نلحظه أحياناً أن أي خلاف بسيط في وجهات النظر أو التقصير في عدم تحقيق رغبات كل منهما يؤدي إلى أن ينزع الخاطب خاتمه وكذا المخطوبة ولا يتحمل أحدهما الآخر حين غياب رغبة ملحّة لأحد منهما... فلو تم اللقاء في تصوري لتغاضى أحدهما عن أخطاء الآخر وتجاوزا عقبة سوء التفاهم لأن كلاً منهما شعر بحاجة هامّة جداً، علاقتها بالفطرة ـ علاقتها بالغريزة الجنسية.. بل إن بعض العلماء قال إن الله سبحانه جَعَل في كل منهما هذه الغريزة الجنسية الجامحة والملحّة للوصول إليها، هي التي تجعل كلاً منهما يتحمل الإنجاب ومسؤولية الإنجاب ومشقات الزواج، ويقبل على ذلك بنَهَم ورغبة.

ولولا ذلك لما تحملا ولتهربا من المسؤولية، وكذلك هنا تفعل المودة والمحبة فعلها بعد الزواج وليس لمجرد العقد.. ويشير إلى ذلك قول الله تعالى

﴿لتسكنوا إليها﴾. فلو تمعّنا المراد من السكن وآثار السكينة، لوجدناها تؤيد ما ذهبنا إليه.. فالسكينة أثر من آثار العلاقة الجنسية.

وإن الغاية من هذا الفهم والتحليل هو الإسراع في اللقاء بين الزوج والزوجة دون التباطؤ في ذلك ودون الركون إلى مجرد عقد ولو كان شرعياً قد تم بينهما. وهذا هو الأفضل والصالح لكل منهما، لبقاء الزواج واستمراره. والتجربة والواقع يؤيد عدم إطالة فترة الخطوبة وفترة ما بعد العقد، لما يصحب ذلك عادةً من مخالفات للشرع، وسوء تفاهم يؤدي إلى نزاع لا تحمد عقباه.

فالاحتياط للأمور أفضل: (فليس المخاطر بمحمود ولو سلما..) ومثل ذلك الإسراع بالإنجاب، فإن الولد له عامل كبير في تثبيت الزواج واستقراره على الأغلب، فبعد الدخول وبعد الإنجاب يفكر كل من الزوجين ألف مرّة إذا رغبا في إسقاط الزواج وليس كذلك أبداً قبل الدخول وقبل الإنجاب، والمجرّب يعرف ذلك ويؤيده.

ولنعد الآن إلى التفصيل المسهب عن الأهداف العظيمة الثلاثة التي أشارت إليها الآية الكريمة (السكينة ـ المودة ـ الرحمة).

حقاً إن كلاً من الزوجين يطلب الآخر ويفتش عنه بحكم الخلق والتكوين كما ذكرنا، فكأنهما نواه منقسمة يبحث كل قسم عن شريكه ليلتئما ويكتملا، ويشكلا نواة واحدة. حقاً يشعر كل منهما بعد الزواج وكأنهما التقيا من قبل لشدّة الوفاق والتلاحم بعد الزواج ولما حباهما الله به من سكينة ومودة ورحمة.

ثم تتابع حكمة الله البليغة، ليقوى هذا الاكتمال، فيوجد بينهما سكينة بعد قَلَق، وطُمأنينة بعد اضطراب، فقد كانت نفوساً متباعدة وهائجة غير مطمئنة، ساكنةً في العراء، وفي فراغ، فإذا ما قدّر الله الزواج، سكنت النفس واطمأن القلب، فقوي الكمال وزاد الاكتمال، وتماسكت النّواة.. ثم إلى كلّ هذه المعاني تشير كلمة ﴿**لِتسكنوا إليها**﴾ أي إليها بالذّات، لا إلى غيرها، ولو كان في غيرها قد توفّر كلّ الغنى، وكلّ الكمال، وكل الجمال.

وتستمر معجزةُ الله العظيمة، لتكشفَ سراً من أسرار هذا اللقاء الحلال، اللقاء الشريف. فالزوجان، هما في حالة البعد عن بعضهما حيث لم يقدر الله بعد التعرف على بعضهما، هما في حالة نقص من مشاعر المودة والرحمة، وقلوبهما خاوية من معاني الودّ والحب الحقيقي - وأعني به غير الحبّ الخيالي والصوري - فإذا ما التقيا يتولّد بينهما مودّة واحدة، ورحمة واسعة، وقد كانت كل هذه المشاعر في غيبوبة وضياع، حتى تم اللقاء بالفعل، وحصل الدخول. يؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وجَعَل بينكم مودة ورحمة**﴾.

فقبل اللقاء لا يوجد جَعلٌ ولا تقدير من الله لمودة ورحمة من هذا النوع الذي يحتاجها هذا اللقاء، وهذا من الله سبحانه إشارةٌ إلى إغراءٍ باللّقاء، وتشجيع على الزواج حتى يأخذ الثمن العظيم «المودة والرحمة» وبدون ذلك لن يحصل على هذا، وإن حصل حَسْب زعمه، فخيال وتقليد للحقائق، وليس فيه جُودَة ولا إتقان، بل هو سريعٌ إلى الخراب والهلاك.

إذاً فالفجوات بينهما من السكينة، والحب، والاكتمال، لن تسَدّ - سدّاً محكماً - إلا بالزّواج الحلال، وعلى شريعة الإسلام. ولابدّ لنا من لفت النظر

إلى معنى هام ودقيق، في صدد هذه الأهداف الثلاثة.. ذلك أن مشاعر الوجدان والقلب، والنفس، التي فطر ا لله الناس عليها، من المحبة والمودة والألفة الاكتمال، (جمالها وقوتها، ونموّها، وجودتها) لا تكون من طرف واحد وشق واحد، بل لابد لهذه المعاني من تفاعل ومفاعلة. والمشاركة لن تكون إلا بين طرفين «الزوج والزوجة». ولقائل أن يقول: إننا نَلْحظ أزواجاً، وعلى وِفَاق، ولكن لم تتوفر في زواجهم هذه المعاني الثلاث، ولَئِن توفرت، فلم تكن على المستوى الذي ذكرت، والجواب على ذلك من وجوه..

الوجه الأول: قد يكون هذا اللقاء من أساسه الغَرضُ منه المصالح الدنيوية والمطامع الماديّة، والشهوة العاجلة، وقد لا تكون ظاهرةً على السطح، بل هي «مكنونةٌ في النفس» فحينها نقول إنّ هذه الأغراض، والمطامع والشهوات، باتت عواملَ منفّرة، في حقيقة الأمر، إذا رأى كلّ واحد منهما، أنّ أغراضه لَن تتحقّق أو ضعيفة الاحتمال في الحصول عليها.

وإنّ السكينة والمودّة والرحمة، نِعَم من ا لله، حباها للزوجين إذا التقيا على أساس من الإخلاص والصدق والتضحية... وإلاّ فسيُحْرمان منها في مداخل النفس ومشاعر القلب، وإن كان على السطح شيءٌ منها ولكنّه سيزول.

والوجه الثاني: أنّ ا لله سبحانه «يَسّر الزواج وجعل فيه هذه البذور الثلاثة»، وفَطَر الناس عليها، ولكن تحتاج هذه البذور

إلى نَماء، بالمعشر الحسن، والعَطاء، واللّطف بين الطرفين، فتنمو حينَها وتزدهر.

وبشكل عام فإن الأمر يحتاج إلى صبر وتريّث، في الحصول على ثمرات هذا الزواج الذي باركه الله وقدّره، فقد حدثني رجلٌ صابِر أنه بعد ثلاث سنوات، سمع من زوجته وبمبادرة منها كلمة «يا حبيبي».

وفي حال تعسّر ذلك، فعلى كلا الطرفين إصلاح الأمر، بزيادة من الطِيبة والمعاشرة الحسنة. قال أحد العلماء: إن الزوجة بعد هذه العشرة أصبح لها حق الصحبة والصاحب، فأين الأزواج الذين يرعون ذلك حين الخلاف أو سوء التفاهم؟ فالإنسان عبدُ الإحسان، والله إذا وعدَ، لن يُخلف، ومُنزّه إذا حدّث عن الكذب، ومن أصدق من الله حديثاً ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾. الروم/٢١/.

الحبّ في نظر الدين

لا يُعْقل أن يُحرّم الدينُ الحبّ لأنه من الفطرة، والدين هو الفطرة. ولكن أيّ حب نعني في حديثنا؟

وقبل أن نجيب عن ذلك، ننوه بأن سبب حديثنا عن الحب، هو حديثنا عن المودة. والمودة لا تنمو وتعيش إلا في ميدان الحب.

الحب الطاهر

حبّ التلميذ لأستاذه، حب الوطن، حبّ الوالد لولده، حب الزّوج لزوجته وبالعكس.

وهذا هو مناط حديثنا عن الحب والمودّة كهدف من أهـداف الـزواج. ينشأ بعد الزواج وينمو بالمعاشرة.. أمّا الحبّ الذي يُسمى (قبـل الـزواج) مـن خلال العلاقات المتبادَلة بين فلان وفلانة بدعوى هدف الـزواج، فهـذا بنظرنـا حبّ بعيدٌ عن الفطرة. لأنّ فيه تكلفاً وتمويهاً ـ في أكثر أحواله ـ ولهـذا الحـبّ أنصارٌ يقولون «إنّ أيّ زواج لا يسْبقه حبّ فهو فاشل».

ونحن لا نريد التدليل على توهين ذلـك، فـالواقع يشـير بكـثرة إلى فشـل الزواج بعدَه، ونحن لا ندعو إليه ولا نعتبره أساساً في نجاح الزواج، فهو حُـبّ غير حقيقي، فليحذر شبابنا من هذه المقولة «زواج لا يسبقه حبّ، فاشل».

التكاثر البشـــري

الإنسان خليفةُ الله في الأرض

نعم إن الزواج هو أحد نواميس هذا الكون في التكاثر البشري والوجُود الإنسانيّ ﴿ومن كل شيءٍ خلَقْنا زوجَيْن﴾ الذاريات /٤٩/.

فهو سبيلٌ لإكثار النسل في الأمة الإسلامية، وإن كثرة الجُنْـد، والرجـال والنساء، من أحد مصادر قوتها وهَيبتها، حتى في حياتنا المعاصرة، وقد شـجّع الرسول ﷺ على ذلك حين قال: (تناكَحوا، تناسَلُوا، فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة).

ومِنْ نفْل القَـول أن نذكـر، أنّـه ليـس الغـرض مـن مجـرد التكـاثر الكـم والعدد، وإنما الغاية الكيفية والأهلية أيضاً التي تنشأ وتتربى الأبناء عليهـا لتقيـم الحياة على الأرض وتطوّرها، وتكون سبباً لبنـاء الحضـارة الإنسـانية، والتقـدّم العلمي، ولتتحقّق خلافـة الإنسـان لله علـى الأرض ولتبقـى الحيـاة إلى النهايـة المحددة لها، على الوجه الذي قدّره ا لله لهذا الكون.

ونلحظ حتى اليوم أن بعضاً من الدول العظمى، كـانت عظمـى بسـبب كثرة عددها «كشعب» وكثرة جنودها.. فالفخر حاصل قبـل يـوم القيامـة.. ولكن مع الأسف دعاة تحديد النسل في يومنا هذا غافلون عـن هـذه الحقيقـة. والحديث الآتي يفصل هذا ويفنّده.

متى يكون تحديد النسل مشروعاً؟

وإنّ الحديث عن هذا الهدف من الزّواج ليسُوقنا إلى الحديث عما أسميه من موضوعات ترفِ الفكر والبحث، الّذي طُرح مؤخراً في أسواق الفكر، بأقلامٍ رسمية وغير رسمية، ألا وهو الدّعوة إلى «تحديد النسل»، وتناولته الأقلام بتفنّن، فمِن مؤيّد ومشجّع، ومن محرّم ومهاجم.. وإنّ مَواطن البحث هنا، وموضوع الرّسالة، ليفرض علينا أن نتناوَل هذا الموضوع، بلمحةٍ وإجمال ـ لاشكّ أنّه موضوع خطير جداً، إذا كان المراد منه: تعاطي عَقاقير وغيرها للرجال والنساء لتَعْطيل وظائف الإنجاب عند الذكر والأنثى والقضاءِ على نَسْل وذُرّيّة كل منهما.

وإن هذا الأمر على هذا المعنى متفق عليه عند علماء الإسلام على تحريمه وذَمّه، ومُهاجمته لأنّه لا يتّفق ألبتّة والفطرة البشريّة القائمة في تكوينها على التّوالد والوجود والتّكاثُر البشريّ، وهُو يُصادم أيضاً، مَبادئ التشريع، ومقاصده الأساسيّة، قال تعالى: ﴿**ثُمّ إذَا أنْتُم بشرٌ تَنْتَشِرُون**﴾ ، ﴿**وجَعَل لكُم من أزْواجكُم بَنِين وحَفَدَة**﴾ ، ﴿**وهُو الّذي جَعَل لكُم من الماء بشراً فجعَله نسَباً وصِهْراً**﴾ ، ثم حديث الرسول الكريم ﷺ: (تناكحو، تناسلوا....).

وإن الباعث على هذه الحملة والدّعوة إليها ـ وقد لاقت رواجاً في الأسواق، وعند بعض الناس ـ هو «شبَحُ أَزْمة زيادة السكان».. وما ينجم عن ذلك من «ازدياد الفقر، وكثرة البطالة، وسوء التربية».. إلى غير ذلك من الأُمور المُحتملة..

وقد غاب عن هؤلاء أنّ مائدة الله للخلق قائمةٌ على التوازن بين التوالد والتناسل، وبين خلق قوة الإنتاج الدّائم والمضاعف.

وإن كان وجود ظهور خلل في ذلك فمِنَ الإنسان ذاتِه وتقْصيره، وتعطيل قُوة الأسْباب عندَه. والتوازن هذا من أبسط الأمور التي يحسبها مدير معمل أو منشأة، فعلى حساب الكم للعمال يكون الكيف بالإنتاج ليغطي مؤونة العمال. فهذا في حساب الخلق فكيف في حساب الخالق القادر على كل شيء.

ونحن نقول: إذا كانت هذه الاحتمالات واردةٌ، فعلاجها يكون بشحذ الهمّة، وبالتخطيط المرسوم للمستقبل، وبشدّ العزيمة وطرد الكسل، وبتوزيعِ العمل وتكافُؤ الفرص... إلى غير ذلك من أمورٍ أدْرى بها أهل الاختصاص، الّذين يخطّطون لاقتصاد البلاد، وحجم الأعمال، وقوة الأجيال، وتوعية العمال والشباب. وكلُّنا يُدرك تماماً أننا ندورُ بفلك العَالَم الثّالث، مُحاطُون بالأعداء، مِن كل جانب، مما يُحتّم علينا الدّعوة إلى زيادة النّسل والعناية به.

ثمّ إن المشاكِل لا تعالج بخلْق مشاكل أخرى، ولا يُعالَج المرض بمرض آخر هو أكبر وأعظم.

ـ وأمّا إن كان المُراد من الدّعوة إلى تحديد النسل هو اتخاذ وسائل دوائيّة أو غيرها، لتأجيل فتْرة الإخصاب، وتنظيم أمر الإنجاب، تخُصّ حالات فردية، لظروفٍ استثنائية مُسْتعصية، فهذا أمر لا حرجَ فيه، ولا ضَرر منه على الأمة.

وليس هذا محظوراً في مفهوم الشرع الإسلامي الحنيف، وهو ما يُسمى عنْد فُقهاء الإسلام، وعُلماء اللّغة العربيّة «بالعَزْل» وهو «قذف ماء الرجل

خارج مَحَل الإنجاب والحرْث»، ولهم في جواز ذلك سندٌ شَرْعي صحيح، فَقَدْ حدّثنا الصحابي الجليل جابر في صحيح مسلم «كُنّا نعزِل على عهد الرّسول، والقرآن ينزل» وفي رواية «فبلغ ذلك النبي فلم يَنْهَنا».

وهناك قول مَرْجُوح بالحظْر والمنْع دليله أنّ رسول الله ﷺ سُئِل عن العَزْل فقال (ذاك الوأْدُ الخَفيّ) «أخرجه مسلم»، وفي حديث آخر أخرجه الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ (قال في العزل: أنتَ تخلقه؟ أنت ترزقه؟ أقِرَّه قراره، فإنّما ذلك القدر)، وقال بعض العلماء بكراهته شريطة رِضا الزوجين وأجاب الذين يقولون ـ بجواز العزل ـ أن حديث (ذاك الوأد الخفي) ليس صريحاً بالمنع إذ لا يلزم من التشبيه بالوأد الخفي أن يكون محرماً، وبعضهم حمله محمل «الكراهية التنزيهيه» وليس الحرمة. وعلى فرض حُرمته، فإذا ما دعت الضرورة للتوقف والتأجيل لأسباب صحيّة، أو ماديَة قاهرة، فيدخل الأمر في باب الضرورات تُبيح المحظورات، ولكنها تُقدَّر بقَدْرِها، وتراعى شروطها الواردة في الآية الكريمة: ﴿**غير باغ ولا عادٍ فلا إثْم عليه**﴾.

ومن القواعد الفقهيّة المشهورة «الضرر مدفوع بقدر الإمكان»، ومن هنا قرر العلماء إباحة منْع الحمل مؤقّتاً بين الزوجين أو دائماً، إن كان بهما أو بأحدهما داء من شأنه أنْ ينتقل في الذُّرية والأحفاد، أو يؤدّي إلى الضّرر المحقّق بسبب الحَمْل.

ومشروعية إباحة وقْف الحمل فترة من الزمن، جاءت أولاً من أن القرآن حدد مدّة الرضاع بحولين كاملين؛ ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**﴾ البقرة /٢٣٣/. وثانياً؛ حذّر الرسول ﷺ أنْ يرضع الطفل من لَبَن الحامل، فهذا يجيز إيقاف الحمل مدّة الرضاع، وهذا واضح لا يحتاج إلى توقف وجدال.

ومعلومٌ أن من خصائص التشريع الإسلامي «التوازن والتكامل» يُدرك هذا أهل الاختصاص. ففي الوقت الذي حضّ الإسلام على الزواج دعا إلى الإنجاب ورغّب فيه، بقول رسول الله ﷺ (سَوْداءُ ولُود خيرٌ من حسناء لاتلد)، رواه الطبراني. وبقوله (مَنْ ترك الزواج مَخافَة العِيَال فلَيْس منّا).

في الوقت نفسه، حثّت الشريعة النّاس والمسلمين على اتساع العمران وكثرة الأيدي العاملة والحصول على مبادئ القُوّة، وعلى تهيئة ما تعمل فيه تلك الأيدي العاملة «من إنشاء مصانع ومزارع ومعامل وغير ذلك». وهذا معنى التوازن بين القدرة على الإنجاب والقدرة على الإنتاج.. فالخلل والمثالب إن وقعت فمن فعل الإنسان وخطّته لا من التشريع وأهدافه من الزواج، ويؤيد هذا الدفع للعمل والإنتاج حديث الرسول ﷺ (لأَنْ يأخُذ أحدكم حبْله، فيأتي بحُزْمة من حَطَب فيبيعَها فيكفّ الله بها وجهه، خيرٌ له مِنْ أن يسألَ النّاس أعطُوه أو منعُوه) «أخرجه البخاري». نعم عليه أن يعمل ولو بائع حزمة من قش، يجمعها من البراري ليس له رأسمال سوى الحبل وجهده ونشاطه. ثم إن آيات الأمر بالعمل في كتاب الله: ﴿**وقُل اعمَلُوا**...﴾ تكادُ لا تحصى.

فالخلل يأتي من فقد التوازن، وهذا ما تسببت به أيدينا. فعلينا إصلاح ما فسد، لا أن نُفسد ما هو صحيح.

إذاً لابدّ بادِئ الأمر من «تحرير محل النزاع» كما يقول بذلك علماء الأصول والمناظرة، أي تحديد المراد من كلمة «تحديد النّسل». وحينها يكون البقاء للرأي الذي تقوم حجَّته وتظهر للناس وُجْهته، ويتحقق به النفع العام والمصالح العامّة للمسلمين. وقد بيّنا كل ذلك من مصادر التشريع الإسلامي.

- **الزواج : هو أحد نواميس هذا الكون** ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين﴾

- **الزواج : هو اقتران إنسانية المرأة بإنسانية الرجل، وليس مجرد اقتران جسد بجسد.**

- **هنالك فجوات روحية ومادية في طبيعة كل من الذكر والأنثى ولن يملأها إلا الزواج الذي شرعه الإسلام.**

اتّساع دائرة العلاقات البشريّة والإنسانية

وكان الزواج إحدى الدوائر الثلاث لاتّساع دوائر العلاقات البشرية، وتقوية وشائج الرّباط بينها.

أما الدائرة الأولى وهي ما تسمى «القرابة بالمُصاهَرة»، ودليلها قوله تعالى: ﴿**وهو الذي جعل من الماء بشراً فجعلَه نسباً وصهراً**﴾.

وأما الثانية فهي «شجرة القرابة بالنّسب» ويتفرّع عنها؛ قرابة الآباء والأجداد، والأمهات والجدات، والأعمام والخالات.....، والثالثة «شجرة القرابة بالرضاع» ويتفرع عنها؛ امتداد النسب بالرضاع أصولاً وفروعاً.

فعاملُ الزواج، سببٌ هام في اتساع الرقعة البشريّة، وامتدادها قبائل وعشائر وشعوباً وأمماً، وترجعُ جميعها كما هو معلوم إلى أرومةٍ واحدة «سيّدنا آدم والسيدة حواء» مصدرُ الرُّجولة ومصدر الأنوثَة، ونؤكّد أنه ليس الغرض مجرّد التّكاثر في الكمّ والكثرة، بل من أجل اللّقاء والتّعارف، اللّذان هُمَا مصادر «التّعاون والتّقدم، والقوّة» لِتعايُش الأسرة الإنسانيّة بسلامٍ عزيز وعظيم، قال تعالى مبيناً هذه الغاية الكبيرة: ﴿**يا أيُّها الناس إنّا خلقْناكُم من ذكرٍ وأُنثى وجَعَلْناكم شُعوباً وقَبائِل لتعارَفُوا إنّ أكرمكم عنْد الله أتْقاكم**﴾ الحجرات/١٣/، ومصوِّراً اتساع هذه الدوائر الثلاث فيما تُحدثه من وشائج عائلية سُميت بالأرحامْ.

والإسلام لم يكتفِ بمجرّد الحضّ على النّسل والإنجاب، تاركاً كلَّ ذلك في العَراء وفي أرض الله الواسعة، بل دعا إلى صلة هؤلاء ببعضهم، وحرّم ما

يُسمّى بقطع الأرحام، والأسرة الإنسانية ذات رحمٍ واحدةٍ، وهذا من أعظمِ ما يُميز نظام دستور الأُسرة عَنْ غيره من الأنظمة غير الإسلامية.

وكم تعظمُ المسألةُ عند ا لله ثواباً، وعنْد الإنسانية قدراً ومهابة، إذا كان هذا اللقاء العائليّ، وهذه الروابط الإنسانية وهي تقوم على عقيدة واحدة، وتدور حول نظام وَاحد، وفي فلكٍ من الارتباط بربّ واحدٍ، ترتب عليها وحدة الأمة وقوتها وتعاونها. (وكم أستشْعِر وأنا أعيش جوّ هذه الآثار العظيمة) بشاعة الجريمة في الدّعوة إلى العُزوبيّة، والرّهبانيّة، والحريّة الجنسيّة، وتحديد النسل. ومن المؤسف أن لها دعاة يحبذونها ويروّجونها، ولعلّ من المفهوم المخالف لما ذكرنا من الآثار الإيجابية للزواج يظهر بوضوح الآثار السلبية والخطيرة المنعكسة عن مثل هذه الدعوات.

حفظ الدين والكمال في العبادة

من الدوافع للمسلم على الزواج أن تخاطبه بلغةٍ دينيّة وبما هو أعز شيء عليه، وهو إيمانه.

لذلك طرق الرسول الكريم ﷺ هذا الباب بقوله: (إذا تزوّج العبد، فقد استكمل نصفَ دينه، فليتق ا لله في النِّصف الباقي) «رواه البيهقي»، ويقول الإمام الغزالي: «إن النكاح معين على الدين، ومهين للشيطان، وحصن حصين دون عدو ا لله، وسبب للتكثير الذي يباهي به سيد المرسلين». ثم قال: «إن الأنس بالزوجة ليس مرده المال أو الجمال والزينة، إنما مرده إلى التفاهم وحسن ملاطفة الزوجة لزوجها».

ويؤكّد هذا الفارق العظيم في الثواب، بين عبادة المتأهل، وعبادة الأعزب، ما ورد عن رسول ا لله ﷺ (ركعتان من متأهِّل خيرٌ من سبعين ركعة من غير متأهِّل) «رواه ابن عديّ».

وفي نفْس الصدد نُذكّر بأنّ الإمامة للصلاة يقدَّم فيها المتزوج على الأعزب، لكمال دينه، وضمانِ عفّته، وطهارة ذيله في الغالب. يؤيد هذا المعنى أيضاً قول الرسول ﷺ في الحديث (من تزوّج فقد ضَمن شطر دينه، فليتق ا لله في الشطر الآخر). وإنّ منطق الشرع والحياة ليمنح حصانة للمتزوج ما لا يمنحها لغيره، ولذلك سميّ الزوجُ محصناً، والزوجة مُحصنة، لأنّ الزواج أغض للبصر، وأحصَنُ للفرج، وهذا منتهى التقوى والورع.

وفي الوقت نفسه حمل المشرع حملة عنيفة على العزوبية وعلى العازب فقد قيل: شراركم عزابكم وأراذل موتاكم.. وقد قال أحد العلماء العارفين «إذا ماتت زوجتي وأنا على فراش الموت فزوجوني فإني لا أحب أن ألقى ا لله أعزباً..»، فهل بعد هذا البيان من بيان في الفوارق بين المتزوج والعازب!

حماية الرجل والمرأة والمجتمع من الفساد الأخلاقيّ والضّعف العام للأمّة

وهي من أهم أهداف الزواج في الإسلام، درء الفساد عن المجتمع، ثم هو للحفاظ على قيمه ومُثله العليا، لأنها الأساسَ الأول «لبُنيَة الأخلاق الاجتماعية». وإذا كان درءُ الفساد عن المجتمع واجباً، فإنّ وسائل الدرء واجبةٌ أيضاً، فعلى كلّ مَنْ وجد في نفسه حاجةً إلى النكاح وهو موسر

لذلك، وجب عليه أن يتزوج، فقد ورد في الحديث (من كان موسراً وهو محتاج لأن ينكح فلم ينكح فليس منّي) «الطبري والبيهقي».

وعلى وليّ الفتاة تزويجها، وذلك بأن لا يمنعها عن الكفء الصالح إذا تقدم لخطبتها، فإذا امتنع كان آثماً، وكلنا يشعر ويؤمن بحاجة مجتمعنا اليوم لذلك.

وقد وعد الله المقبلين على الزواج طلباً للعفّة وعوناً على الاستقامة، بالغنى وإن كانو فقراء. وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «التمِسوا الغنى من النكاح».

وقد أخرج ابن ماجه في سنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ثلاثة كلُّهم حقٌّ على الله عونه: المجاهدُ في سبيل الله، والناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء). والمراد بالغنى هو سد الحاجة، ورفع الضرورة وقضاء الديون والذمم.

ولا يحتاج إلى بُرهان قولُنا أن الزواج دريئةٌ ضد الفساد، لأن المجتمعات التي يقل فيها الزواج الشرعي، يتفشّى فيها مقابل ذلك طابورٌ من الأخلاّء والخليلات المفسدات في الأرض، والمورّثات للمجتمع البشري «فوجاً من الأولاد غير الشرعيين، اللّقطاء، أولادُ الشوارع والمنحنِيَات من الطرق»، ثم يتجاهل المجتمع والعالم هذا العلاج الإسلامي وهو يستغيث مما هو فيه.

التأهيلُ لتحمّل المسؤولية وأداء الأمانة العامة

إنّ إشراف الزوج على زوجته، وقوامته عليها، بالإنْفاق والرعاية العامة، هو نوع من الولاية الخاصة التي تعني تحمل المسؤولية، وقد أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: (والرّجلُ راعٍ في أهله، ومسؤول عن رعيّته)، وعلى المدى الطويل في العشرة الزوجية، يعتاد الصبرَ والتسامحَ، واحتمال الأذى أحياناً، ويتحسّس المسؤولية المادية، ويحرص على واجب العمل أداءً لهذه المسؤولية.

ويتحرّى الكسب الحلال لزوجته، لأنه سيحاسَبُ إذا هو قصّر في هذا الجانب، وبعد فترة وجيزة تصبح الأسرة تضم أولاداً ذكوراً وإناثاً، فترتفع درجة المسؤولية عند الزوج وعند الزوجة إلى مرتبة «تربية الأولاد وحُسْن رعايتهم في مختلف ظروفهم الصحيّة والنفسيّة والعقليّة والأخلاقيّة».

وتدْخُلُ الأم في إطار قول رسول الله ﷺ (والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولةٌ عن رعيتها)..

فكان الزوج مسؤولاً عن نفسه، فأصبح مسؤولاً عن نفسه وغيره وأولاده، فتوسَّعت المسؤولية وارتفعت درجتها.

والصبر على تربية الأهل والأولاد، وتحمّل مسؤولية ذلك، بمنزلة الجهاد في سبيل الله، وهي ولاية أيضاً على الأولاد والأحفاد والأهل، بل هي من أفضل العبادات. فقد قال ﷺ (يومٌ مِن والٍ عادل، أفضل من سبعين سنة) ثم قال: (ألا كلُّكم راع، وكلّكم مسؤول عن رعيته..) «رواه الطبراني والبيهقي». فالولاية من أنواع الرعاية الفردية والعامة.

وفي الجملة: إنّ في الزواج والقيام بواجباته «دورة تدريبيّة على تحمّل المسؤولية الخاصّة في إطار أسرته».

والمسؤوليّة العامةفي إطار المجتمع مِن خلال المعاملات، والعلاقات العامة بين الناس التي تعود على الأسرة.

ثم إنّ منْ فقد المسؤولية الخاصة، كان أضعفَ في تولي المسؤولية العامة، ونجاحه فيها ـ ونسْمع أحياناً مِنْ بعض الشباب، والذين يعدّون أنفسهم رجالاً في حياتهم العامة، عذرهم في عدم الإقبال على الزواج هروباً من المسؤولية، وخوفاً منها، فهذا اعتراف صريحٌ بأنّ الزواج مسؤولية يفرُّ منها إلى الدّعة والكسل، ليعيش عزباً عانِساً، على هامش الحياة، ومبْتور الأهل والأولاد في حياةٍ وصفها الله سبحانه وتعالى بأن زينتها بالمال، وجمالها بالبنين، قال تعالى: ﴿**المالُ والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ الكهف /٤٦/.

والمؤمن القويّ هو الذي يتحمّل المسؤولية خير من المؤمن الضعيف الذي يتهرب منها.

وإنّ أشرف المسؤوليات وأقدسَها وأوْلاها، أن تكون لأهله ولأولاده ــ الذين هم من بني جِلدته وغراسه ــ والأقربون أولى بتحمل مسؤولياتهم من غيرهم، وهذا هو منطق العدالة في تسلسل التبعات والمسؤوليات في الحياة.

الصحة العامة وحماية جسم الأمة من الأمراض الخطيرة

لم تعُد هذه الغاية من الزواج في الإسلام تحتاج إلى برهان ودليل.. فأهل الاختصاص في العلوم بصحة الأبدان وبالصحة العامة للأجسام، أصبحوا يشجعون الشباب على الزواج ويرونه ضرورة صحيّة هامة، تحفظ على الفرد،

والأمّة سلامة قوتها، ومنعتها من أن تذبل وتضعف وتغور في مجالات تائهة، ممّا حرّم الله، وأضرّ بالصحة العامة، وأخلّ بالشرف والمروءة، واستهان بالقيم والمُثل العليا. وما أكثر الأمراض المتفشّية، والمستعصي شفاؤها على جهابذة علماء الصحّة، الناجمة عن الإباحة الجنسية، أو الهروب من الفطرة الجنسية التي أودعها الله في الذكر والأنثى، ونظّم مجراها ومسيرتها، على أفضل ما يكون صحّة ومتعة، وصيانة لماء الحياة قوّة ومنعة من خلال نظام الزواج.

ويستفحل هذا الشذوذ بأنواعه وأشكاله، كلّما انحسر هذا الزواج، وقد روّج ثلة من شباب الدعاية إلى العزوبية، والحرية الجنسية... حتى إن أحدهم بلغ فيه الفجور إلى حدّ أن قيل له: لماذا لم تتزوّج؟ فأجاب بمجون فاجر ومستَهتر: «لماذا أتزوج وكلّ من في المدينة من فتيات زوجتي؟»

فهل يرضى تشريع أو يقبلُ قانونٌ ينظّم حياة البشر، أن يستهين بالصحة العامة للشباب والأمّة، فيقلل من شأن الزواج، ويجيز أو يقرّ مثل هذه الأحوال من الشذوذ الجنسي.

أمّا شريعة الله، وقانون السماء، وسنّة رسول الإسلام ﷺ، فقد حذّرت من ذلك، وهددت بعواقب هذه الأمور، وهي الدّمار للأمة والإنسانية. فقد جاء في الحديث: (إذا استحلّت أمتي خمساً، فعليهم الدمار..)، وعدّ منها: (..واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء) «رواه البيهقي».

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ (ما ظَهرت الفاحشة في قوم قط، يُعمل بها فيهم علانيةً، إلاّ أصابهم الطاعون، والأوْباء التي لم تكن في أسلافهم).

فهل بعد هذا الإعلام والبيان من رسول الإنسانية والإسلام، يبقى مجال لمتهوّر فيُؤوّل، أو يبرر، فيخرج عن هذا النظام العظيم، ويخرج عن آدابه لأسباب هامشية سطحيّة غير متّزنة ولا معقولة، وبدافع الغريزة الجنسية الهائجة.

ثم إن واقع الأمة اليوم، من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، يصيح من الفوضى الجنسية وعواقبها وويلاتها، ويستنجد بوضع حلول لها «ونظام الإسلام بين يديه، فيُعرض عنه». فهل توجد جريمة في قانون الحياة أعظم من أن يتجاهل الإنسان الطبيعة، ويخرج على الواقع ومما يؤيد هذا الواقع ما انعقد مؤخراً من مؤتمرات في الولايات المتحدة لبحث مشكلة العلاج الوحيد لمرض «الآيدز» ـ سرطان الحضارة الغربية ـ فوصلوا إلى قرار أخير: بأن العلاج الوحيد هو «العفاف» الذي يجب أن يكون في النساء والرجال، وتُرجِمَ العفاف «بالزواج» وفق قانون السماء ونظام الإسلام، والمعبر عنه في القرآن «بالإحصان والمحصنات».

فإلى هذا النظام العظيم أيها الشباب وإلى الزواج المبكر أيتها الفتاة، حفظاً للصحة العامة من الذبول، والقوة من الضياع، وصيانة للأجسام من الأمراض، وإرضاءً لله واتباعاً لسنة رسول الله محمد ﷺ، واستجابة لنداء الفطرة الإنسانية.

أفلا يسُوقنا هذا وعلى مَلأ من أسماع العالم أنّ هذا الإسلام «دين العلم والحياة، وضرورة لكلّ إنسان»!

خَلوة للعبادة وميدان رحبٌ لمجاهدة النفس وتقوى الله

هذه غاية دينية محضة، قلّ أن يلتفت إليها الشباب والشابات، بحكم أن الزواج اصبحَ سنة بشريّة، وعادةً مألوفة لتحقيق غايات أغلبها ماديّة ودنيوية... غير أنّ المشرع للزواج، استهدفها كغاية عظيمة في نظام تعامل المسلم مع ربه، وكغرض أساسيّ في علاقة الإنسان بالآخرة، بسبب غفران ذنوبه.

فتجد المشرع تارة يرى في الزواج وسيلة إلى غفران الذنوب، فيقول ﷺ: (من الذنوب، ذنوبٌ لا يكفرها إلا الهمُّ بطلب المعيشة) «رواه مسلم». ولن يصل الإنسان في كسبه لمعيشته إلى درجة «الاهتمام والهم» إلا إذا كان مسؤولاً عن زوجته وأولاده.

وتارة يرى فيه وسيلة إلى رفع درجات عند الله، بسبب الصدقات الّتي يقوم بها نحو أهله، وهي هنا النفقة الواجبة التي يأتي بها إلى زوجته وأولاده. فقد قال رسول الله ﷺ في حديث له: (ما أطعَمْت زوجَتك فهو لك صدقة) «رواه الطبراني»، وفي حديث آخر (ومن أنفق على امْرأته، وولده، وأهل بيته، فهي صدقة) «رواه أحمد». ولكنها صدقة واجبة، لا مِنّة فيها، ولا رِفْعة على أحد، بل رفعته وأجْره في ذلك على الله ومكنوزة له إلى يوم القيامة، يوم الحساب. ولربما المِنّة فيه تحبط عملَه، وتسقط درجات له في الجنة.

وبالجملة فإنّ من المعنى العام للعبادة، ومن مفهومها الواسع: أنّ كلّ عمل يقوم به المسلم، يبتغي به وجه الله عز وجل، فهو عبادة يثاب عليه،

حتى أنّ اللّقمة يرفعها الرجل إلى فم زوجته، إيناساً ومودّة ومحبة، فله بها أجر. يروي لنا سعد بن ابي وقاص قول رسول ا لله ﷺ (وإنّك لن تنفق نفقةً، تبتغي بها وجه ا لله، إلا أُجرتَ عليها، حتى ما تجعل في فيّ ـ أي فم ـ امْرأتك)، «رواه مسلم».

وفي الحديث إشارة إلى معنى أدق وأعمق من مدلول /الطعام والإطعام/ هو ضرورة الاهتمام بالمرأة والتعرّف على حاجاتها، وما يهمها في هذه الحياة ويرعاها بلطف وحب فيرفع بيده اللقمة إلى فمها ـ إيناساً ومحبة ـ.

فهل بعد كل هذا من جلال العبادة والتعبد بسبب الزواج، فليس لطالب علم يترفّع عن الزواج بحجة تفرغه لطلب العلم الشرعي، ولا لفتاة مسلمةٍ محجبةٍ، تحتجب عن الزواج وترفض الزوج المؤمن بحجة انشغالها في العلوم والتدريس، فإذا كانت الغاية رضوان ا لله، فبالزواج يتحقق كل ذلك لكل منهما كما بيّنا.

وقد روي عن ابن عباس قوله: «لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح» وهنا فضائل للأنثى المتزوجة لا تعدلها فضائل، فقد ورد (أيما امرأة مات عنها زوجها وهو راض دخلت الجنة)، فمن أين للراهبات والعانسات والناسكات دخول الجنة إذا عزفن عن الزواج.

الــزواج : ســبيل لتنظيـم الغريــزة الجنســية فــي مجـرى من الطُهْر والحلال.

الــزواج : سُنّة الفطـرة المحمديــة وســنن الأنبيــاء مــن قبل..

الــزواج : معيــن علــى التديــن، ومهيــن للشــيطان، وحصن حصين دون عدو الله إبليس.

مسائل هامة

(الآثار الهامه المترتبه على عقد الزواج)

ماذا يترتب من آثار عملية وهامة من عقد الزواج؟ قد يكون من المفيد بعد أن استعرضنا الأهداف الأساسية لعقد الزواج أن نأتي على ذكر أهم ثمار هذا العقد، وأعظم مستلزماته.. ومن الأزواج والزوجات من يغفل عن ذلك، وهو بنظري هام جداً:

١. أن تُعِفّ المرأة الزوجةُ زوجها وذلك بأن تلبيه لقضاء وطره دون عصيان أو ممانعة، كما في حديث رسول الله ﷺ (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فلم تأت، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة)، «نيل الأوطار جـ٦/٢٣١».

وكما في قوله ﷺ (لا يحلّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه). وفي كل هذا إشارة إلى تمكين الزوج من المتعة في أيّ وقت يرغبها، فإذا حجبتها بالصوم المسنون فله ان يمنعها من ذلك. كل هذا من أجل توفير الإعفاف له والتحصين له.

فكذلك من حقها عليه أن يعفها أيضاً عن الحرام، ومن الإعفاف ما ورد في السنّة «نهى رسول الله ﷺ أن يعزل عن الحرّة إلا بإذنها» ـ نيل الأوطار جـ٦/٢٣١ ـ. لأن هذا العزل قد يؤذيها نفسياً ولا يحقق لها كامل شهوتها.

إذ حاجتها للإعفاف لا تقل عن حاجتها للنفقة المادية، لذا فقد حذّر الزوج من إيذائها في هذا الحق، ومن إيذائها أيضاً الإيلاء

«بالإيلاء» وهو أن يحلف الزوج على أن لا يقترب من زوجته فترة زمنية طويلة، فقد تدخّل الشرع في ذلك وحدّد له فترة معينة كي يراجع نفسه وإلا فالطلاق. وذلك في قوله تعالى: ﴿**للّذين يؤلون من نسائهم تربّص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم**﴾ البقرة /٢٢٦/.

وكذلك من هذا الباب فقد حذرت الشريعة الزوج من مَنعها من هذا الحق من أجل أن لا يحرمها من الذرية والولد لأنه من حقها الحرص على ذلك، وعلى الرجل الزوج أن يتجنب إضرارها في الجانبين: في جانب الإعفاف، وفي جانب الذرّية... وإن هذا من العوامل الرئيسية لاستقرار بناء الزواج والسعادة فيه، لأن تأمين الحقوق للطرفين وضمان ذلك يساعد على الاستمرارية والبقاء في جو من الطمأنينة والمودّة والسكينة.

ولعلّ مما يشير إلى وجوب إعفاف الزوجة عن الحرام ما ورد عن عبد الله بن عباس: «كنت أتزيّن لزوجتي كما تتزين لي».

٢. وأن تحافظ على حرمة البيت، بأن لا تأذن لأحد بالدخول إلا بإذنه، وفي الحديث (لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد في بيت زوجها وهو خارجه..) ..إلخ الحديث.

٣. وطلب المشرّع من الزوج أن يكون معتدلاً في غيرته، وأن لا يكون متعنتاً إلى درجة إساءة الظن بأهله، كما في قوله ﷺ (إن من الغيرة غيرة لا يبغضها الله عز وجل، وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة)

«رواه أبو داود». بل عليه ان يحسن الظن بها ولايتحرى عثراتها فيؤدي هذا إلى وسوسة نفسية تخرب عليه الحياة الزوجية. وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخوّنهم أو يطلب عثراتهم) «رواه مسلم».

٤. كان بموجب عقد الزواج من حقه عليها أن تستقر في بيتها، وكان مقابل ذلك من حقها عليه أن يتواجد في بيت الزوجية، وأن يؤمن لها زيارات يخرج معها ليخفف عنها «قرارها في البيت» لا أن يستغل ذلك فيكون هو طليقاً وهي حبيسة بحجة الدين. وأن يؤمن لها ترفيهاً بريئاً بحيث لا يصل إلى حد فساد خلقها وإسقاط احترامه من نفسها. وحذره الشرع من منعها من زيارة أهلها وأهله، لأن في ذلك قطيعة رحم وهذا لا يجوز، وخاصّة زيارة أبويها.

وفي الحديث: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله) «رواه الترمذي والنّسائي». ومن حسن الخلق واللطف معها أن يسمح لها بزيارة أهلها وفق مواعيد محددة وفي حدود مصلحة الأسرة عموماً.

٥. ومن آثار هذا العقد أن من حقها على الزوج أن يهيء لها ما تحتاجه من معارف وثقافة وعلوم ضرورية لازمة وإلا خرجت من منزلها باذن زوجها وتعرفت على ما هي بحاجة إليه من معارف حتى تؤدي العبادة الصحيحة وتلتزم بالتكاليف المشروعة مما يساعدها على تربية أولادها وتعليمهم وتوجيههم وتنشئتهم النشأة السليمة والقوية ويكون تعلمها في حدود الضرورة التي ذكرها الفقهاء، وبأن لا ينعكس خروجها على

الإهمال في رعاية أولادها وزوجها. وإن لم يأذن الزوج بذلك وعدمت كل الوسائل فتفوِّض أمرها إلى الله وتقع المسؤلية على زوجها يحاسب عليه يوم الجزاء أو في الدنيا، وإن لم تقف الزوجة عند هذا الحد فلربما يقع الطلاق وتهدم الأسرة بكاملها فيكون الضرر أكبر وقد حدث هذا لأسرة تشرّد أولادها.

وقد اكتفينا بالتحدث عن آثار هذا العقد، نظراً لأن الرسالة قد استهدفت فكرة الوقاية والعلاج، وليس مطلق الحديث عن الزواج، ونجمل القول بأن آثار هذا العقد قد سمت فوق آثار سائر العقود بأجمعها، فقد شرّعت إجراءات معينة تستهدف بالشكل العام رفع الأذى والضرر اللاحق من أحدهما تجاه الآخر.. كل هذا بغية استمرار الزواج وصيانة هذا البناء من التصدع والانهيار.

وإن وضع هذه التوجيهات على الرف والإعراض عنها بسبب أنها هامشية وصغيرة من قبل الزوج والزوجة، فإن هذا ليذكرني أن اقول لأمثال هؤلاء «وإن معظم النار من مستصغر الشرر»، والذي لا يحسب لا يسلم من عاديات الزمان.

البحث الرابع:

هل الأفضل لك الزواج أم العزوبة؟

أ- الأديب مصطفى صادق الرافعي يجيب على ذلك في حوار هادف بين الأديب الإسلامي الرافعي ومهندس عازب. مَن هو الرجل العازب في حوارنا: هو من يكون مستطيعاً للزواج وقادراً عليه، ولا يتزوج بل يركب رأسه في الحياة، وينتحل لها المعاذير الواهية ليبقى عازباً.

إنه ذلك الشاب الزائف المُبهرج يُحْسَبُ في الرجال كذباً وزوراً لا تكمل الرجولة إلا بمعاني تكوينها وأخص هذه المعاني إنشاء الأسرة والقيام عليها - أي فلا يعيش غريباً عن وطنه وهو معلود منه... ثم يقول:

(لقد رأيت بعينيّ أثاث العَزَب في بيته، كأنما يقول له الفرش بِعْني يا رجل ردّني إلى السوق، فإني هنالك أطمع أن يكون مصيري إلى أب وأم وأولاد أَجِد بهم فرحة وجودي، وأصيب في معاشرتهم بعض ثوابي، وأَبْلَى تحت أيديهم وأرجلهم فأكون قد عملت عملاً إنسانياً، أمّا عندك فأنت خشبةٌ مع الخشب، وأنت خرقة بين الخرق) ثم يقول شهد العزب وربّ الكعبة على نفسه أنه شقيّ بالسعادة، وشهد الوطن وا لله عليه أنه مخلوق فارغ - وإنه شحّاذ الحياة أحْسَن به الأجداد نَسلاً باقياً ولا يُحْسن هو بنَسل يبقى، يموت وجود العزب بالانتقال إلى ربه فخرج من الوطن أبتر لا عقب له.

• سمع المهندس وصف العزب بإصغاء ويقظة وسمع إلى مصيره في النهاية.

فقال لمحدثه: كيف تكرهني على الزواج، وتعنفني على العزوبة وتعيبني بها، وإنما أنت كالذي يقول: دع الممكن وخذ المستحيل؛ إن استحالة الزواج هي التي جعلتني عَزَباً، والعزوبة هي التي جعلتني فاسداً. قلت له: لقد هَوّلت عليّ، فَلِمَ استحال عليك ما امكن لغيرك، وكيف بلغت مصر (في حينها) خمسة عشر مليوناً؟ أمِنْ غير آباء خلقوا، أم زُرِعوا زرعاً؟ اسمع - ويحك لا يكون الرجال قد تحلّلوا وتوجّعْت، أو أُقلموا وخَنّسْت، واسترجلوا وتأنّثت. قال المهندس: ليس شيء من هذا. قلت ما حملك على العزوبة إذاً. قال: أليس مستحيلاً ثم مستحيلاً أن يجمع مثلي يَده على مائة جنيه يدفعها مهراً - وما طرقت - علم ا لله - باباً إلا استقبلوني بما

معناه: هل انت معجزة مالية؟ هل أنت مائة جنيه؟ قلت: فإن عملك يُغِلّ عليك في ألسنةمائة وثمانين ديناراً فلِمَ لا تعيش سنة واحدة بثمانين فتقع المعجزة. قال المهندس: (وبكل أسف) لا يستطيع العزب أن يدخر أبداً. قلت: تنفق ما يكفي عدداً وتضيق بواحدة. ويتوسع العَزَب ضروباً وألواناً من ملذات الحياة وشهواتها وهو فرد كأنّه وهو في إنفاقه جماعة. إن كان هذا هو أصل الرأي عند العزب فالعزب إنسان خَرّبَ كل جهة إنسانية.

ثم يعلّق الأديب الرافعي بعد هذا بقول: فالعزوبة تبتليهم بالخوف من التبعات حتى ليتوهم العزب أنه إن تزوج لم يدخل على امرأة ولكن يدخل على معركة.ولم ينته الحوار مع المهندس ولكن في تصوري في هذا القدر كفاية وفي هذا الحوار حكاية بليغة لكل عازب يفكر بعين بصيرته لا بعيون بصائر الآخرين فيرسي حاله كعازب ويركض ليتزوج فهل بعد هذا الزواج أفضل أم العزوبة.

ب- إنّني أدَع الجواب لحجة الاسلام الإمام الغزالي الذي رحم ا لله به الأمة بعلمه الجمّ ونفعه العام، وقد سلك الإمام في الرد على هذا السؤال بذكر مقدمة مطوّلة نوجزها بدون خلل إن شاء ا لله.

هذه المقدمة تشمل: فصلين ولكل فصل عناصره الخاصة به.

أ- **الفصل الأول**: فوائد النكاح وثمراته، وهي:

١- الرغبة في الولد.　　٢- كسر الشهوة.

٣- وتدبير المنزل.　　٤- وكثرة العشيرة.

٥- ومجاهدة النفس بالقيام بشؤون الزوجة والأولاد.

ب - **الفصل الثاني**: آفات النكاح وسلبياته، وهي ثلاثة:

١- الوقوع في العجز عن طلب الحلال من أجل كسب المعيشة فيسلك الكسب الحرام.

٢- القصور عن القيام بحق الزوجة والأولاد ثم عدم الصبر عن أخلاقهن وتربيتهن.

٣- أن يشغله الأهل والولد عن الله تعالى وعن أداء الواجبات الدينية بسبب السعي لطلب الدنيا بكثرة جمع المال للأولاد وادخاره لهم.

وإن الإمام الغزالي في كتابه «آداب الزواج» قد أطنب في شرح كل عنصر من هذه العناصر الثمانية وذكر لها أدلة شرعية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح فمن أراد التوسع فليرجع إلى الكتاب.

وما يهمنا الآن ذكر الموازنة التي أجراها بين هذه العناصر الثمانية وتوابعها ليقرر بعد ذلك هل الزواج أفضل أم العزوبة..؟!

فيجيب الإمام الغزالي رحمه الله أن الحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح مطلقاً أو العزوبة مطلقاً أي دون الرجوع إلى التحقق من هذه الأمور حكم غير سليم، بل عليه أن يتخذ من هذه الفوائد والآفات محكّماً ـ يعرض من يريد النكاح على نفسه ذلك فإن انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد التي ذكرناها بأن كان له مال حلال وخلق حسن وهِمَّةٌ في الدين لا يشغله النكاح عن الله، وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة، ويعيش منفرداً يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصّن بالعشيرة، ولديه رغبة في السعي لتحصيل الولد. فمما لاشك فيه أن النكاح له أفضل وأثوب، فإن التقت هذه الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة له أفضل، وهذا استنتاج طبيعي. ثم يقول الإمام فإن تقابل الأمران وهو الغالب، فينبغي أن يوزن بالميزان، حظ تلك الفائدة في الزيادة في دينه، وحظ تلك الآفات في النقصان من دينه، فإذا غلب الظن رجحان أحدهما حكم به.

ـ ثم إن الإمام لئلا يدعك أيضاً في حيرة من أمرك فقد أخذ بيدك ليبيّن لك درجات أهمية هذه الفوائد والآفات فقال: إنَّ أظهر هذه الفوائد وأفضلها:

١ـ الولد.

٢ـ تسكين الشهوة.

وإن أظهر هذه الآفات وأخطرها:

١- الحرام.

٢ـ الانشغال عن الله تعالى.

ثم تابع الإمام يقول: فلنفرض تقابل هذه الأمور في المسائل الآتية:

المسأله الأولى:

حالة شاب لم يكن عنده أذيّة من الشهوة لوتركها، ولكن له فائدة من النكاح في السعي لتحصيل الولد، وكان إلى جانب ذلك الآفة بالكسب الحرام والانشغال عن الله بذلك فالعزوبة له أولى إذ لاخير فيما يشغله عن الله ولاخير في كسب الحرام، ولايسدّ نقصان هذين الأمرين أمر الحصول على ولد، فإن النكاح للولد سعي في طلب حياة للولد موهومة وما هو عليه لو أراد الزواج لكان نقصان في الدين ناجزاً إذاً فحفظه لحياة نفسه عن الهلاك أهم من السعي في الولد.

المسألة الثانية:

أما إذا أضيف إلى أمر الولد الحصول على حاجة كسر الشهوة لِتَوَقَان النفس إليها عن طريق النكاح. نُظِر فإن خاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه أصبح متردداً بين أن تقتحم نفسه الزنا أو يأكل الحرام. فالكسب الحرام أهون الشرّين، فالزواج له أفضل.

المسألة الثالثة:

أن يخاف من عدم قدرته على غض البصر ومستلزماته، أن يفضي به ذلك إلى معصية الفرج فيرجع أمر هذه الحالة إلى خوف العنت، فالنكاح أولى.

وهذا كله فيما لو عجز عن الكسب الحلال أما إن قدر على الكسب الحلال له ولزوجه ولأولاده فالنكاح أفضل.

وبعد عرض هذه المسائل فقد فرّع الإمام على ذلك مسائل وصوراً فرعية كثيره وَيُرجَع بها إلى الكتاب الذي أشرنا إليه. ثم طرح الإمام صورة نحن بأمسِّ الحاجة اليوم إلى طرحها نظراً للجدل الذي يدور بين مَنْ هم من أنصار العبادات والخلوات شباباً وشابات وبين المنسجمين مع الشريعة الإسلامية في فطرتها من حيث الجنس والحياة بشكل عام.

فيقول الإمام: فَمَنْ أَمِنَ من الآفات الثلاث فما هو الأفضل له هل التخلي عن النكاح، انشغالاً بطاعة الله وبدروس العلم أو النكاح؟ فيجيب الإمام على ذلك بقوله: يَجْمع بينهما لأن النكاح ليس مانعاً عن التخلي عن العبادة وكسب العلم، ولأن في كسب الحلال والقيام بالأهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على أخلاق بعض الزوجات وعلى احتمال الأذى منهن، والسعي في اصلاح تربية أولاده فهذه أعمال عظيمة الفضل وهي من أجَلّ العبادات. وقال ليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط فالمعاناة مع الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله. وقد قال ابن المبارك وهو مع أخوانه في الغزو: (تعلمون عملاً أفضل مما نحن فيه؟ قالوا: مانعلم ذلك. قال: أنا أعلم، قالوا: فما هو؟ قال رجل متعفّف ذو عائلة، قام

من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكشّفين فسترهم وغطّاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه) ثم بدأ الإمام يؤيد ماذهب إليه بكتاب ا لله وأحاديث الرسول وأقوال الصحابة والسلف، ففي الحديث: (إن ا للّٰه يحب الفقير المتعفف أبا العيال) وفي الحديث ما معناه: (إن من الذنوب ذنوباً لا يكفّرها إلا الهَمّ بطلب المعيشة). ولا ننسى أن ننوِّه أنّ ما يقال في حق الزواج وشؤون الأسرة يقال في حق الزوجة واحتمالها شؤون زوجها وأولادها. وفي هذا القدر كفاية وا لله الموفق.

ماهي صفات الزوجه الناجحه المثالية؟

قد يكون من العسير اليوم أن تجد الزوجة الصالحة: أي الزوجة المثالية، ولكن هذا لايعني أن لا نتحدث عنها ونتعرف عليها. فلربما من خلال هذا التعرف نقع على كثير من أوصافها. فماهي إذاً أوصافها؟.

ولابد قبل أن نفتح الباب على مصراعيه في هذا البحث أن ننوّه أن أغلب هذه الصفات مأخوذة من القرآن والسنة وأعمال الصحابة والتابعين، ومن دروس الحياة الإجتماعية. ويمكننا أن نجمل هذه الصفات بثماني صفات نتكلم بإختصار عن كل منها.

الصفة الأولى

أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل، والمقصود بالتدين في هذا المجال هو حسن عشرتها مع زوجها على وجه يرضي ا لله، أي علاقتها بزوجها على وجه يرضي ا لله. وكثيراً مايحدث تساؤل لدى الشباب والشابات لماذا تركزون على الصفة؟

فالجواب بإختصار شديد أنها لو كانت ضعيفة الدين والتدين فلربما تكون ضعيفة الدين في صيانة نفسها وبذلك: تكون قد أزْرت بزوجها وسوّدت بين الناس وجهه وسمعته، وإذا كانت مع فساد الدين جميلة كان بلاؤها أشد، إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويصبح هذا الزوج أشبه بالرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: (يا رسول الله إن لي امرأة لاتردّ يد لامس - يهون عليها عرضها وشرفها - قال رسول الله: طلّقها، فقال: إني أحبها. قال: أمسكها) «رواه أبو داود».

وإنما أَمَرَه بإمساكها خوفاً عليه لأنه إذا طلقها تبعها وفسد هو أيضاً معها، فرأى رسول الله في دوام نكاحه مع دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى. وعلّق الإمام أحمد رحمه الله على الحديث: لم يكن ليأمره بإمساكها وهي تفجر، لعله يقصد أنها تعطي مِن ماله من يطلب منها دون إذنه لها.

ثم إن من أخطار فساد الدين عند الزوجة أنها مسرفة في مال الزوج فلم يزل عيشه مشوشاً معها فإن سكت و لم ينكر كان شريكاً لها في المعصية مخالفاً لقوله تعالى: ﴿**قوا أنفسكم وأهليكم**﴾ التحريم: /٦/ وإن أنكر وخاصم تنغص العمر معها ولهذا بالغ رسول الله ﷺ في التحريض على ذات الدين فقال: (تُنْكح المرأه لمالها وجمالها وحسبها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يداك) «رواه البخاري». وفي الحديث: (مَن نكح المرأة لمالها وجمالها حُرم جمالها ومالها، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها) «رواه الطبراني».

وإن أهم ما في الدين من الزوجة أنه تحفظ له ماله، وعرضه، فلا تفرط في ماله ولاتسرف في صرفها وتتجنب الفاحشة تجاه الآخرين، وتتجنب

السهرات العامة والاختلاط وغير ذلك من الأمور التي تنغص على الزوج حياته. وهذا أمر هام بالنسبة للسعادة الزوجية عند أولي الألباب، وقد تعرضنا إلى شيء من أحوال فاسدة التدين وهناك الكثير منها عند بعض الزوجات.

الصفة الثانية

حَسَنةُ الخلق والمعشر: إن هذه الصفة هامة جداً وهي الوسيلة لاستمرار الزواج أوفشله لأنها إن كانت مَثلاً، سليطة اللسان بذيئة الكلام، سيئة العشرة بوجه عام، وكافرة للنعم التي تُقَدم لها من زوجها، كان الضرر منها أكثر من نفعها. والصبر على لسان النساء السليط مما يمتحن به الأولياء.

قال بعض العرب: (لاتنكحوا من النساء ستة: لا أَنّانَة، ولا مَنّانَه، ولا حَنّانَه، ولا حَدّاقة، ولا بَرَّاقة، ولا شَدّاقة)

أما الأنّانة : التي تكثر من الأنين والتشكّي وتَعْصِبُ رأسها.

أما المَنّانه: التي تَمُنّ على زوجها فتقول فعلتُ لأجلكَ كذأ وكذا.

أما الحَنّانة: هي التي تحن إلى زوجها السابق أو إلى ولدها من زوج آخر.

أما الحدّاقة: التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها (عيونها) فتشتهيه وتكلف الزوج بشراءه.

أما البرّاقة: تكون طوال النهار تُصْقل وجهها وتزينه ليكون لوجهها بريق مصّنع.

أما الشدّاقة: المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قول الرسول عليه السلام (إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدّقين). «رواة الترمذي، وغيره» فهذه الأقوال تدل على الأخلاق غير المطلوبة في الزوجة. فلا تكفي أن تكون ذات دين مع هذه الأخلاق البغيضة، فعلى الخاطب أن يتريث ويبحث عن مخطوبته فلا تكفي النظرة العابرة والسمعة الطارئة.

فهل زوجتك يا ترى على هـذه الخصال أو على بعضها. فإذا كان الأمر كذلك فتدبّر أمرك. وعالج داءك. واصبر على ماأصابك فإن ذلك من عزم الأمور.

الصفة الثالثة

حَسَنةُ الوجه والمنظر: نعم إن هـذا مطلوب إذْ به يحصل التّحصّن، والطبع لا يكتفي بالدميمة غالباً إلا إذا نظر إلى أن الزواج بُلْغة ووسيلة، فقد أجاب الإمام الشافعي رضي الله عنه حين طلب منه أن يتزوج على زوجته الدميمة، فقال: إن الزواج بلغة (لتحصين الزوج) وهـذا حاصل والحمد لله. وما ورد في الأحاديث أن المرأة لاتنكح لجمالها، زاجراً عن رعاية الجمال، فهو زجر عن النكاح لأجل الجمال فقط مع الفساد في الدين. ومن مزايا الجمال في المرأة.. أنه يوجِد الألفة والمحبة ولذلك استحب النظر إليها، فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما) أي أحرى أن تدوم المودة بينكما ويؤلف بينكما. طبعاً هـذا في حال ما إذا أراد الزواج وهو يفتش على مخطوبة له.

وقال الأعمش: (كُلّ تزويج يقع على غير نظر فآخره هَمّ وغَمّ) فالتلذذ بالمباح من الجمال حصن للدّين زوجاً أو زوجة.

ومن خطر الجمال على المرأة هو شدة غرورها بجمالها وتشتهي عليه الشهوات من كساء وسهرات ونزهات. فتبصّر بأمرك أيها الزوج والخلاص من ذلك أن لاتكون شديدة الجمال ولا مَلِكة جمال، والتأمل في هـذه العبارة التي جاءت في الحديث: (إذا نظر إليها سرّته) أي: مقبولة غير دميمة. وفي

الحديث: (خير نسائكم من إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله) «رواه ابن ماجه وأحمد».

الصفة الرابعة

خفيفة المهر قليله: نهى الإسلام عن المغالات في المهور والتنافس فيها واعتبارها رمز تكريم الأسرة وعلّو شأنها، وتكفي المغالات سوءاً أنها تقلل من إقبال الشباب على الزواج وأنها سبب لكثرة العوانس من الفتيات وكثرة العزّاب من الشباب. وهذا ما يخالف جوهر الدين وتعاليمه، ومأأدى إلى ذلك يكون غير مرغوب فيه وليس من عمل الخير في الإسلام. وقد نهى عمر رضي الله عن المغالات في الصداق ويقول: (ماتَزوّج رسول الله ﷺ ولا زَوَّج بناته بأكثر من أربع مئة درهم، ولو كانت المغالات بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله ﷺ) «رواه مسلم».

وعلى هذا درج أصحاب رسول الله ﷺ وبعض التابعين فقد زوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة على درهمين ثم حملها هو إليه ليلاً وأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها. وفي الخبر (بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها «الولادة» ويُسِّر مهرها) «رواه الإمام أحمد». وقد قال رسول الله ﷺ: (خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً) وتكاد تجمع الأحاديث على ربط البركة في المرأة والخير فيها بسبب قلة مهرها لماذا؟ الله ورسول أعلم بذلك وهنالك نقطة هامة جداً يجب الإنتباه إليها أيها القارئ وهي كما تكره المغالات في المهر من جهة

المرأة، فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل فلا ينبغي أن ينكحها طامعاً في مالها أو مال أبيها أو مال تركتها.

قال الثوري: (إذا تزوج وقال: أي شيْ للمرأة فاعلم أنه لِصّ) ويسوقنا الحديث ونحن نتكلم على المال الحديث عن الهدايا خلال الخطبة والزواج.

إذا أهدى الزوج إلى المخطوبة أو إلى أهلها فلا ينبغي أن يهدي طمعاً إلى المقابلة بأكثر مِمّا أهدى. وكذلك إذا أهدوا إليه، فنيّة طلب الزيادة فيه فاسدة شرعاً وداخل قي قول ا لله تعالى: ﴿**ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِر**﴾ المدثر:٦/ أي تعطي لتطلب أكثر، فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يجعله يشبه التجارة ويفسد مقاصد النكاح.

أما التهادي بدون هذه النيات فهو مستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام: (تهادوا تحابوا) وفي لفظ آخر: (تصافحوا يَذْهَب الغِلّ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء) «رواه مالك في الموطأ» ولا بد من التنويه بأن الترغيب في عدم المغالات في المهر والقلة في مقدارها لا يعني عدم جواز المهور مهما بلغت فإن موضوع عدم المغالات من باب الأفضل والأولى والندب. وعليه يجمع بين قول سيدنا عمر من عدم المغالات وقول المرأة في الرد عليه بقول ا لله تعالى: ﴿**أو آتيتم إحداهن قنطاراً**﴾ فقولها لبيان الجواز وقوله رضي ا لله عنه لبيان الأفضلية.

الصفة الخامسة

أن تكون المرأة ولوداً: فإذا عُرفت المرأة بالعقم لأسباب صحية أو لقرائن من الأهل أو غير ذلك فيفضل عدم الزواج منها، فقد قال عليه السلام:

(عليكم بالولود الودود) «رواه أحمد». وفي حديث أخر: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) «حديث صحيح».

فإن لم يعرف حالها فينظر إلى متانة صحتها وقوة نشاطها وإلى حيوية شبابها فإنها تكون ولوداً في الغالب مع هذه الأوصاف، فيسعى في الزواج منها.

الصفة السادسة

أن تكون بكراً: قال عليه السلام لأحدهم وقد نكح ثيباً: (هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك) « رواه البخاري». وفي البكارة فائدتان:

١- أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود وقد قال عليه السلام: (عليكم بالودود) والطباع مجبولة على الأنس بأول ما تألف. أمّا التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لاترضيها بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته.

٢- إن الثيب تحن إلى الزوج الأول ـ وأكثر الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً.

فلا غرابة أن نرى السيدة عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله أرأيت لو نزلتَ وادياً وفيه شجرة قد أُكِل منها وشجرة لم يؤكل منها، من أي منها كنت ترتع بعيرك فقال ﷺ: من التي لم ترتع منها قالت رضي الله عنها فأنا هي) «رواه البخاري».

وقد قال عليه السلام: (عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً وأقل حباً وأرضى باليسر) «رواه ابن ماجه».

الصفة السابعة

أن تكون نسيبة الزوج: المراد من هذه الصفة ـ أن تكون من أهل بيت العلم والصلاح، لأنها ستربي بناتها وبنيها على الغالب على ذلك، فإذا لم تكن مؤدبه لم تحسن التأديب والتربية لأولادها، وقال عليه السلام: (تخيَّروا فإن العرق نزّاع) «رواه ابن ماجه» وقال صحيح الإسناد.

والغالب بأن الأسرة التي ذات أرومه وحسب ونسب. تكون محافظة على كيان الأسرة وسمعتها بالحفاظ على أدب بناتها وأولادها لذلك مثل هذه الأسر تفضل على غيرها.

فالهدف من هذه الصفة الأدب والأخلاق والتربية الحسنة وليس مجرد العصبية والعشائرية كما كان عليه العرب في الجاهلية من التفاخر بالأنساب والتعصب لها أي لمجرد ذلك فإذا اجتمعت أرومة الأصل بمعرفة الحسب والنسب مع التربية الحسنة فلا شك أن ذلك أفضل وأنجح للزواج وهذا ما هدف إليه الإسلام.

الصفة الثامنة

أن لا تكون من القرابة القريبة: إنها صفة هامة جداً يجب تجنبها ولايشجع عليها لما هو عليه الحال عند أغلب الأسر.

قال ﷺ: (لاتنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً) أي نحيفاً وبسبب هذا تفضل المرأة الأجنبية على ذوات القرابة حرصاً على نجابة الولد وضماناً لسلامة جسمه من الأمراض السارية والعاهات الوراثية. وقد أثبت علم الوراثة أن الزواج بالقريبة يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم، وأيضاً من ناحية الذكاءوالعادات الخلقية.

وهنالك نقطة هامة أخرى تترتب على الزواج من القريبة وهي أن الزواج منها يضعف الشهوة وتَقِلّ على المدى البعيد فإن الشهوة عادة تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس بالأمر الجديد أما المعهود الذي دام النظر إليه فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة والأمور دائماً في بدايتها وقوابلها. والزوج في البداية بحاجة إلى شهوة أقوى وأشدّ لتكون أدعى إلى أن يحصن الزوج والزوجة بذلك.

ما هي صفات الزوج الناجح المثالي

بعد الاسهاب في الحديث عن الخصائص والصفات المرعية في اختيار الفتاة للزواج..

فلا بد من كلمه محملة عن الحديث عن صفات الزوج فيجب على الولي أن يرعي خصال الزوج ويتأكد من توفر هذه الصفات فيه فلا يزوجها ممّن ساء خلقه أو ضعف دينه، أو يقصر في القيام بحقها بأن لا يكون له مورد رزق ولا يحب عمله أو ليس كفؤاً في نسبها وفي البيئة الأجتماعية وفي عمرها وثقافتها، فعلى الولي أن ينظر أين يضع كريمته فقد قال عليه السلام: (النكاح رقّ فلينظر أحدكم أين يضع كريمته) «رواه البهيقي».

وليعلم الولي أن الاحتياط من حق كريمته أهم وأولى لأنها تصير بالنكاح وكأنها رقيقة لامخلص لا فالزوج قادر على الطلاق فإذا أساء الاختيار فقد تعرض لسخط ا لله وغضبه.

قال عليه السلام: (من زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها) «رواه ابن حيان». وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة: فممّن أزوجها قال: ممّن يتقي ا لله (فإن أحبّها أكرمها وإن أبغضها لم يَظْلمها). ولعلّ هذه الصفات من باب الاحتياط لدوام الزواج واستقراره.

هل الزواج حظ ونصيب؟

إن ثمرة هذا البحث عن صفات الزوج وصفات الزوجه والاسهاب في ذلك، وذكر الشواهد له من القرآن والسنة وأقوال الصحابة ليجيب على هذا السؤال ـ بأن الزواج ليس حظاً ولابطيخة لا يعرف مافي بطنها حمراء أو بيضاء ونفصّل في الإجابة فتقول إذا كان المراد من كلمة حظ أونصيب أن نقعد فلا نتحرى عن الصفات ولا نبحث عن أهلية الزوج أو الزوجة وكفاءتهما أو نقصّر في ذلك ونملّ إذا كان الحظ أن نتلقى أي شاب خاطب أو يتلقى أي فتاة يراها وتُفرض عليه بحجة أن الزوجة نصيب والزواج نصيب فيتزوج أو يوافق على الزواج إذا كان هذا المراد فهو مخالف للشرع ومخالف لتعاليم الإسلام، وإذا كان الأمر كذلك إذاً فنحن نتساءل لماذا وضع رسول ﷺ صفات وقيوداً للفتى والفتاة ـ دينه، خلقه، معشره إلى آخر ذلك ولماذا تعرض القرآن الكريم إلى قوله تعالى: ﴿**الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات**﴾ وإلا ترك الباب مفتوحاً لأي طارق وطارقه وقال بالحظ بعدها. إن الإسلام يدعو إلى البحث والتحري بدقة على التعرف على صفات الخاطب والمخطوبه ليتم الزواج على نور وبصيرة.

ومن أجل اهتمام الإسلام بذلك سمح وأذن لمن يسأل ويُستَشْهد في خلق الخاطب أو المخطوبة عن أخلاقه أو أخلاقها أن يذكرها بما فيها أو فيه سواءً كانت الأخلاق حسنة أم سيئة، ولم يعتبر هذا غيبة ولانميمة لأن فيه مصلحة لبناء هذا الزواج وهذه الأسرة.

فكما تبحث عن شريك لـك في التجارة أو عـن طبيب لـك لإجـراء عملية ولا تقصر في ذلك أبداً، وتعتمد على الحـظ فـإن أمـر الـزواج أهـم مـن ذلك. إذاً ليس الزواج حظ ونصيب إنما هي مقولة العوام ومقولة الكسالى مـن الأولياء ولايوجد أي حديث أو آية أو قول لصحابي شاهداً على هذه المقولة.

إنما المطلوب البحث والتحري والسؤال وهذه أمور لاتبنى على الصدفة والحظ. وقد قلت لأحدهم وأنا أحاوره في هذا يمكن أن تعرف ما في البطيخـة إن كانت حمراء أم بيضاء مثلاً. وإن كنت لاتعلم فاسأل خبيراً عن ذلـك فقـد سألت بنفسي عن ذلك فأجابني، وليس هذا هو مقام الإجابـة بـالتفصيل، وإن كان المراد من (الحظ والنصيب) أنها خلقت مـن ضلعـك ومقـدرة لـك فهـذا صحيح ولكن لا يمكنك التعرف على ذلك إلا بعد تعاطي أسباب البحث وفق ما أمر الشرع به ولايعفيك هذا عن عدم البحث والتحري لأنه مخالف للشـرع كالرزق تماماً فهو مقدر ونصيب ولكن عليك تعاطي الأسـباب والبحـث عنـه دون تقصير حتى تتعرف على مكانه ومقـداره، فكذلـك الفتـى والفتـاة يجـب البحث عنهما، وهذا أمـر متيسـر جـداً ولكـن يحتـاج إلى ترتيـب وطولـة بـال وحساب دقيق والذي لايحسب لايسلم من العواقب وا لله الموفق.

آداب المعاشرة الزوجية

إن مراعـاة هـذه الآداب مـن قبـل الزوجـين عـامل هـام جـداً في دوام الأسرة واستقرارها وقد بلغت الآداب إلى اثـني عشـر أدبـاً سـنتعرض إلى بيـان ستة منها وبإختصار. ومن أراد المزيد فإن في الكتب المطولة عـن الـزواج يجـد

الإنسان حاجته.. وإن سبب اختيار الستة نظراً لأهميتها في حياتنا الأسرية المعاصرة.

الأدب الأول: حُسْن الخلق معهن

إن حسن خلق الزوج مع زوجته لايكون له الامتياز والأفضلية إلا إذا كان به مفهوم إحتمال الأذى من زوجته ــ وذهب بعض المفسرين لقوله تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾ احتمال أذاها والدفع بالتي أحسن. إذاً ليس حسن الخلق معها كفّ الأذى عنها من فبل الزوج بل احتمال الأذى منها ومن ذلك الحلم عند طيشها وغضبها إقتداء برسول ا لله ﷺ (فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وترد عليه بل تهجره أحياناً يوماً إلى الليل) «رواه البخاري».

بل هناك أبلغ من ذلك لقد روي انه دفعت إحداهن في صدر رسول ا لله ﷺ فزجرتها أمها فقال عليه السلام: (دعيها فإنهنّ يصنعن أكثر من ذلك).

وتأكيداً لهذا المبدأ فقد فسر بعض العلماء كلمة ﴿**والصاحب بالجنب**﴾ النساء :/٣٦/ هن الزوجة.. حقاً وكيف لايكون لها حق الصحبة وهي أم أولاده. وإن مشروعية هذا الأدب في الإسلام سنده أن رسول ا للهﷺ كثيراً وصّى بالنساء عموماً وبالزوجات خصوصاً ومنها آخر ما وصى به الرسول ﷺ ثلاثاً كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه يقول: (الصلاة الصلاة، وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون ،ا للهَ ا للهَ في النساء فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة ا لله واستحللتم فروجهن بكلمة ا لله) «رواه الترمذي».

وقد قيل آخر ماودع رسول الله الحياة وهو يقول: (استوصوا بالنساء خيراً). وفي حديث آخر شبههن بالقوارير رقة وحساسية والحفاظ عليها فلا تُكْسَر القارورة حتى تُحْدث فيها تصدعاً ولعلّي أختم هذا البحث بأبلغ أدب رسول الله ﷺ مع السيدة عائشة زوجته في تحمله الأذى منها.

قالت له مرة في كلام غضت عنده: (أنتَ الذي تزعم أنّك نبي الله فتبسم رسول الله ﷺ حلماً وكرماً) «رواه أبو يعلى في مسنده».

وإن المسلم والمسلمة ترى في رسول الله ﷺ القدوة المثلى والقدوة الحسنة ـ فأين رجالنا وأزواجنا اليوم من هذه القدوة الحسنة.

الأدب الثاني: المداعبة والمزاح والملاعبة

إن مداعبة الزوجة ـ والمزاح معها وحتى ملاعبتها أمورٌ هامة جداً من أجل الشعور بالسعادة الزوجية ففيها تَطِيْبُ القلوب وتُحَرَّك المشاعر الخفية في تبادل الحب ثمّ التضحيات في الخدمات المنزلية. وأريد أن أذكّر الزوج بأمر هام جداً هو أن الله خلق في مكامنها النفسية والفطرية كأنثى وكزوجة بشكل خاص منازع التضحية بكل ماتملك لادخال السرور وإسعاد الزوج، وإن وسائل تحريك هذه المكامن الوجدانية الطيبة يكون بهذه الوسائل الثلاث في الأدب الثاني للزواج ـ وكلما حركت هذه المكامن فاح عطرها وفاض منها كل ماتتوقع من إدخال السرور والسعادة واستقرار الزواج. فقد يخطر للقارئ أن حياة زواج قائم ودائم السعادة حاصل دون المداعبة والمزاح والملاعبة فجوابي على ذلك لو جرّب تنفيذ هذا الأدب لغمرته سعادة في

الزواج أكثر مما هو عليه الحال. وقد يتعايش زوجان ـ عيش جَسد مع جسد وعيش مصالح تَخْفَى فيها السعادة الحقيقية.

ثم إن المزاح والمداعبة والملاعبة سميت أدباً من آداب الزواج فهي من الآداب الحسنة والراقية وليس فيها قلة أدب أو انحطاط لقدر الزوج كما يخيل لبعض الأزواج الذين هم بعيدون عن روح التشريع وآدابه في الزواج. وإليك الدليل الشرعي وما ارتآه الشرع أدباً حسناً فهو حسن، فقد كان رسول الله ﷺ يمزج مع زوجاته حتى روي أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العَدْوِ وفي الركض فسبقته يوماً وسبقها لبعض الأيام فقال عليه السلام: (هذه بتلك) تطيباً لخاطرها. رواه أبو داود وإسناده صحيح على شرط البخاري. وقال عليه السلام: (خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائه) «رواه الترمذي». وقال أيضاً: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهلهم) «رواه الترمذي».

ومن اللطف بأهله والملاطفة هو المزاح والمداعبة فهذا هو معنى الملاطفة وإلا فبماذا تكون الملاطفة.

لو خلا مخدَعُ الزوجية من المداعبة والمزاح لتحول إلى قطعة جماد لا حركة فيها، فالمظاهر الخلابة والزينة الصارخة لا تجلب السعادة المعنوية بدون ملاطفة. فهذا سيدنا عمر رضي الله عنه المتمثلة الرجولة فيه كان لا يرى أبداً أن يكون الرجل مع زوجته رجلاً بمعنى الرجولة. وإن معنى الرجولة عند البعض أن تكون خالية من المداعبة والمزاح فيقول رضي الله عنه ينبغي للرجل أن يكون في أهله – بين أهله – مِثْل الصبي وإذا كان خارج المنزل بين القوم

يكون رجلاً تتجسد فيه الرجولة. هل تتصور أيها القارئ الكريم ـ أن رسول ا لله ﷺ كزوج يقف لزوجته عائشة طويلاً، وتقف وراءه وقد وضعت ذقنها على كتفه ليدخل السرور عليها في النظر إلى العاب فتيان من الحبشة بمناسبة العيد كانوا يتجولون في الطرقات وكانوا يقومون ببعض الألعاب ليدخلوا السرور على الناس وليعبروا عن أفراحهم بمناسبة العيد. وبقي رسول ا لله واقفاً طويلاً حتى قالت لرسول ا لله ﷺ حسبي حسبي، كفاني متعة ونظراً. وحينها أشار رسول ا لله إلى الفتيان الحبشة أن ينصرفوا..

فهل بعد هذا قول للقائل أن مداعبة الزوجة والمزاح معها ينقص من شأن رجولة الزوج؟ فلو قال أحد ذلك بعد ماسمع فعل الرسول عليه السلام مع زوجاته، فقد ضل سواء السبيل فالرسول عليه السلام مااصطفاه ربه إلا على أكمل الصفات خلقاً وخُلقاً. وهو مجمع الكمالات كلّها.

الأدب الثالث: الإعتدال في النفقة

الاعتدال في النفقة بأن لا يُقتّر ولا يُضيّق عليه وعلى زوجته في الإنفاق، ولاينبغي أن يسرف ويبذّر في الانفاق بل يقتصد في حدود الوسط، ففي الحديث (الاقتصاد نصف المعيشة)، وقال تعالى: ﴿**كلوا واشربوا ولاتسرفوا**﴾، وقال تعالى: ﴿**ولاتَجْعل يدك مَغْلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط**﴾ الاسراء:/٢٩/.

ولا يجوز أيضاً أن يميز نفسه عن زوجته بمأكول طيب فيأكل خارج المنزل لأن ذلك ممّا يوغر الصدور ويبتعد بذلك عن العشرة بالمعروف. ولاينبغي أن يصف لهم طعاماً لا يريد إطعامهم إياه، وإذا أكل فيُقْعد العيال

كلهم على المائدة، فقد قال سفيان رضي ا لله عنه بلغنا أن ا لله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة.

وأهم ما يجب مراعاته أن يطعمها من الحلال وفي ذلك الأجر العظيم. وقال ﷺ: (دينار أنفقته في سبيل ا لله، ودينار أنفقته على رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك). «رواه مسلم». وفي الحديث: (ماعال ولاافتقر من اقتصد). والاقتصاد هو ما ورد به الشرع الحنيف في قوله تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفو ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قَواماً**﴾ فهذا الأدب عنصر هام من عناصر دوام المعيشة بين الزوجين على أساس من السعادة والأستقرار وإلا فيختلّ السرور في الأسرة باضطراب عدم التوازن في الانفاق.. فالتوازن في الانفاق يجعل الأسرة تعيش فيما تطلبه وتغطي كل احتياجاتها في كل زمان ومكان.

الأدب الرابع: يتعلم الزوج حقوق زوجته، ويعلمها حقوقه عليها

وبشكل أخص يتعلم أحكام الحيض وأحكام الصلاة وبيان الصلوات التي تقضيها، والمحرّمات على المرأة أثناء الحيض والنفاس، وما يحل لها منها في حال الاستحاضة، فإن كان الزوج قائماً بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قَصُرَ علم الزوج فيسأل لها المفتي وينقل لها جوابه فإن لم يكن هذا ولا ذاك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ـ ويعصي الرجل بمنعها. هذا في مجال الفرائض الدينية من أمورها ـ أما خروجها إلى مجالس الذكر وإلى التوسع في العلم فلا يجوز لها أن تخرج إلا برضاه وإذنه وينطبق عليها الحديث: (إذا خرجت المرأة من بيت زوجها دون إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع).

وليعلم الزوج وحتى الزوجة أن أفضل السبل ليحقق الـزوج مـا يريـده من زوجته وأن تطيعه في أمره ــ أن لا يجعـل الأمـر صـادراً منـه بـالذات، بـل يستشهد لها بأحاديث وأيات لما يريده منها ـ فتشعر أن رسول ا الله هو الآمر ـ وليس الزوج لئلا تحدث مشاكسات وممانعات، ولئـلا تبقـى المسـألة هـي آراء شخصية، وكل منهما يريد أن ينفذ رأيه. ولنضرب لذلك مثلاًــ هـو يريـد أن تطيعه وتحصل على رضاه فيذكر لها حديـث رسـول ا الله ﷺ: أيمـا امـرأة مـات زوجها وهو عنها راض دخلت الجنة. مثال آخر يراها لأتفه الأسـباب تطلـب الطلاق. فيذكرها بحديث رسول ا الله ﷺ: (أيما امرأة طلبت الطلاق من زوجها من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة).

فيا أيها الزوج بمثل هذا تتيسّر أمورك مع زوجتك ولكـن مـاذا تفعـل لوكنت لاتعلم هذه الشواهد. فعليك أن تتعلم كيف تعيش مع زوجتك باسـم تعاليم الإسلام. وليس باسم تعاليمك. وكذلك يقال في حق الزوجة وماتبتغيـه من زوجها ـ فتذكر الأحاديث والشواهد وتأتي بها في محلها. فتدفعه لمـا تريـد أو تردعـه عمـا يفعلـه. وقـد ذكـرت لهـا في الأدب الثـاني مـن الشــواهد مــا يساعدها على ما ذكرناه.

الأدب الخامس: الإعتدال في الغيرة

إن الغـيرة المحمـودة هـي الـتي لاتكـون فيهـا مبالغــة في إســاءة الظـن والتجسس لبواطن الأمور حتى تصل إلى الوسوسة والوهــم، فـإذا وصلـت إلى هذا الحد فهي غيرة مذمومة، فقد نهى رسول ا الله ﷺ (أن تتبِّع عورات النساء) «رواه البخاري». وقال ﷺ: (إن من الغيرة غـيرة يبغضهـا ا الله عـز وجـل وهـي

غيرة الرجل على أهله في غير ريبة) أي من غير سبب واضح وظاهر لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإن بعض الظن إثم. وقال علي رضي ا لله عنه لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء - أي ترمي زوجتك بالسوء - وأما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول ا لله ﷺ: (إن ا لله تعالى يغار، والمؤمن يغار، وغيرة ا لله أن يأتي الرجل ماحرم ا لله عليه) «رواه البخاري». فالغيرة في غير ريبة وغير سبب فغيرة يبغضها ا لله، والطريق المُغْني عن الغيرة أن لايدخل عليها الرجال فلا تختلط بهم ولا يأخذها إلى السهرات العائلية أويقف بها مواقف الريبة والشك، ثم يغار عليها، وإن عائلات فرّطت بهذا. فأفسدت حياتها وانقلبت إلى جحيم وربما أدى الأمر إلى الطلاق والفراق وينعكس ذلك على الأولاد فعاشوا بعيداً حرمن أمهاتهم أو آبائهم.

أيها القارئ أضع بين يديك حادثات عن الغيرة من الطرفين، وإمكانية معالجة ذلك. فالغيرة وإذا زادت فهي أشبه بالداء الذي يجب معالجته، ويعالج في العيادات النفسية و الإجتماعية..

شديدة الغيرة على زوجها، فما هو الحل؟

تكاد تكون الغيرة عند الرجال على أزواجهم أكثر من غيرة الزوجات على أزواجهم وكلاهما بلاء إذا زادت عن حدها. فعلى سبيل المثال.

فقد جاءني زوج إلى المنزل وهو مثقف وشكى لي شدّة غيرة زوجته عليه، شكى لي بحكم أنني أُعْنَى بمشاكل الأسرة فقال لي: إن شدّة غيرة زوجتي أقلقت حياتي. تصور إذا جاءني هاتف من مُدرّسة بحكم أنني مدير تطلب إذناً لمرضها، فإذا سمعت زوجتي ذلك لا تنام تلك الليلة وتشوش علي حياتي. ثم

قال وكثيراً ما تفاجئني بزيارات متقطعة لترى أحوالي مع المدرسات ثم قال وهذه حوادث قليلة مما يحدث منها فما هو الحل؟ أرجوك ياأستاذ أن تجد لي حلاً فقد تجنبت كثيراً من أسباب غيرتها فلم أفلح.

فأجبته وأنا أبتسم الحل موجود، وهو بين يديك ولكن تحتاج إلى صراحة وصدق.

فأني سائلك وهي الآن ليست بيننا. هل تحبّها من قلبك ومشاعرك؟ أجاب: نعم. هل تفكر بأن تتزوج عليها؟ أو تطلقها قال: لا. قلت له: فماذا تُحِب فيها؟ قال ماذا تعني ؟ قلت: ماذا يَشُدّك من جمال وجهها؟ قال: عينيها الجميلتين وأنفها الأجمل.. ثم قلت له: وكم أنت في عشرة زوجتك قال: عشر سنين. قلت له أجبني بصراحة: هل قلت لها مرّة خلال مسامرتك لها بأنك تحبها وتحب عينيها و...إلخ؟ قال: لا. قلت له: لماذا؟ قال: لم يعتد الرجل الزوج أن يغازل زوجته بمثل هذا.. قلت له لماذا؟ قال هكذا الرجولة، كأني أجد هذا الكلام معها ينقص من رجولتي ثم لئلا تطمع: فتعكرعليّ حياتي. قلت: له ألست الآن في حياة مريحه من أجل غيرتها قال لا..قلت له. إذاً النتيجة: لئلا تطمع زوجتك أوجدت عندها الغيرة الشديدة وأقلقت حياتك وحياتها. ثم قلت له بأنه رجل متدين فهل الدين يمنعك من مغازلة زوجتك. فسكت قلت له: أذكر أن شيخاً مشهوراً في الصلاح وهو عَلَم بين الناس العلماء يقول لزوجة مغازلاً لها بأسلوبه الخاص. يافلانة لو وُضِعَت كل النساء في إحدى كفتي الميزان ووضعت أنت في الكفة الأخرى رجحت عنهنّ وا لله لا أبدلك ولا أتزوج عليك أي زوجة في العالم، فكان بهذا الكلام يقطع

كل غيرة عندها، ويشعرها بالثبات ويقوي ثقتها به إلى حد أن جلس يدرس وأمامه جم غفير من السيدات وحتى الجميلات مما ارتابها شك في أن زوجها يطمع في غيرها وارتاحت نفسها بذلك.

قلت لمحدثي هل عرفَت الحل، فاذهب من عندي وحدث زوجتك بما حدثتني به عن رأيك بها، ولكن ليس ذلك دفعة واحدة بالمناسبات تذهب الغيرة منها، وتعش مرتاح البال وتقوى ثقتها فيك بأنك لا تبدلها بنساء العالم. حقاً إن هذا الرجل المثقف ذهب وفعل ذلك وعلى المدى البعيد اتصل بي هاتفياً، قال لي جزاك الله خيراً ـ ذهب كثيرمن غيرتها بعد ما حدثتها عن حبي لها وعادت الثقة بيننا قوية جداً وصارت تسمع مني كلمة ياحبيبتي ـ ياحبيبتي. فذهبت غيرتها المذمومة.

أيها **القارئ** إن العامل النفسي وحسن الملاطفة في الحديث له أثر كبير في التغلب على غيرة الزوج والزوجة وبوجه عام لكل حالة علاج. ولكل شيء سبب فتش بدقة عن السبب وحاول أن تزيله تدريجياً فتجد الحل بيدك.

شديد الغيرة على زوجته، فماهو الحل؟

أوقفني في الطريق وقال ياأستاذ: أشعر أنني في سجن ـ وأنني أسجن زوجتي أكاد أشعر بالجنون. وتجن زوجتي معي.

قلت: لماذا؟ قال: لشدة غيرتي على زوجتي الفتيّة الجميلة.

تصور أنها إذا ذهبت مع والدتها أو والدتي إلى زيارة أحد أو إلى السوق حين تعود أجلس معها ـ وأسألها عن المكان الذي ذهبت إليه والطريق الذي عادت منه ومن رأت في الطريق ومن رأها وعليها أن تذكر لي حتى أقاربها إذا رأوها أوتحدثوا معها.

تصور ياأستاذ أني مع مشكلة مع أهلها فلا أسمح لها بأن تزور إلا يوماً واحداً كل أسبوعين وبشرط أن لا تنام. واذهب معها إلى منزل أهلها وأعود بها شخصياً ولايسمح لأحد أن يعيدها ولو أخوها.

قلت له: عادة أكثر الناس اليوم أن يرسلوها (كل أسبوع مثلاً) قال: لا. أنا أقصر المدة من شدة غيرتي عليها ـ فأسألها وهي عند أهلها من زار أهلها ومع من تحدثت وجلست والآن وعلى خلاف شديد مع أهلها من أجل زيارتها وتكاد تقع مشكلة عَكّرت عليّ حياتي من أجل موضوع زيارتها فماذا أفعل.. وزوجتي من أجل هذا قررت أن لاتزور أهلها ولايوماً واحداً في الشهر قلت له وأنا واقف معه في الطريق يلزم أن تأتي إلى منزلي إذا اشتدت عليك الأمور ـ فأنا جاهز. نتناقش أكثر ونتحاور ونجد الحل إن شاء الله ولكن الشاب العريس لم يأتني إلى البيت معتذراً لكثرة مشاغله التجارية وبقي المسكين يعيش بلا حل. ولازلت منتظراً قدومه لاناقشه في طريقة الحل. ولعل من أسباب غيرته شعوره بأن كل فتاة قابلة للغزل كما كان يراهن رفاقه قبل الزواج وهو مراهق أن يستجرّ أي فتاة لما يريده منها.

الأدب السادس: أدب الجماع

يستحب أن يبدأ باسم الله تعالى، ويقرأ (قل هو الله أحد..) ويقول: بسم الله العلي العظيم. اللهم إجعلها ذرية طيبة إن كنْت قدّرتَ أن تخرج ذلك من صُلبي، وقال عليه الصلاة السلام (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال:(اللهم جَنّبني الشيطان وجَنّب الشيطان مارزقتنا، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان) «رواه البخاري».

وإذا قُربت من الإنزال فقل في نفسك ولاتحرك شفتيك ﴿**الحمد لله الذي خلق من الماء بَشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً**﴾ الفرقان: /٥٤/

ويستحب أن ينحرف عن القبلة ولا يستقبلها بالوقاع احتراما للقبلة. وكان رسول الله ﷺ (يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة) «رواه الخطيب من حديث أم سلمة».

ماينبغي فيه قبل الجماع

ويستحب أن يتقدم الجماع، التلطف بالكلام والتقبيل قال: ﷺ: (لايَقَعْن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول. قيل وما الرسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام) «رواه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس».

وقال ﷺ: (ثلاث من العجز في الرجل... وعدّ منها أن يفارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويوانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه) «رواه أبومنصور الديلمي».

متى يكره الجماع؟

يكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر (الأول والنصف والآخر) ويقال أن الشيطان يَحْضُر الجماع في هذه الليالي ويقال أن الشياطين يجامعون فيها.

وروي كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي ا لله عنهم.

ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله ﷺ: (رحم ا لله من غسل واغتسل) «رواه الترمذي».

ماذا يفعل إذا قضى وطره؟

عليه أن يتمهّل على أهله حتى تقضي هي أيضا نهمتها، فإنّ انزالها قد يتأخّر فيهيج شهوتها، فالقعود عنها إذاء لها. والإختلاف في طبع الإنزال مع الاستمرار يولد التنافر. والتوافق في الانزال ألذّ عندها فلا يشتغل الرجل عنها فإنها ربما تستحي.

كم مرة يجامعها؟

ينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال فهو أعدل. وأخذ هذا من جواز التعدد من الزوجات حتى الأربع فيجوز التأخر إلى هذا الحد. نعم ينبغي أن

يزيد أو ينقص بحسب حاجاته وحاجاتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه وهذا هو أساس عدد المرات في الجماع.

ولايأتيها في الحيض وفي النفاس إلا بعد انقضائه فهو محرّم بنص الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام في الولد. وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولكنه لا يجامعها في فرجها وأن يستمتع بها بما تحت الإزار بما يشتهي سوى الوقاع - الجماع-.

من آداب الجماع أيضاً؟

وإن أراد أن يجامعها ثانياً بعد أخرى فليغسل فرجه أولاً وإن احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يتبول.

ويكره الجماع في أول الليل حتى لاينام على غير طهارة فإن أراد النوم بعد الجماع فليتوضأ وضوء الصلاة فذلك سنة.

قال ابن عمر قلت للنبي ﷺ: (أينام أحدنا وهو جنب؟ قال نعم إذا توضأ) «رواه البخاري» ولكن وردت رخصة قالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ ينام جنب لم يسم ماء..) «رواه الترمذي».

ولا ينبغي له أن يحلق أو يقلم أظافره أو يستحد - يزيل الشعر - وهو جنب إذ تردّ له كل أجزائه في الآخره فتعود جنباً ويقال أن كل شعرة تطالبه بجنابتها يوم القيامة فهي تريد أن تردّ طاهرة كما خلقها الله.

ما هو حكم العزل؟

العزل يكون بـأن يحول الرجل عنـد الجمـاع دون إدخـال مائـه محـل الحرث وهو الرحم. قال رسول ا لله ﷺ: (فما مـن نسـمة قـدر ا لله كونهـا إلا وهي كائنة). «رواه البخاري». هكذا قـال رسـول ا لله ﷺ. فـإن عـزل الرجـل ماءه عن رحم المرأة فقد اختلف العلماء في حكـم ذلـك علـى أربـع مذاهـب: فمنهم من أباح ذلك مطلقاً ومنهم من حرم بكل حال، ومنهم من قـال: يحـل ذلك بشرط رضى الزوجة ومنهم من قال بكراهة ذلـك.. والتفصيـل في ذلـك مع ذكر الأدلة موجود في كتب مطوّلات.

على ماذا يدل الحديث عن آداب الجماع؟

يدل هذا البحث المفيد صحيـاً واجتماعيـاً. علـى عظمـة هـذا التشـريع الإسلامي واكتماله وتوسعه حتى في هذه الأمور ـ وهي تدل على تمدّن الإنسان وحضارته المثلى فقد علم الإسلام الإنسان حتى آداب الجماع في بدايته ووسطه ونهايته. فهل جاء ذلك في قانون أو نظـام شـرّعه الإنسـان. ولـو تـرك الإنسـان وحريته في ذلك دون هذه الآداب لارتكـب الآثـام والأمـراض وهـو لا يـدري. وبذلك أعترف حتى أولئك الذين لايكنون لهذا النظام احتراماً وقداسه.

ولماذا تعرضنا له وباختصار أيضاً لأنها تعاليم وتوجيهات صدرت عـن رسـول ا لله ﷺ فيجـب بيانهـا ونشـرها وإلا لمـا قيلـت. ويقـول عليـه الصـلاة والسلام: (حدثوا عنّي ولو كلمة) وقال تعالى: ﴿**والذيـن يكتمـون مـا أنزلنـا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للنـاس في الكتـاب أولئك يلعنهـم ا لله ويلعنهم اللاعنون**﴾.

موانع الزواج في عصرنا اليوم وعلاجها

قلة ذات اليد وخشية الفقر

صحيح أن الإنسان بالفطرة يخشى الفقر ويحسب له حسابه إذا زادت نفقاته على إيراداته ولكن هذا فيما أحسب لغير الإنسان المسلم المؤمن الحقيقي. أمّا هو فأمر آخر، قال تعالى في حق الكفار والمسلمين في القتال: ﴿**إن كنتم تألمون..**﴾ ـ أيها المسلمون ـ ﴿**..فإنهم يألمون..**﴾ ـ الكفار ـ ﴿**.. كما تألمون، وترجون..**﴾ ـ أيها المؤمنون ـ ﴿**.. من الله ما لا يرجون**﴾.

وهكذا في منظور الإيمان والإسلام يختلف الحساب بين المؤمن وغيره.. فالمؤمن المسلم ـ له رب يرجوه ويلتجأ إليه في الشدائد والفقر ـ ليس كذلك «الكافر الملحد» فإذا ما وثق المؤمن بربه إلى مستوى عال ـ عدّل الله حساباته فأصبحت إيراداته تساوي نفقاته أو تزيد، فالمسلم يؤمن إيماناً جازماً بما لا يقطع الشك أنّ الرزق من أمور الغيب وهذا ما لا يعرف قدره وحسابه إلا الله سبحانه وتعالى شأن أمور كل المغيبات ويؤمن بأن الرزق من عند الله تقديراً وقدْراً. قال تعالى: ﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون فوربّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون**﴾.

قيل إن الملائكة قد عجبت من ابن آدم كيف أنه لضعف إيمانه استدعى الأمر أن يقسم الله بنفسه له، صحيح أن الله الرازق قد ربط الحصول على الرزق بتعاطي الأسباب، فهو مقدَّر له. ولكن عليه أن يبحث ويفتش على مكان وجوده، وعلى مستودعه.

ولكن في موقف آخر، عطّل ا لله الأسباب وجعل له حدوداً حيث قال: ﴿**من يتق ا لله يجعل له مخرجاً ويرزقَه من حيث لا يحتسب**﴾ أي يرزقه بدون سبب منه أو بدون سبب أصلاً.. أمّا كيف ذلك وكيف يكون فاسأل بعض المؤمنين من أهل اليقين والتفويض كيف يحصل ذلك.. وقد سمعنا كثيراً من الحوادث والوقائع ما يؤيد ذلك.

إنني أريد بحديثي هذا أن أخفف من ربط الرزق بالأسباب وكأنه لا رازق إلا الأسباب وأن أخفف من التهالك على ذلك فهذا ليس من شأن المؤمن الحقيقي أن ينسى الرازق ويرتبط بالأسباب فقط.

ثم إن حديث الناس وحسابهم خشية من الفقر والحاجة والعوز بسبب النكاح والزواج، يخالف مفهوم سيدنا عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه في ذلك فاسمعه يقول: «عجبت لمن يبتغي الغنى من غير النكاح»، وفي قول آخر له «من أراد الغنى فليتزوج» مؤيداً كلامه بقوله تعالى: ﴿**إن يكونوا فقراء يغنهم ا لله من فضله**﴾ النور/٣٢/ يريد الزوجة والزوج.

وهذا هو الإمام الشافعي رضي ا لله عنه لا يخاف الفقر والعوز من كثرة عياله فيقول: لو كانت السماء من نحاس لا تمطر والأرض من رصاص لا تنبت وكان أهل مصر كلهم عيالي، وا لله ما حسبت هماً لرزق أحدهم ما دام ا لله يقول:﴿**وما من دابة في الأرض إلا على ا لله رزقها يعلم مستقرها ومستودعها**﴾ هود/٦/، وهذا من الإمام الشافعي أبلغ تشبيه حيث انقطع الرزق من السماء والأرض وهما مصدرا الرزق، وهكذا الإيمان با لله بأنه

الرازق يفعل فعله بالنفوس ويجعل المؤمن شجاعاً غير هياب مادام وراءه الرازق معيناً قادراً على كل شيء.

أيها الشاب أيتها الشابة

إن رزقك مِثْلُ ظلّك لا يفارقك أبداً فأقبلا على الزواج مستعينين بالرازق. ثم إن منطق الأشياء أن رقماً حسابياً يضاف إلى رقم حسابي يشكل زيادة وبركة، فكذلك أنت كزوج (لك رزق مقدر) وزوجتك (لها رزق مقدر)، فإذا ما تزوجت ضُم رزقك إلى رزقها وانقطع رزقكما من حساب والديكما فتعيشان بزيادة فيها كل البركة والخير، وما يدريكما إذا أنجبتما أن يكون لأولادكما رزقاً مقدراً أكثر من رزقكما تقديراً من الأزل فيعيش الجميع في بحبوحة وبركة وخير. فتوكل على الله ولا تتهيب من الإقدام على الزواج، وليكن شعارك قول الله تعالى: ﴿**إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**﴾ وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من أراد الغنى فليتزوج». واصغ بأذنك إلى حديث رسول الله ﷺ وهو يتحدث فيَعد أموراً ثلاثة لهم عناية خاصة وعون منه: الشاب يريد الزواج والفتاة تريد النكاح، ولكن أتحفظ لك وأقول لا تتزوج وكأنك تجرّب الربّ وتختبره فالعبد لا يختبر ربه والرب يختبر عبده، قال ﷺ (ثلاثة لهم حق على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد العفاف، والمكاتَب يريد الأداء) «أخرجه ابن ماجه». ونخلص إلى القول بعد هذا الحوار إلى أن قلة ذات اليد وخشية الفقر ليست عائقاً عند المؤمن حقاً.

تأمين السكن ومؤونة الزواج

لا جدال في أن مسألة تأمين السكن والمؤونة أمر في هذا اليوم في غاية الصعوبة ـ في عملية الزواج ـ فلابد كما يقولون من هزّ الأكتاف للتفكير بحلّها ووضع حلول عملية تخفف من هذه المشكلة أو تقضي عليها . وفي كل الأحوال يجب أن لا نقف مكتوفي الأيدي نحوها فليس هذا من شيم الكرام ولا من شيم الإسلام، وحين تصبح المشكلة عامّة تشمل أفراد كثيرة تسمّى في الشرع بلوى عامّة حلّت بالمسلمين وحينها لا يمكن أن يحلها فرد أو عدد قليل منهم، بل يجب أن يتصدى لها ثلّة من الأفراد القادرين.. وإذا لم يفعلوا فهم آثمون شرعاً ومتحملون كل ما يترتب على هذه المشكلة من آثار سلبية تنعكس على سوء أخلاق المجتمع وضعف الأمة الإسلامية، وهذا هو منطق الإسلام في ضوابطه التشريعية.

وفي تصوري أن نظام الإسلام افترض وقوعها في المجتمع الإسلامي ووقوع أشباهها، فأوجد حلا مسبقاً وخطط له بما يسمّى بنظام التكافل الاجتماعي في الإسلام.. ولا يبدو تطبيق هذا النظام هامّاً إلا في الأمور العامة والبلوى العامة التي تنزل بالمسلمين أحياناً.

وليكن في حسبان الجميع أن من موارد نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام:

أولاً : القرض الحسن ـ بدون فائدة ـ.

ثانياً : موارد الزكاة بأصنافها المختلفة.

ثالثاً : التبرع بالمال زائداً عن قسط الزكاة إذا لزم.

رابعاً : أعمال البر والخير بوجه عام.

وأتصور لهذه الحلول من الناحية الإيجابية والعملية اتجاهات ثلاث:

١. اتساع دائرة القرض الحسن وتفشّيه في المجتمع. والقرض الحسن في الإسلام هو قرض بدون فائدة وإلا فلا يسمّى قرضاً حسناً إنما يسمى /ربا/ وهو حرام.

٢. إنشاء منشأة صناعية كبيرة لإعداد وتصنيع: حاجيات العرسان الجدد من خزائن وأسرة إمّا برأسمال زكويّ أو برأسمال من فرد أو أفراد يبتغي أصحابه من استثماره وجه الله دون خسارة مادية لئلا تغري الآخرين باستغلالها.

٣. إعداد شقق سكنية ـ عادية غير فاخرة ـ تسلّم بقيمة التكلفة وبأقساط ممكنة للعروسين.

واسمحوا لي باختصار أن أشرح وجهة نظري لكل من هذه الاتجاهات:

أولاً ـ القرض الحسن:

من شعب الإيمان وكمال إسلام المسلم. وقد تفشّى هذا في عهود غابرة منذ فجر الإسلام، وكان بحق طريقاً ليس لحلّ مشكلة الزواج بل لحلّ ايّ ضيق يواجهه المسلم في حياته: تجارة ـ صناعة ـ صحة.. وغير ذلك..

وإن القرض الحسن نظراً لأهميته وضرورة حاجة المجتمع الإسلامي إليه، جاء صريحاً في الحض عليه في القرآن والسنة. وحتى أن العلماء فهموا أهميته

لحياة المسلمين وضرورته لأن ا لله سبحانه نسب القرض إليه، فمن يقرض مسلماً فكأنه أقرض ا لله سبحانه قال تعالى: ﴿**مَن ذا الذي يقرض ا لله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة**﴾ «سورة البقرة ٢٤».

وجاء في الحديث أن القرض الحسن أعلى مرتبة من الصدقة بل أكثرها أجراً فقد قال ﷺ : (كل قرض صدقة) وقال (رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر) «ابن ماجه».

أيها المسلم القادر لا تتوانى عن القرض الحسن وبالأخص لمن يريد الزواج ذكوراً وإناثاً. فالمؤمن الحقيقي، هو الذي يضع يده بيد ا لله ويقرضه، بقَرْض عباده ذوي الحاجة والعسر، مؤمناً بأن ا لله هو الكفيل بتيسير الأمر على المقترض لرد القرض وحين يعجز عن ذلك بالموت فا لله يتولى رده إليه يوم القيامة بعوض أكبر وأعلى وأعزّ، فإن لم يؤمن بذلك فعليه أن يجدد إيمانه ويبعثه من جديد، وإلاّ فما معنى كونك مؤمناً لا تبذل ولا تقرض المعوزين والمعسرين من المؤمنين، أليسوا عيال ا لله، ألم تسمع قول ا لله سبحانه في الحديث القدسيّ (الخلق كلهم عيال ا لله وأحبّهم إلى ا لله أنفعهم لعياله).

وماذا عليك أيها التاجر أن تخصص مبلغاً محدداً من رأسمالك للقرض الحسن. وجرّب بإخلاص وصدق تجد أن ا لله قد جرّ عليك أرباحاً كثيرة بل أكثر من رأسمال خصصته للربح والتجارة بسبب فعلك هذا الخير. قال تعالى ﴿**وما تنفقوا من شئ فهو يخلفه وما تنفقوا من خير فإن ا لله به عليم**﴾ «البقرة ٢٧٣» والقرض الحسن من أعلى مراتب الإنفاق وأكثرها ثواباً. في الحديث إن الصدقة بعشر أمثالها أمّا القرض فبثمانية عشر وعلى قدر المبلغ يكون عدد الصدقات، ولا مانع من أن يصحب القرض كفيل يضمن تأمينه في

حال تهربه من سداد هذا القرض أو عجزه أو أي ضمان آخر فهذا جائز لا بأس به.

ولن أنسى أن أذكّرك في بفضيلة إنظار المعسر وانتظاره حتى يتمكن من أدائه أو أن يتجاوز عنه إذا عجز عن ذلك فقد جاء في الحديث (من أنظر معسراً فله كل يوم صدقة قبل أن يحلّ الدين فإذا حل الدين فأنظره بعد ذلك فله كل يوم مِثْليه صدقة) «ابن ماجه». ولن يوقف هذا الخلق الكريم للمسلم التعلل بسوء معاملة المقترض.. فأنت أولاً تعامل الله سبحانه وتعالى والله شهيد عليك وعليه، وإن حدث خلل في ذلك، فالله يعوض عليك في الدنيا والآخرة.

وأنت قد فعلت الخير وكفى ولك من ذلك الذكرى الحسنة والسمعة الطيبة في الأرض وفي السماء ويمكنك إذا عجز عن أداء هذا القرض أن تعتبره من الصدقة، ففي الحديث: (من أنظر معسراً وتصدق عليه أظلّه الله في ظله يوم القيامة) «الطبراني» وفي حال عجزه عن أداء هذا القرض يمكن اعتباره من أحد الغارمين المدينين الذين عجزوا عن أداء دينهم فيحسب هذا المبلغ من الزكاة بحسب أصول الشرع.. فالأمور محلولة بإذن الله ما دامت النوايا حسنة ومحبة المؤمن صادقة والرغبة في فعل الخير حاصلة.

وعلى المقترض في هذا المضمار أن يكون عند حسن ظن الناس به ويراقب ربه، فيؤدي ما عليه ـ لِيُعْطي لمحتاج آخر ـ فيشجّع على المعروف، ويهتم بفعل الخير وَلْيذكُر أن من كان سبباً لإبطال المعروف وحجب الخير عن غيره فله من الله العذاب الشديد في الدنيا قبل الآخرة، وعليه من الناس

السخط والسمعة السيئة جيلاً بعد جيل فلا تكن أيها المقترض منّاعاً للخير معتد أثيم بإساءتك لمن أحسن إليك.

ثانياً ـ (منشأة صناعية):

أما الحديث عن: إعداد منشأة صناعية لتحضير الخزائن والأسرّة للعروسين الجدد تباع لهما بسعر التكلفة وبالتقسيط، فذلك يتم بلا شك وفق أمور تنظيمية دقيقة تشمل دراسة للمستحقين، وتشمل كيفية استرداد هذه الأقساط وتشمل تنظيم الدور.

وهذ يتم من خلال تشكيل لجنة تنظيمية ومالية لهذا المشروع ولا أعتقد أن رجال الأعمال يعجزون عن مثل هذا الإعداد والتنظيم ليكون سنة حسنة لهم ولكل من يأتي بعدهم وما قيل في هذا يقال بشأن إعداد لجنة تنظيمية ومالية لتمويل هذا المشروع.

وأرى بشكل عام، أن تشكيل لجنة دائمة وخاصّة لدراسة المستحقين دراسة دقيقة وعلى الواقع تزوّد هذه اللحنة المشاريع الثلاثة بعناصر المستحقين، وسيجدون كل العون من ا لله سبحانه ويكون بذلك قد سنوا سنة حسنة (فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) وهنا يجب أن أنوه أن هذا التكيف بأموال الزكاة من أجل مصلحة عامة للمسلمين تستوجب له فتوى على مدى اتساع المذاهب الأربعة.

وإن على المسؤولين المقيمين في الوزارات أن يسهلوا هذه المشاريع ولا يضعوا عقبة في ذلك، وإذا كان التشريع القائم لا يسمح بذلك فعلينا أن نقدم

اقتراحاً به لإصدار تشريع في ذلك فإنه أمر هام جداً يتناول القطاع الأوسع من العمال وأصحاب الدخل المحدود، ولمثل هذا فليعمل العاملون، وإلا فالدعـاوى كثيرة ولكن أصحابها أدعياء.

ثم إن بعضاً مـن النـاس كسـالى لا يحبـون كـل جديـد، ولا يرغبـون في الخير، يتغنون بذكر مســالب وسيئات لهـذه المشـاريع، فنحـن بدورنـا نطلـب البديل منهم ووإلا فليقبع هؤلاء في جحورهم. فلكل أمر في هذه الحياة سيئات وحسنات، ليس من العسير أبـداً تجـاوز هـذه المسـالب مـع الزمـن، والمشـكلة تكمن أننا بحاجة إلى أناس عمليين مؤمنين قـادرين، مسـتعينين بـا لله ومخلصـين ومحبين أن يروا غيرهم سعداء كما هم سعداء.

مفارقة الطباع وتوقع عدم نجاح الزواج

هذا الأمر محتمـل في مثـل هـذه الأيـام، بسـبب التوعيـة العامـة للشـباب والشابات، هذه التوعية غير الهادفة وغير المنظمة بدعوى حرية الفكـر والـرأي في هذا العصر، فاحتمال وقوع ذلك في بيت الزوجية واقـع ـ غـير أن هـذا لا يعدم العلاج ـ ولا يعدم التغلب على مفارقـة الطبـاع، والعمـل علـى التقـارب والتآلف على درب قصير.

وبتصوري أن الأمر ممكن وسهل، نحن نلحظ في حياتنا اختلاف الطبـاع وما يترتب عليها من سلبيات في عشرات الأسر بين الآباء والأبناء، بين الأبنـاء أنفسهم، ومع ذلك تستمر الحياة الأسرية، بشيء من غض النظـر عـن أخطـاء الآخرين، وبشيء من التسامح والود والعطف والاحترام.

وفي نظري أن كل هذه الأخلاق الصعبة وتحملها في خلايا الأسر سببها قناعة الأفراد أن الأهل صلة نسب وقرابة لا يمكن الانفصال عنها مهما اختلفت الطباع وعظمت المشكلة، فلو ارتقت عند الزوج والزوجة قناعة ترفع صلة رابطة الزواج إلى صلة رابطة النسب لأمكن التحمل والتعايش بسلام وخير.

ولا أعتقد هذا من باب المستحيلات حتى في تعامل الناس بوجه عام مع بعضهم، وإن الأمر يحتاج إلى صبر وتحمل إلى أن تقترب الطباع ويألف كل منهما الآخر.

ولن أنسى أن أذكر أصحاب الفكر والرأي من كلا الزوجين، أن هناك ما يسمّى بدرجة في الأخلاق هي درجة فوق درجة المعاملة بالمثل فوق درجة القصاص فوق درجة الحق والعدل.. ألا وهي درجة العفو، درجة التسامح، درجة الفضيلة..

من العدل أن تطالب بالمثل فيما سلب منك من الحقوق ولكن من العفو والتسامح أن تتغاضى عن ذلك، سمواً ورفعة لا ضعفاً وعجزاً. من حقك أن تطلب أن تعامل بالمثل تماماً ـ العين بالعين والسن بالسن ــ ولكن من الفضل والفضيلة أن تسمو على ذلك فتحسن لمن أساء إليك. وقد جاء في الحديث في ذكر فضائل هي أهم فضائل أهل الدنيا (أن تعفو عمن ظلمك، وتحسن لمن أساء إليك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك) فلا قصاص بالمثل في هذا الحديث بل العكس الترفع عن ذلك والرفعة إلى ما هو أعظم درجة، هي التسامح والخلق الرفيع.

فإذا فعلت ذلك وارتقت الأخلاق بـك وبهـا إلى هـذا التوجيـه القرآنـي والنبوي فقد تغلبت علـى مفارقـة الطبـاع وسـوئها.. ويكرمكمـا الله بـالحب والمودة والألفة كما جاء بذلك قول الله تعالى ﴿**ادفع بالتي هـي أحسـن فـإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾.

فالتوجيه الإلهي بأن ذلك ليس بمتعذر ولا مستحيل عند المؤمـن الحقيقـي كامل الإيمان عند أهـل الحـظ العظيـم وإنـي أسـائلك ألسـت تتحمـل مفارقـة الطباع أحياناً من شريك لك في التجارة، ألست تتحمـل أذى مـن مديـرك في دائرة أو مدرسة أو متجر من أجل دوام معيشتك وقضـاء حوائجـك، كذلـك الزوجان يجب أن يتحملا من أجل اسـتمرار الحيـاة الزوجيـة وسـعادتها وهـذا والله أهم بكثير من استمرار الحياة مع أناس جمعتك الظروف بهم على طبـاع مختلفة وسوء تفاهم.

فالأمر هذا داؤه وهذا دواؤه، والدواء هو الصبر، والصبر مرّ في مذاقه ولكنه حلو في نهايته، فكل مـن صـبر ظفـر في النهايـة، فـلا تكـن أيهـا الشـاب والشـابة منهزماً ويائساً فإنك لو فعلت غير ذلـك لاخـترت الموقـف الصعـب والأشـد مـن ذلك هو موقف الشاب والشابة الأعزل من سلاح الزواج وهذا مما يفتك بدينـك وخلقك وقيمك الإجتماعية، ثمّ هو تشريع من الله العظيم لخلقه ﴿**ألا يعلـم مـن خلق وهو اللطيف الخبير**﴾.

تعقيب... بسؤال هام..

لقائل أن يقول: إذا كان الزواج علـى هـذا النحـو ممـا ذكـرت ــ وقايـة وعلاجاً وأهدافاً ــ، يؤدي حقاً إلى بناء متماسك وقوي قلّ أن تؤثر فيه الهزات

والاضطرابات.. وقلّ أن يكثر فيه الطلاق، وفشل الزيجات، وهدم الأسر، فلماذا نلاحظ في المجتمعات الإسلامية غير هذا؟

والإجابة على هذا باختصار، هنالك أسباب عديدة. وفي نظري من أهمها أن أكثر الزيجات التي تحدث من البداية إلى النهاية، ليست على مقاييس الإسلام، فالخلل والعيب ليس في النظام والقانون الإسلامي، إنما في ذلك الشاب الذي طلب الزواج في غير ما رسم الإسلام له، وتلك الزوجة التي دخلت على الزواج بمطاليب لها ليست موافقة لحدود الزواج في الإسلام، فكان طبيعياً والأمر كذلك أن تحدث المشاكل، وتحدث هذه المتاعب، ويكثر هدم الأسر، ولو لم تحدث هذه المتاعب لكان ذلك مخالفاً لمنهج ا لله، ولشككنا في صحة وسلامة هذا المنهج.

فالعيب في التطبيق وليس في القانون، واللوم على الذين خرجوا عن القانون وليس على القانون نفسه. فالمنصف يقول: إن واقع الزيجات والأسر بما تعانيه من مشاكل ومتاعب شهادة للدين لا عليه، شهادة للنظام وعظمته وليست عليه، فهل من مذكر! هل من متبصر! ﴿**فذكّر إن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾.

وكثيراً ما يُتّهم الإسلام كنظام بفعل بعض المسلمين اليوم على اختلاف مراتبهم، والإسلام من هذا كلّه بريء..

ويحضرني في هذا الصدد، قول الإمام محمد عبده عقب عودته من جولة في أوروبا، وعاد إلى بلاده ـ مصر ـ فسئل عن حال ما رآه عن الشعب الأوروبي في جولته فقال: «لقد رأيت الإسلام هناك و لم أر المسلمين» أما عن

الشعب في مصر فقال ويا للأسف: «أرى المسلمين هنا ولا أرى الإسلام»، وما أعتقد أن هذا القول يحتاج إلى توضيح، فالأمر في المراد منه واضح تماماً..

وعلى هذا الغرار أذكر أن أول مقال كتبته، وأنا لازلت بعد على مدرّج الأزهر الشريف، أنتهل العلم والمعرفة، كان تحت عنوان «مسكين هذا الإسلام لم يجن عليه إلا أهله»، ونشر حينها عام ١٩٥٤م في إحدى صحف القاهرة، وبحمد الله أصبح أكثر الكتاب من المسلمين اليوم يتناول الحديث عن الفرق «بين الإسلام والمسلمين» ليخلص نظام الإسلام من الاتهامات التي لحقت به من جراء انتساب بعض الناس غير المسلمين حقاً إليه، والإسلام من ذلك بريء.

وهنالك أناس مسلمون تمسكوا بالقشور و لم يتمسكوا بالجوهر فكانوا بذلك عالة على الإسلام والمسلمين الحقيقيين.

ومن أجل تبرئة نظام الإسلام مما لحق به من بعض المسلمين فإنك تجد في كتب التربية الإسلامية التي تدرس في مدارس التربية درساً خاصاً بعنوان الفرق بين الإسلام والمسلمين، توعية للطلاب، وتبياناً للحقيقة، وصداً لأي مغرض مستشرق وغيره يتناول نظام الإسلام بالنقد من خلال أفعال وأعمال بعض المسلمين، وهذا من باب حفظ الله للحق والدين ومفاهيمه السليمة. يقول تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.

وتحضرني حادثة وقعت لعلها مفيدة بفحواها بل بليغة في دلالتها على ماذكرنا.

يذكر أن (الأمير شكيب أرسلان) وهو من أعلام الأدب والفكر. عقد محاضرة في الولايات المتحدة يتحدث فيها عن حضارة الاسلام وصلاحيته حتى اليوم بنظامه لقيادة العلم إلى الحضارة والتقدم للعالم أجمع على اختلاف أجناسهم وأنواعهم، وقد حضر الحفل جمع غفير جداً من أعلام المفكرين والعلماء ورجال الأديان واستمر الحديث زهاء أربع ساعات، ودهش أكثر الحاضرين من المعاني الاسلامية التي تعرض لها المحاضر ـ وشدّ الحاضرين إلى حد الذّهول ـ حتى أن أحد رجال الدين نظر إلى أحد المستمعين فوجد سيكارته ـ لفافة الدخان ـ وصلت إلى أصبعه وتكاد تحرق أصبعه وهو غير شاعر، وخشي أحد رجال الدين أن يخرج من هذه المحاضرة مؤمنين ومسلمين فأراد التشويش وضرب على المقعد أمامه يريد مقاطعة المحاضر وسؤاله.

فقال له: إذا كان الإسلام بقيمه ومبادئه وإنسانيته إلى هذا الحد. لماذا نحن متقدمون والمسلمون متأخرون ومتخلفون؟ فأجابه الأمير شكيب: السبب أيها الناس أنكم تمسكتم بجوهر الدين فتقدمتم والمسلمون ياللأسف تمسكوا بمظاهر الدين وقشوره فتأخروا. وانقطع الحديث وثبت للجميع صحة ماعناه الأمير بحديثه وأن السبب في تأخر الأمة ليس نظام الإسلام بل الخروج عليه بالتمسك بأنظمة أخرى والتمسك بعادات وتقاليد موروثة سببها التقليد الأعمى.

توجيه وسلوك

وبعد فترة طويلة ـ قاربت بها الثلاثين من العمر ـ انتابتني فكرة هزت كياني وأثَّرت على فكري وقلبي ودفعت بي إلى أن أتّخذ قراراً بالحسم في الإقدام على الزواج والخلاص من موقف الحيرة والتردّد الذي أنا فيه..

فما هي هذه الفكرة وما دوافعها؟ قلْتُ في حوارٍ مع نفسي:

١. إن الزواج ضرورةٌ لابد منها ـ إن عاجلاً أو آجلاً ـ لأن الخروج عنه شذوذ عن الفطرة والسنة المحمدية، ولن أبقى أعزباً ومتبتلاً وراهباً فهذا مجاف للفطرة ومعاندة للطبيعة.

٢. إنك تجد فراغاً من الوقت تقضيه بين الأصدقاء والناس «تسليةً ومسرّة وقتْلا للوقت» ويزول أثر كلّ هذا بعد حين، أفليس قضاؤه مع زوجة لك شريكة لك في حياتك وفي أولادك في المستقبل أحقُّ وأفضلُ. وأثر ذلك لا يضيع.

٣. إنّ جُلّ تفكيركَ الآن في شؤون غيرك، ممّن يهمك أمرهم أو لا يهمك، وهذا من الفضول أحياناً ولكنّي أرى نفسي متلبّساً به، فلماذا لا يُوجَّه هذا التفكير إلى شؤون زوجتي وأولادي، أقوى بها وبهم على معركة الحياة، وأكون عوناً لهم على حياتهم.

٤. إنني أشعر بقدرة على تحمل المسؤولية وأعباء هذه الحياة، وأنا في عمر الرّجولة والشباب، ولكنّي أفرغها في عملي الوظيفي وفي شؤون غيري

أحياناً.. فلماذا لا أفرِغُ القسم الأكبر فيها في تحمّل مسؤولية أولادي وشؤون زوجتي، وهم خزائن لي في كبر سني، وقلة همتي، وضعف مسؤوليتي.

٥. وقد انتهى بي المطاف في هذا الحوار.. إلى سبب قفزَ فوقَ كلّ هذه الأسباب، جعلني أتخذ القرار الحاسم بالزواج بسرعة. ذلك أنّي لو تأخرت بالزواج أكثر من ذلك، ثم تزوجت، فلربما اختطفني القدر من بين أولادي وأهلي، وهم لا يزالون صغاراً ضِعافاً يحتاجون إلى مرب ومعيل، فأودعهم وفي نفسي حَسرةٌ عليهم، أتركهم للغير يعيلهم، وا لله أعلم من هو هذا الغير؟ هل يحسن تربيتهم؟ هل يُعيلهم حقاً؟ هل...؟ وأغلب الظن لا، لأن مجتمعنا ويا للأسف أبعدُ الناس عن التكافل الاجتماعي الإسلامي لمثل هذه الحالات.. وأنا أتكلّم الآن بلغة الاسباب وقانون المسببات التي أقام ا لله الكون عليها لأنه لا يعلم الغيب إلا ا لله.

ثم قلتُ: ولو قدّر ا لله وعمّرت طويلاً فسوف أعيش معهم وأنا في عُمر لا أستطيع فيه تحمّل شؤون تربيتهم وقد قوي عودُهم.. فقد لا أقْدر على حلّ مشاكلهم على الوجه المطلوب والمفضل.. لضعف قوتي ولقوة شبابهم.. ثم لتباعد الأفكار بيني وبينهم بحكم تقدّم الزمن واختلاف المفاهيم للحياة وتطوّر متطلّبات الحياة ﴿**وقد بلغت من الكبر عتيّا**﴾.

وحينها أتنفّس الصعداء لأتفه الاسباب، وتثور الأعصاب لأتفه الأشياء، فيحدث ما يسمى بارتفاع الضغط، وأزمة القلب، وتنعكس الأمور على الإنسان

فيحتاج إلى اهتمام الآخرين وعطـاء الآخريـن وصبر الآخريـن عليـه وصـدَق ا لله عز وجل إذ يقول: ﴿**ومن نُعمّره ننكسه في الخلق**﴾.

وبعدها اندفعت بإقبال شديد واخترت شريكةً لي في الحياة وأنجبت منها «ستة أولاد» وأصبحت ربّ أسرة وأعانني ا لله وكنت أفضّـل علـى ضـوء مـا ذكرتً ـ الزواج المبكر ـ وأوصي به كـلّ الشـباب والشـابّات «فـدرس الحيـاة فوق أي اعتبـار في منطـق يكـون منظـورُه الفكـر المجـرّد والنظريّـات مـن بـين السطور»..

وفجأة قال لي أحدهـم بعـد كـلّ هـذا الحـوار، وهـذا القـرار: اختلفـت الظروف يا أستاذ، وتغـيرت الأحـوال وتبدّلـت الأهـداف في النفـوس، فـأنت تتكلم عما يزيد عن ربع قـرن مضـى.. وإنّ مـا ذكرتـه لا يغـربُ عـن أفكـار أحدنا، ومع ذلك لا نستطيع أنْ نـأخذ القـرار الحاسـم بـالزواج، تحـت وطـأة الظروف وعبء الحياة المعاصرة. وجوابي على ذلك يُلخّص في اتجاهين:

الأول: لابدّ من قرار حاسم إيجابيّ للخلاص منْ الحيرة والتردّد رغم كل هذه الظروف لأن لهما ثقل الجبال على النفوس. والفشـلُ دائمـاً حليف كل متردد، وما نجح قائد متردد. والتردّد في الأمور دائمـاً يشلّ العزائم، ويخرّب النفوس، ويحدّد من المعنويّات عند الشـباب والرجال، وإن ديمومة الحيرة تبعثُ على القلق. والقلق علـى هـذا النحو أشدّ على النفس مـن وطـأة الظـروف «ودع القلـق وابـدأ بالعزيمة والحياة، فلابد أنت واصل إلى وضع أفضل وحـلّ أمثـل، وحياة أشرف».

الثاني: إنّ وطأة الظروف وشدّتها بتبدّل الأحوال، أمورٌ دائماً واردةٌ ومحسوبةٌ ومحتملة في كل عصر وعلى كل الناس ومع اختلافها حجماً وكيفاً تتشابه تقريباً، ومقدار هذا التشابه متقابل تدريجياً، ولا تخرج عن أنها ظروف صعبة. «وقد حدّثنا التاريخ، وعلّمنا الدّين أن الرجال الأفذاذ هم الذين يتجاوزون الصعاب ويتغلبون عليها، ويتكيّفون معها قدر الإمكان، ويحاولون أن يتحكموا بها، ويطيّعوها، ولا ينقادوا لها».

وأذكر قولاً لعلماء التربية والمجتمع، أن الفرد العصاميّ هو الذي يؤثر في المجتمع، ولا يدع نفسه أن يكون إمّعة يدور مع المجتمع حيث دار.. (لا يكن أحدكم إمّعة)، ثم هو فاعل ومنفعل، فهو يتأثر أيضاً بالمجتمع، وينفعل به فليكن فاعلاً يدفع به هو وأمثاله إلى مجتمع متطور ومتقدم يقوي به ويقوّيه. أقصد من ذلك ـ كمثال ضربته ـ على أن يكون لدى الفرد كوامن من نفسه وعوامل أساسية تجعله يقفزُ فوقَ أيّ ظروف، أو يتعايش معها قدرَ الإمكان، ولكنه لا يجبُن أمامها، ولا يجعلها تدعه حيران أسفاً. وإن هذا من خلق المسلم الحقيقي القوي، (فالمسلم القوي ـ عند الله ـ خير من المسلم الضعيف) فالمسلم القوي لا يستكين إلى الظروف بل يتجاوزها ويجد بعدها العون من الله، والكفاية منه، خصوصاً في أمر الزواج. فقد ورد (ثلاثةٌ حقٌ على الله عونهم..) وعدّ منهم (الناكح يريد العفاف)، ومصداقية القرآن توجه المسلم في كلّ الأمور بعزم وتصميم، فإذا عزمت فتوكّل على الله. وتناديه إنك خليفة الله في أرضه وهذا هو أعلى درجات المسؤولية.

أيها الأولياء -

عرفنا كيف أن الله سبحانه، في أصل الخلق والتكوين، جعل الرجل بحاجة للمرأة والعكس، وهذا يسوقنا حتماً إلى أن نقول: إنها حاجة ضرورية بالفطرة لا محيد عنها، مثل غيرها من ضروريات الفطرة للإنسان، كالنوم والعمل والطعام.

فكما أن الإنسان بحاجة إلى طعام وشراب لا يعيش بدونهما، وكذلك حاجة الذكورة إلى الأنوثة وبالعكس، وبدليل أن الإسلام حرّم الرهبانية، فلا رهبانية في الإسلام لأنها معاندة للفطرة ومناقضة لها، ومثل من يعاند الفطرة كمن يعاند الطبيعة، يعاند الشمس فيفر منها والنوم فيهرب منه وفي ذلك ما لا يحتمل بحال من الأحوال.

ولكن هذه الحاجة الضرورية في كل من الرجل والمرأة، منظّمة في الإسلام، فكما نظّم حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب، فلم يحلّ له كل شيء من الطعام وكل شيء من الشراب. فقد حرّم مثلاً: أكل الميتة وما فسد من الطعام، وحرّم عليه شرب الخمر وكل مسكر يضرّ بعقل ويخرجه في حالة السكر عن كمال إنسانيته.

كذلك تماماً حرّم على الرجل الزواج من فئة من النساء هي فئة المحارم من الأهل، كالأخت والأم.. وهكذا، فهو إذاً رغم الضرورة الملحة للفطرة على الاقتراب من الأنثى فقد حدّد لها حدوداً، لمصلحة عليا اجتماعية وأخلاقية وصحيّة ونسلية.

فالعاقل من البشر والمسلم المؤمن يتقيد بذلك، فلم يقر الإسلام أبداً، الإباحة الجنسية والحرية بدون حدود رغم اقتناعه بالحاجة الضرورية لحاجة كل منهما للأمور الجنسية.. ليس ذلك منه تعصباً ولا شدة، إنما يبغي من ذلك مصلحة الفرد والمجتمع والأمة، وواقعنا اليوم يؤيد ذلك من خلال نظرة أناس عقلاء ومفكرين يحكّمون العقل والدين.

أيها الأولياء

إذاً الزواج لكل فتى وفتاة أمر مهم جداً تقتضيه الفطرة، فلا يجوز أبداً للأولياء تجاهل هذه الفطرة عند كل فتى وفتاة.

وكما يهتم كل وليّ بصحة ولده، ورعاية جسمه في تأمين الطعام والشراب واللباس ودواعي الفطرة، كذلك عليه أن يهتم بتزويج الفتى أو الفتاة تماماً. فرعاية جسمه ضمان لسلامة عافيته وبدنه كذلك هنا تزويجه ضمان لسلامة دينه وأخلاقه وعافية نفسه وروحه بل هذا أهمّ. وقد حضّ عليه القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ كما سبق.

ولا يقف الولي أمام الصعاب والعقبات في هذا، فكما يجمع أحياناً مالاً من هنا وهناك من أجل علاج ولده، بل وكما يقترض من أجل عملية جراحية ضرورية لولده كذلك هنا. ولو أدى الأمر إلى أن يقترض من أجل تزويج الفتى أو الفتاة، فالشرع يندبه إلى ذلك ويؤيده. ومن هنا فضل العلماء تزويج الفتى والفتاة على أداء الحج بعد الفريضة أو قبلها إذا دعت الحاجة الضرورية عند الفتى أو الفتاة إلى ذلك.

أيها الأولياء

إن التجاهل هنا بعد هذا البيان والتسويف وتهيب العقبات في طرق الزواج أمر خطير للغاية على دين الشباب وأخلاقه.. إنه قد يؤدي ذلك إلى ضياعهم فيقع في كارثة أكبر ونفقات باهظة أكثر «فمن لا يحسب لا يسلم».

أيها الشباب ـ أيتها الشابات

هل منْ مستفيد من هذا الحوار وهذا التوجيه؟ من أجل حياة أفضل؟ فيعزم على الزواج ويبدأ بالطرق الوقائية: قوة لبناء الزواج. هل من متبصّر ومعتبر من هذه المحاكمة مع الدّين والعقل والحياة؟ من أجل استقرار وسعادة أشمل. ثم هو يحتكم إلى الطرق العلاجية التي ذكرناها وكما أرادها الله إذا حدث خلافٌ ما ليستمر البناء ويزهر؟ اللّهم نعم، اللّهم نعم.

وأختم حواري معكم أن تذكروا في النهاية، جواب سؤال، لعالم عارف بالله: «سئل عن النكاح» فقال: «الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، ثم قال ولكن الصبر عليهن خير من الصبر على النار».

وليذكر من أراد الزواج «إن الزوجة ظلّ الزوج كالشاخص تماماً، فإن كان الشاخص مستقيماً فالظل مستقيم، أو كان أعوجاً فالظل أعوج، لأنه أثره. ومن طلب استقامة الظل مع عوج الشاخص فقد رام المحال». وليس في ذلك انتقاص لها، لأنها سنة الحياة.

إن في ذلك تبصرة وعبرة لأولي الأبصار من الفتيان والفتيات اللواتي يردن الزواج.

مقدمة في

الحديث عن تربية الطفل في الإسلام

أثر الزواج الناجح في تربيه الطفل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وليّ كلّ توفيق.

الحمد لله على أن وفّقني لإعداد هذه الرسالة «منهج الإسلام في تربية الأطفال» بغية مرضاة الله في الدّعوة إلى الإرشاد والتوجيه **﴿ومَنْ أحسنُ قولاً ممّن دعا إلَى الله وعَمِل صالِحاً وقالَ إنّني من المسلِمِين﴾**.

وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله صفوة خلقه، المختار للقدوة الحسنة في أدب الكبار والصغار، وعلى أصحابه الغرّ الميامين في ميادين الحق والتربية والنضال.

القارئ الكريم:

أصبح بين يديك عملاً بسيطاً ومتواضعاً من قبسات نورانية من تعاليم محمد ﷺ للآباء والأمهات والأولاد والأطفال، وقد خصّصت في هذه الرسالة حديث الإسلام ومنظوره في تكريم ورعاية الأطفال وتربيتهم وهم بنظره «قرّة أعين وزينة الحياة»، وبمنظورنا هم فلذات أكبادنا ومهجتنا في دنيا الحياة، فحريٌّ بنا أن نتحدّث لهم عن موقف الإسلام وتعاليمه الغرّاء من الطفل والأطفال ونعطيهم قسطاً من التوجيه والإرشاد للآباء والأولياء نحو طفل اليوم وجيل المستقبل، نعطيهم مادة من الإرشاد والتوجيه ليتحدّثوا بها مع أطفالهم وعلى الدوام.

القارئ الكريم:

ربما تسأل ما هو معنى المنهجية في الإسلام في رعاية الأطفال حتى أسميتها «نهج الإسلام»؟

من المسلَّمات لدى كل باحث ومطَّلع أن من خصائص الإسلام «الوحدة والنقاء والخلود» وأنَّ تعاليمه تتَّسم بالمنهجية العلمية الدقيقة في حدود «ضوابط وأصول وتسلسل منطقي ومعقول»، لأنه من صنع ا لله سبحانه الموصوف بالحكمة والعلم والخبرة، وهي عماد المنهجيَّة في أيٍّ علم من العلوم، وإنَّ المنهجيَّة في بحثنا تعثر عليها من خلال دراستك فيما انطوت عليه هذه الرسالة من إرشادات وأحكام وتوجيه. فبدأت من حيث بدأ الإسلام في العناية بالطفل، إذ نقول:

١. الطفل في ضمير الغيب، أي حين كان أملاً في ضمير الخاطب والمخطوبة، وقد حملهم الإسلام مسؤولية حسن الاختيار من أجل الأطفال.
٢. الطفل وديعة في رحم أمِّه «حِملاً خفيفاً» كيف رعاه الإسلام وحفظ له حقوقه.
٣. الطفل على وجه الأرض معجزة الخالق هبته العظيمة، وكيف استقبله بتوجيهات لوالديه ترعاه وتكرّمه؟
٤. الطفل وهو وردة متفتحة في أحضان أمه وأبيه بماذا وجه الإسلام أولياءه؟
٥. الطفل وهو يقارب سنَّ الرشد، كيف شمله الإسلام بآدابه وتعاليمه.

أليس في هذا التسلسل صورة من صور المنهجية التوجيهية والتعليمية، إنَّه «نهج الإسلام في تربية الأطفال»، وفي الجملة فإنَّ الدَّارس لهذه الرسالة وما حوته من إرشادات وافرة في موضوعها لَيدرِك كيف أنَّ تربية الطفل في الإسلام هي تربوية وعلمية ومنهجية متحضِّرة تسبق الزمن وتنافس الحضارات في عالم الطفولة اليوم. قال تعالى ﴿**ما فرَّطنا في الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾.

إنَّها حقيقة تزداد عند أولي النُّهى والبصيرة، إن أي صورة أو نداء لرعاية الطفولة تبدو باهتة أمام صورة أو دعوة الإسلام لرعاية الطفولة والأطفال.

وفقنا الله إلى تربية أطفالنا تربية إسلامية فاضلة على نورٍ من الله وهديٍ من تعاليمه الإسلامية.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول:

عالم الطفولة في القرآن والسنة.

الفصل الثاني:

معالم الاهتمام بالطفل.

مواقف الإسلام من:

- الطفل في ضمير الغيب.
- الطفل وديعة في رحم أمه.
- الطفل في طور الحضانة.
- الطفل في سن الرشد.

عالم الطفولة في القرآن والسنة

خلَق ا لله في الفطرة الإنسانية حبّ الأطفال والرحمة بهم، وغرس في قلوب الأبوين هذه العاطفة السامية فحبهما غريزي «فطري» لا يقدر إنسان على دفعه أو منعه، فكان هذا منسجماً مع الإسلام لأنه دين الفطرة. فالطفولة في الإسلام لها عالمها الجميل المليء بالبهجة والجمال والأحلام والسَّعادة والحب.

رسم لنا هذا العالَم حديثُ القرآن الكريم عن الطفولة بأنَّها قرَّة أعين حيث قال: ﴿**ربَّنا هَب لَنا من أزواجِنا وذُرِّياتنا قرَّة أعين**﴾ الفرقان /٧٤/.

ووصف الأطفال والبنين بأنهم زينة الحياة الدنيا فقال: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ الكهف /٤٦/.

حبُّ الرسول ﷺ للطفولة كان يملأ عليه قلبه

ولقد بيَّنت لنا السُّنة النبوية حب رسول ا لله ﷺ للطفولة.. فقد كان حبه للطفولة يملأ عليه قلبه المضيء وروحه ونفسه العالية، فعالم الطفولة عنده قريب من عالم الجنَّة، فقد قال: (صغار الأطفال دعاميص الجنَّة) والدعاميص هو نوع من الفراشات الجميلة. ويرقى رسول ا لله ﷺ بحبه للأطفال فيراهم رحمة من ا لله مهداة وسبباً لدفع العذاب فيقول: (لولا أطفالٌ رضَّع وشيوخٌ ركَّع.. لانصبَّ عليكم العذابُ صبّاً).. الحديث.

وقوله لابنته السيدة فاطمة رضي ا لله عنها حينما سمع بكاء سيدنا الحسن (أوَ ما علمتِ يا فاطمَة أنَّ بكاءَهُ يؤذيني). ثم كان ﷺ إذا سمع بكاء

طفل وهو في صلاته يعجّل في صلاته رفقاً به ولئلا يشق على أمه فيقول: (إنّي أكره أن أشُقَّ على أمّه). فهَل توجد نفسية رقيقة ومشاعر دقيقة وأحاسيس مرهفة مثل ما انْطَوت عليه شخصية الرسول الكريم ﷺ نحو الطفولة العظيمة؟ ثم أليس هو قدوة لنا؟

عالم الطفولة في الفطرة

ولا يفوتنا أن نذكر دور عامل الفطرة والغريزة في الرَّحمة بالأطفال وشدَّة الحنوِّ عليهم ورعايتهم، تلك العاطفة التي جبلت نفوس الآباء عليها، فالرحمة بهم ومحبتهم متأصِّلة بالمشاعر النفسية والعواطف الأبوية، وذلك حكمة من الله بالغة ليرعى الأبوان أطفالهما ويهتمَّا بهم وليبذلا قصارى جهدهما وغاية مساعيهما في تربية الطفل والحنوّ عليه ليكون في الغد القريب صالحاً لأعباء الحياة، وقد سبق أن ذكرنا كيف أن القرآن الكريم صوَّر مشاعر الأبوَّة الصادقة أجمل تصوير حين وصفهم لهما بقرة أعين وبزينة الحياة. ويؤيد هذه الفطرة ما ذكره العلماء بأنه لا توجد آية في القرآن الكريم على سعته وحجم آياته تحضُّ الأبوين وتحثُّهما على الرعاية والعطف على أولادهما بل كان العكس تماماً أن حثَّ الأولاد على رعاية آبائهم ووصَّاهم بهما كثيراً. إنَّها الفطرة إنها منحة من الله لعباده من أجل الطفولة والبنوة ﴿**ووصَّينا الإنسان بِوالِدَيه حُسْنا**﴾. العنكبوت /٨/.

الإسلام يسابق الحضارة في تكريم الطفل

وبعد هذا العرض السريع والمجمل عن عالم الطفولة في تعاليم الإسلام في القرآن والسنة والفطرة ندرك تماماً اهتمام هذه الشريعة بالطفولة ورعايتها بل لقد اعتبر ذلك مقصد التشريع الإسلامي في تربية الطفل ورعايته.

وإذا كان لأمَّةٍ أن تفتخر بتشريعها في الإعلان عن حقوق الطفل أو في تكريمه في عيد الطفل العالمي فأمَّة الإسلام أولى الناس بذلك.. لأن الإسلام منذ أكثر من عشرة قرون خلت عُنيَ بالطفولة وجعلها من مبادئه الكريمة ورعايته عيد وعلى الدوام، بل شملته رعايته مذ أن كان غيباً ﴿**بينَ الصُّلبِ والتَّرائب**﴾ فحضنه وخطَّط له مستقبله وحدَّد للرجل والمرأة معالم الطريق على دروب تكوين أسرة ودروب الإنجاب وإليك معالم هذا الطريق في عالم حقوق الطفل في الإسلام.

معالم الاهتمام بالطفل قبل الولادة

الطفل في ضمير الغيب

١ـ حسن الاختيار لمصلحة الأطفال:

رعى الإسلام الأطفال وخطط لمستقبلهم منذ أن كانوا في ضمير الغيب ومنذ أن كان الطفل أمنية وصورة في قلب الأب والأم. لقد حضّ الإسلام كلاً من الخاطب والمخطوبة، كلاً من الرجل والمرأة وهما يريدان الزواج أن لا يقتصرا في الاختيار على الجمال والشهرة دون أن يؤازر هذا الجمال قيماً أخلاقية وتربوية وأن لا يكون الحسب والمال هما كل شيءٍ في الحساب. فلابدَّ أن ينضم إلى ذلك أن يكونا من بيت كريم وأسرة أصيلة، وماذاك إلا لأنَّ الأولاد سيرثون من أخلاق الأبوين وصفاتهما وسلوكهما الكثير الكثير. وقد نبَّه الرسول ﷺ وأشار إلى ذلك بقوله: (إيَّاكم وخضْراء الدِّمن، قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ فقال: المرأة الحسناء في المنبت السوء). «رواه

الدارقطني والديلميّ». ثم وجَّه التوجيه الإيجابي بقولـه: (فـاظفرْ بـذات الدِّيـن تربت يدَاك).

٢ ـ الزوج الصالح أساس المجتمع الصالح:

وبالمقابل فقد أرشدت مبادئ الإسلام أولياء المخطوبـة بـأن يبحثـوا عـن الخاطب ذي الخلق الكريم والدِّين المتين، والمعشر الحسن، والكفاءة المالية الـتي تساعده على رعاية كاملة ليؤدي حقوق الزوجة والأولاد، يبحثـون عـن الكفء الصحيح لابنتهم، قال رسول الله ﷺ: (إذا جاءكُم من ترضَون دينَه وخلقَهُ فزوِّجوه، إلا تَفعلوا تكُن فتنةٌ في الأَرض وفسادٌ كبير).

٣ ـ الزواج بالقريبة القريبة وأثره على الأطفال:

إنَّ تعاليم الإسلام سبقت العلماء الَّذين أثبتوا أن للوراثة أثراً كبيراً في الإنجاب وفي خُلُق الأطفال وصفاتهم بعدة قرون، حيثُ وجَّه الفقهاء إلى ذلك بقولهم (اغترِبوا ولا تضْوُوا) أي لئلا يهزل ويضعف نسلكم. فقد حذَّر الرَّسول ﷺ من الزواج بذوات النَّسب (القرابة القريبة) حتى لا ينشأ الولد ضعيفاً وتنحدر إليه عاهات أبويه وأمراض أجداده من الأمراض السارية والعاهات الوراثية فقد قيل: «لا تنكحوا القرابة فإنّ الولدَ يُخلَق ضاوِياً» نحيف الجسم بليد الذكاء.. ولقد أثبت علم الوراثة ذلك ولكنَّ الإسلام قال كلمته منذ أربعة عشر قرناً أي قبل أن يأتي العلم ليقول كلمته. ثم من جهة ثانية الغرض من ذلك توسيع دائرة التعارف الأسريَّة والمجتمع العائلي.

فالطفل إذاً يحمل خصائص الخؤولة والعمومة وعناصر الأبوَّة والأمومة ويمتصُّ بجذوره الوراثية ما قد علق وترسَّب في بؤرة مغرسه، ومن هذه الرؤية العلمية نظَّم الإسلام هذه العلاقات كلِّها ليحفظ مستقبلاً للطفل عليه جلاله ومهابته ليخرج إلى الناس والمجتمع لا تشوبه شائبةٌ أو يحط من قدره سلوك أو يلحق به سوءات أبيه وأجداده وذويه من ناحية الأب ومن ناحية الأم لأن الرسول الكريم ﷺ يقول: (إنَّ العرق دسَّاس).

٤ ـ إذاً الزواج هو اللَّبنة الأولى في تكوين الطفل الصالح:

فالأسرة بشكل عام في الإسلام لها نظام بديع وغاية في الحسن والارتقاء وأيضاً لها خطورتها وأضرارها، لذلك كله كان لابدَّ للإسلام أن يصحِّح أوَّل لَبنة من لبناته، فالزواج بمقياسه أول لَبِنة تعني سلامة ما يترتب عليها من حياة سعيدة مستقرة، فنظم من أجل ذلك حتى اصبح للزواج في الإسلام طابعه الخاص به.

٥ ـ الأطفال دعامة لقوة الأسرة واستمرارها:

إنّ العلاقة الحميمة بين الزوج والزوجة القائمة على المودة والرحمة يقويها إنجاب الأولاد وحبّهم من الأبوين. فالأطفال إذاً يجعلون جوَّ الأسرَة أكثر استقراراً وأكثر أمناً، وفي هذه اللمحة من آيات الله وسرِّه في تشريع الزواج وفي التشجيع على الإنجاب قال تعالى: ﴿**ومن آياته أن خَلَقَ لكُم من أنفِسكُم أزواجاً لِتَسكنُوا إليها وجَعَلَ بينكُم مودَّةً ورحمةً**﴾ الروم /٢١/.

فقد فسَّر بعض المفسِّرين المودة والرحمة بالطفل لأنه في الواقع هو سبب لتقوية العلاقة الأسرية وقد أمرنا الرسول ﷺ بذلك حين قال: (أحبُّوا البنين) فإن ذلك يدل على أن للأطفال الفضل الكبير على الأسرة.

الطفل وديعة في رحم أمه

مسؤولية الأبوين في الحفاظ على حياة الطفل ونموه:

إنّ الحفاظ على حياة الطفل ونموّه من أهم المطالب في تعاليم الإسلام ينبغي المحافظة عليها وألاّ نتهاون فيها ورتّب الرسول ﷺ إثماً عظيماً عَلى من يهمل ذلك فيسيء إلى حياة الطفل فقال: (كَفى بالمرء إثماً أن يضيِّعَ من يقوت) ـ أي يعول ـ، «رواه الإمام أحمد والحاكم». ثم إن الإنفاق من أجل صحة الطفل هو من أفضل الإنفاق عند الله، فالإسلام يقرر أن أفضَل الإنفاق درهمٌ تنفقه على أهلك، وللجسم الصحيح أثره على سلامة التفكير وصحة النفس والعقل، فالعافية هي أفضل ما أنعم الله به على الإنسان بعد الإسلام.. وقد ورد ما سأل رسول الله ﷺ شيئاً أحبّ إليه من العافية، هذا في الإطار العام في الحفاظ على الحياة، أما في مجال التفضيل فنسرد مواقع الحفاظ على حياة الطفل ورعاية صحته ونموه حتى وهو جنين في بطن أمه.

الطفل في طور الحضانة

١ ـ العناية بالحامل والمرضع وقاية للجنين:

فقد أشرنا إلى عناية الإسلام بالمولود قبل ولادته وتبدأ هذه العناية بغذاء الحامل والمرضع، ونرى من اهتمام الإسلام بذلك أن أجاز الشرع الإسلامي للحامل الإفطار في رمضان إذا خافت على نفسها، أو خافت على الجنين،

حيث يقل غذاؤه بسبب الصوم أو ربما يؤدي الصوم إلى ضعف جسمها، وهذا بالتالي يؤثر على الجنين. ثم إن الشرع أباح للمرضع الفطر في رمضان إذا خافت أن يتأثّر طفلها من صومها، فيقلّ حليبها. وما ذاك إلا لأن الإسلام يلبّي حاجات الطفل الحيوية ومشاعر الأمومة الحانية والمطالب الإنسانية فيقول ﷺ: (إنّ الله وضَع عن المسافر الصوم وشطْر الصلاة، وعن الحُبلى والمرضع الصوم).

٢ ـ الرضاعة الطبيعية مناعة طبيعية:

قال الله تعالى: ﴿**فأوحَينا إلى أمّ موسى أن أرضِعيه**﴾. القصص /٧/.

في هذا إشارة تشريعية إلى أن الإسلام يفضّل أن ترضع الأم ولدها من ثديها، من لبنها، وإرضاع الطفل من غير أمّه مع قدرتها أمر لا يحبّذه الدّين ولا يشجّع عليه، وإنّ الأمّ التي تمتنع عن إرضاع وليدها دون ضرورة قاهرة إنما تحرم نفسها بقدر ما تحرم طفلها، فالرضاعة الطبيعية ينتج عنها عند الأم عملية تفريغ عاطفي وإحساس وجداني وهي تحرّك فيها كل نوازع الأمومة، هذا فضلاً عن الفوائد الصحية التي تعود عليها من جراء هذا الارضاع الطبيعي والتى أثبتها الطب في هذا العصر. فالأم الواعية المتديّنة ترى هذا واجباً حتمياً عليها تحاسب عليه من الله سبحانه الذي منحها هذا المولود، وحباها بغذائه وكفل غذاءه بما في ثدي أمّه.

٣ ـ الحافز المادي للإرضاع الطبيعي:

وقد وضع الإسلام الحافز المادي للإرضاع الطبيعي حيث جعل للأم نفقة إرضاع إذا ما انفصلت عن زوجها، حتى لا تُهمل حياة الطفل وحتى يأخذ كلّ احتياجاته من الغذاء، ولأنه من مستلزمات العناية بحياة الطفل ونموه.

٤ ـ المباعدة بين الولادات:

هي هدف إسلامي، أمر به الإسلام، وما ذاك إلا لتسترد الأم صحتها وتعوض ما فقدت من عناصر حيوية في الحمل الأوّل ثمّ ليصحّ الجنين ويأخذ حقه من الرضاعة الطبيعية. نعم هذه الرضاعة الطبيعية التي عاد إليها الطب بعد طول سياحات في الرضاعة الصناعية، إذاً فإنّ صحّة الام وصحّة الطفل هما أساس فكرة المباعدة بين الولادات. قال تعالى: **﴿ووصّينا الإنسان بوالدَيهِ إحساناً حملَتهُ أمُّه كرهاً ووضعتْهُ كُرهاً وحملُهُ وفِصالُهُ ثلاثُونَ شهْراً﴾** الأحقاف /١٥/. فالإشارة إلى فطام الطفل في حدود عامين يشير إلى مبدأ المباعدة بين الولادات.

٥ ـ أثر غذاء الحامل والمرضع على صحة الطفل وعقله:

هذا عن المرضع أما عن غذاء الحامل خلال فترة الحمل فقد أمرها الإسلام أن تتّبع نظاماً دقيقاً في التغذية من أجل صحتها وصحة الجنين، فإن سوء التغذية يؤثّر عليهما معاً. لذا فينبغي أن تهتم الحامل بنظام تغذيتها أثناء الحمل حتى تتهيأ الظروف لكي تنجب مولوداً سليماً صحيحاً وتخرج هي أيضاً من هذه الولادة سليمة صحيحة.

٦ ـ منظور الإسلام في العناية بصحة الطفل:

ثم إنّ الحديث عن الحفاظ على حياة الطفل ونموّه، من حيث وقايته بالتلقيح من سائر الأمراض التي أشار إليها الطب، حديث لا تتسع له هذه الرسالة. وفي الجملة، فإن الإسلام مجموعة من المبادئ الكليّة والأُطر العامة

يُضربُ بها المثل الأعلى في الحفاظ على حياة الإنسان والطفل.، لأن الإسلام يرى بمنظوره أن العناية بالحفاظ على حياة الطفل هي نفسها عناية بقوة المسلمين عامة. وقوة المسلمين تتطلّب أجساماً تجري في عروقها دماء العافية ويمتلئ أصحابها فتوة ونشاطاً فـ:(المؤمن القويّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف)، وهي حقيقة دينية يجب أن لا تغيب عن أذهان المسلمين.

الطفل في مقتبل العمر

مسؤولية الأبوين منوطة بالفطرة

مسؤولية الأبوين منوطة بالفطرة، إذا كان شعور الأبوين وبالرحمة بأولادهما وبالحنان عليهما مما يدخل في الشعور الغريزي لما أسلفنا، وكانت العواطف متأصِّلة فطرياً في شخص الأبوين «ولا أبلغ ولا أدلّ على ذلك مما قالته تلك الأم لولدها وهو يطردها من البيت: أسعدك الله يا ولدي»، تردّد ذلك في طريقها وهي شديدة الأسى من ولدها العاقّ، فهما إذاً بغير حاجة إلى وصايتهما بذلك ولكن الإسلام العظيم إمعاناً منه في الحرص على الرعاية والعناية بحياة الطفل ونموّه نمواً قوياً ومعافىً حمَّل الأبوين مسؤولية الطفل واعتبَر الطفل أمانة في أعناق الوالدين سيحاسبهما الله عليه (كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيّته، والمرأة راعيةٌ في مال زوجها ، ومسؤولة عن رعيَّتها، والخادم راعٍ في مال سيِّده ومسؤول عن رعيَّته، ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته).

وكلّنا يدرك أنّ الطفل في سنيّه الأولى لا يَعي مفهوم الخطر الحقيقي، فلم يكلفه الشرع بحماية نفسه ورعايتها لعدم قدرته على ذلك، لذلك أناط الشرع بالأبوين مسؤولية الحفاظ على حياة الطفل ورعايته ونموه.

١ ـ أهم عوامل هذه المسؤولية:

وانطلاقاً من المسؤولية المشتركة بين الزوجين كان عليهما أن يحفظا عليه حياته فيقدِّمان الغذاء والكساء اللّذين يصلحان له كناحية إيجابية. ثم عليهما كناحية وقائيّة بأن يحفظاه من الأخطار والأمراض التي تداهمه وتهدد حياته ونموه. فالإسلام يحذّرنا من الإهمال في علاج أبنائنا والإهمال في وقايتهم من الأمراض المعدية والعلل والأدواء.

وإنّ هذا ليعتبر ضرب من التهلكة التي حذّرنا الله منها لأنفسنا ولأولادنا بقوله تعالى: ﴿**ولا تُلقُوا بأيدِيكم إِلَى التَّهلُكة**﴾ البقرة /١٩٥/.

فأي تهلُكة أصعب وأقسى من أن يقدّم الإنسان فلذات أكباده للهلاك وفريسة سهلة للضياع إذا ما هو تناسى مسؤوليته تجاه أطفاله وأولاده، ويقول تعالى: ﴿**يا أيُّها الّذين آمنوا قُوا أنفُسَكم وأهليكُم ناراً وقودُها النّاسُ والحِجارَة**﴾ التحريم /٦/. فالأمر الإلهي واضح كل الوضوح في أمرنا بوقاية أنفسنا وأهلينا من الهلاك والنار.

٢ ـ وقاية الأبناء من الآخرة والدنيا على السواء:

إذاً وقاية أنفسنا على نفس مستوى وقاية الأهل والأبناء من عذاب النار وهذه الوقاية كما تكون في الآخرة تكون ألزم في الدنيا لأن الدنيا مزرعة

الآخرة. والوقاية هنا لا تقتصر على كل ما يمنع من التردِّي بالمعاصي والذُّنوب والآثام والموبقات، بل تشمل الوقاية من الأمراض وعلل الأجسام في حياتنا الدنيا انطلاقاً من حرص الإسلام على التوازن بين مطالب النفس والروح والجسد. ومن الحفاظ عليهم أن تلقحهم ضد الأمراض المعدية والمعيقة حرصاً منّا على سلامتهم ووقايتهم. والدولة تقدم اللقاحات مجاناً، وحتى لو كان التّطعيم والتحصين ضد هذه الأمراض بالأجر، فالإسلام يقرِّر (أن أفضل الإنفاق درهم تنفقه على أهلك)، ثم إن كلاً من الحفاظ والوقاية تدخل تحت مبدأ «الرحمة» التي جعلها الرسول قانوناً لرحمة صغارنا والعطف عليهم فقال: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا...) «رواه الإمام أحمد».

وقد أفرد البخاري في الأدب المفرد بعنوان «رحمة الصغير» تقديراً منه لأهمية هذه الرحمة التي شعر بها من خلال أحاديث رسول ا لله ﷺ عن الرحمة بوجه عام.

٣ ـ الرحمة بالأطفال عائدة على الآباء:

وإذا كان الرسول ﷺ يحض على الرحمة بالصغير عامّة فإن رحمة الأبوين بأولاده الصغار أولى وأحق برحمتهما ولا ينسى الأبوان أنّ رحمتهما بالصغير ستعود عليهما عند كبرهما، فالود يُتوارث والمعروف لا يموت، ولأنّ من لا يرحَم لا يُرحم، وقد جاء هذا المعنى على لسان رسول ا لله ﷺ بأسلوب الدعاء عليه فقال: (من لا يَرحم لا يُرحم)، فقال ذلك للأقرع حين قال له إنّ لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً، فاستنكَرَ الرسول ﷺ قسوة الأب على أولاده إلى هذا الحد وقد كان هذا من عادات العرب في الجاهلية وهي عادة

سيئة، فإذا لم تتحرك عواطف الأب على أطفاله فعلى من تتحرك؟! ومَن ترحم؟!

٤ ـ لماذا كانت المسؤولية واجباً دينياً وقومياً:

وفي الختام نستطيع القول: إن مسؤولية الوالدين عن أطفالهما على النحو الذي ذكرنا بات واجباً دينياً وأمراً اجتماعياً محتماً وإلزاماً قومياً لأن أداء هذه المسؤولية على الوجه الأكمل سيؤدي إلى إنشاء جيل قادر على الدفاع عن وطنه وتحمل تبعاته غير بائس ولا يائس وليس عالة على غيره، وهذا من أولى الواجبات الوطنية والقومية فضلاً عن أنه واجب ديني كما قررنا. ولعلّ قول سيدنا عمر رضي الله عنه للولد وهو يجيبه عن حق الولد على والديه: «عليه أن يحسن اسمَك ويعلّمك دينك ويختار أمّك»، إنه لأثرٌ بليغ في تقريره هذه المسؤولية.

الطفل في طور سن الرشد

تربية النشء في الإسلام

اتّجهت تعاليم الإسلام نحو تربية النشء باهتمام بالغ، وأعطت هذه التربية حظّاً وافراً من التعاليم القرآنية والأحاديث النبوية. وقد انبثق هذا من قيمة النظرة التشريعية للإسلام نحو هذا النشء فهي تراه جيلاً في المستقبل يعتمد عليه في غراس الحياة، ثمّ هو الفجر الصادق والغد المشرق للأمّة والكيان الإنسانيّ، وعلى عظم هذه الرؤية تتضاعف المسؤولية في توجيه النشء وتربيته التربية القومية والرائدة. وما الطفل إلا فرد من هذا النشء بل وفرد من هذه الاسرة والمجتمع.

المساواة بين الأطفال ونظرته للإناث

سبق أن ذكرنا أن الإسلام يعتبر الأطفال قرّة أعين، فلابدّ إذاً من أن تؤكّد تعاليمه وآدابه هذه النزعة الإنسانية، فعلى الأبوين المساواة بينهم حتى في التقبيل. أمر تقرُّه أوامر الإسلام السّمحة وتشجّعُ عليه.

نظر رسول الله ﷺ إلى رجل له ولدان قبّل أحدهما وترك الى الآخر فقال له رسول الله ﷺ: (فهلاّ سوّيتَ بينهما).

فعلى الأبوين ملاحظة ذلك بدقّة، فالميل كلّ الميل إلى طفل بعينه دون إخوته أو إلى جنس من الأولاد (ذكور مثلاً) دون الآخر (إناث) أمر يتنافى ونظرة الإسلام إلى منطق المساواة التي بنى عليها تعاليمه، فلا تفرقة في الإسلام بين فتى فتاة ولا بين ولدٍ وابنةٍ بل كلاهما في كفتي الميزان سواء وبالأخص في عمر الطفولة، والله سبحانه أشار إلى المساواة العامّة بين الذكر والأنثى في قوله تعالى: ﴿**فاستَجاب لَهُم ربُّهم أنّي لا أضيعُ عمَل عاملٍ منكُم من ذكرٍ وأُنثى بعضُكُم من بَعض**﴾ آل عمران /١٩٥/.

فالأبوان مدعوّان إلى معاملة الأطفال على قدم المساواة من باب أولى، حيث لا عمل لهما بعدُ يسجّل في صحائفهما عند الأبوين ليستدعي الأمر التفريق.

وبات معروفاً أنّ التفرقة بين الأولاد من حيث الجنس ذكراً أو أنثى هي في أصلها نزعة من نزعات الجاهلية عاشها العرب قبل الإسلام وجاء الإسلام بمكافحتها، ومن أبواب المكافحة التخفيف من هذه المغالاة في التفضيل أنّ الرسول ﷺ صار يوجّه إلى ما يرفع من قيمة البنات ومن مشاعرهنّ وإحساسهنّ بقيمتهنّ في الحياة فيقول: (نعم الولد البنات المخدرات).

والرسول ﷺ يحاول بهذه الأحاديث وهذا التوجيه تغيير الاعتقاد الجماعيّ في حينه بأفضلية الولد على البنت ولعلّ أروع ما ذكر في هذا الباب ما حدث أنّه عندما بُشِّر الرسول الكريم ﷺ بفاطمة رضي ا الله عنها لمح على وجه الصحابة شيئاً من الامتعاض فقال لهم قولاً يملأ مشاعر وعواطف الأبوين حنوًّاً نحو البنات وتقديراً لقدومهنَّ والترحيب بهنّ فهم عطية ا الله سبحانه وهبته، وتفويض الأمر في رزقهنّ على ا الله فقال لصحابه: (ما لكم!) ثم ضمها إلى صدره وشمها، وقال: (ريحانة أشمُّها ورزقها ا الله)، وأن يوجه في العطايا واللّعب (ابدؤوا بالإناث قبل الذكور).

فالرسول عليه الصلاة والسلام يحبّب بالإناث إلى قلوب الآباء حباً يعادل في قيمته مقاومة الغرائز والعادات المتأصّلة بالميل إلى الذكور، وذلك لنصل إلى مبدأ المساواة بينهما فإنّه أسلَم العواقب بين الأولاد.

أخطار التفضيل بين الأطفال

إنّ التفضيل في الميل والحب والعطايا بين الأولاد حتى ولو ذكوراً أمرٌ له أخطاره على التربية وعلى الأسرة بشكل عام، لأنّه ميل عن الصِّراط، ميل عن منطق المساواة والحق بالإنصاف بين الأطفال. ولنحدِّد شيئاً من أخطاره مُلْتَمَسَةً من الواقِع وتشِير إليها بعض المشاكل الأسرية اليوم.

١. تتأذّى مشاعر بعضهم وعواطف البعض الآخر.

٢. يُضمِرون السوء لبعضهم إذا حانت الفرصة.

٣. يحلُّ البغض مكان الحب في الأسرة، والخصام محلَّ الوفاق والوئام.

٤. يسبب الاضطرابات النفسيّة والشذوذ والعدوانية.

٥. يشجّع على كبت المشاعر والعزلة والانطواء مما يقتل الإحساس ويؤذي مشاعر الطفل المفضول. ولقد أجريت في أسرتي استجواباً سريّاً وخطيّاً حول تأثُّرهم من التمييز بينهم فكانت هذه المساوئ المتوقعة فيما لو عوملوا بالتَّفضيل، ويمكنكم أيُّها الآباء وأيَّتها الأمَّهات إجراء ذلك للاقتناع.

كيف نظر الإسلام إلى تربية النشء:

وقد بدأ الإسلام بإعداده باعتباره الخليّة التي تنسج الأسرة والمجتمع والأمّة، فإذا ما تمّ تكوينه من خلال أدب الشرع الإسلامي له فترعرع على القيم الأخلاقية وعاش المفاهيم الإنسانية واعتنق المثل العليا التي جاء بها هذا الدين الحنيف وتشرَّب ذلك من بداية تكوينه العقلي والنفسي والفطري فشبّ على هذا المنهج الحيّ والصراط المستقيم... كان لبنة في هذا المجتمع الصغير «الأسرة» وكانت الأسرة بأعضائها المتشابكة تؤثر في بعضها البعض فتصبح مجتمعاً صغيراً تامّ التكوين ثم كان منه المجتمع الكبير والأمة والجيل الناشئ القويّ.. وتعاليم الإسلام السمحة، سنراها فيما نعرضه حول نظرة التربية الإسلامية لتربية النشء نراها تنسِّق الخطوات وتوضِّح منهج العناية بالطفل وتربية الفرد لينشأ من مجموع ذلك تقدم متكامل للأسرة ومجتمع يقوم على منهاج من الإيمان با لله ومبادئ الرحمة والمحبّة والعمل الدؤوب بما يحقِّق رسالة الوطن، ورسالة الإسلام في كل معركة من معارك الحياة من أجل التقدُّم للأمّة والبقاء لمجدها والرقيّ لها فتسعد بذلك ديناً ودنيا، ومن غير هذه المحاور لن يتم للأمة جيلاً يحقق لها الحرية والسعادة ولن تجد من ا لله عوناً لها على نصرها فقد قال عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه «من لم يؤدِّبه الشرع لا أدّبه ا لله».

الفصل الثالث:

- منهاج تربية النشء وتعليمه في الإسلام.
- ملازمة الوالدين عامل هام في أدب الأولاد.
- التوازن في تربية الطفل هدف إسلامي عظيم.
- وصية ذهبية هي لوحة شرف تعلق في كل روضة ومدرسة.
- الحافز المادي للمؤدب.

منهاج تربية النشء في الإسلام

١ ـ الطفل بين الفطرة والمكتسب من البيئة:

من المسلَّم به أن الفطرة والبيئة لها أثر كبير في تكوين الطفل ليخرج عضواً نافعاً لدينه ووطنه ومجتمعه. ومن هنا كان البدء في التفكير في تكوين الطفل والأسرة في نظر الإسلام، في طباعه وعاداته وأخلاقه. ويبدأ تأثُّر الطفل بالبيئة من والديه.

٢ ـ الأسوة الحسنة بالآباء ضرورية في حياة الأبناء

ولذا أوجب الإسلام على الوالدين أن لا يَظْهروا أمام أطفالهم إلا بالمظهر الحسن والمستقيم وأن يضربا أمامهم أكرم الأمثلة في الأقوال والأفعال، لأنه يتّخذهما مثلاً أعلى في سلوكه وفي حياته. ولعل التوجيه النبوي الرائع يضيء لنا اهذه الفكرة بل يقررها ويؤكدها، فقد قال رسول ا الله ﷺ (أحبُّوا الصبيان وارحموهم فإذا وعدتموهم فوفُّوا لهم فإنّهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم). فما أروع هذا الحديث وهو يهدف إلى التوجيه النفسي والأخلاقي للطفل ويرسم بوضوح تأثُّره بالبيئة اوبأبويه على النحو التالي.

٣ ـ الطفل السويُّ ثمرة بيئة صالحة

فما هي مقومات هذه البيئة!

١. الحب، ومَن أولى من الولد به فهو فلذة الكبد وخلاصة الحياة، والحب بوجه عام هو الرباط الذي يجمع كلّ الناس على الخير.

٢. الرحمة، إنها الرحمة وهي من نوازع الخير والإنسانية تحتلُّ قلب المؤمن فهي واحة عميقة تجمع الناس على العطف والحنان.

٣. الوفاء بالوعد، واجب أخلاقي تحتّمه الشرائع إلا أنه للولد أوجب ما يكون لينقل في حياته هذه الصورة النامية الذكيَّة. ينظر إلى أبويه نظرة التقدير والإكبار وهي ترجمة كاملة لتلك العواطف الصادقة النبيلة.

٤. الوالد مناط القدوة، فالطفل يَراهُ في موقع أعلى من كلّ شيء، فهو يغذي جسمه وروحه ويدعو له بكل خير ولا يرى بعيني قلبه غيره في الوجود، فهو المثل الأعلى عنده في كل شيء.

ملازمة الوالدين عامل هام في أدب الأولاد

ثم يشير الرسول الكريم ﷺ إلى أمر هام في سلوك الوالدين مع أولادهم، ذلك هو ملازمة الوالدين لهم ما أمكنهم ذلك فيقول: «(إلزموا أولادكم)، فلا تتركوهم هملاً دون راعٍ أو تتركوهم وتدعوهم لغيركم، لأنّ الملازمة تغرس فيهم وعلى الدوام نوازع كريمة وتكون سبباً عملياً في تقويم طبعه وخُلُقه وتنشئته تنشئةً صالحةً».

ومن هذا المنهج نرى كيف أن الإسلام بلا شكٍّ دين رائع يسبق كل فكرة تنهض بالطفل والفرد في مراحله المختلفة، فالعناية بالطفل لا تبدأ من حيث رسَم علماء النفس بل تمتدُّ إلى أبعد من ذلك بكثير بكثير كما نوَّهنا آنفاً.

الإسلام وتعليم الطفل

إنّ التعليم قَدْرٌ مشاعٌ فالأطفال فيه سـواء والرجل والمرأة فيه سيّان.. وإنّ حرص الإسلام على العلم، وندبه للذكر والأنثى وحثهما على التعلّم مدى الحياة (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) إنّ هذا الحرص والتشجيع لا يحتاج إلى تدليل وبرهان، أوليست أوّل آية أنزلت في القرآن الكريم كانت انبثاقة لفجر النُّور والرحمة بقدر ما هي انطلاقة للعقل حيث قال الله تعالى فيها: ﴿**اِقْرَأ باسْمِ ربِّكَ الذي خَلَق، خَلَقَ الإنسانَ من عَلَق، اِقْرأْ وربُّكَ الأكرَم الذي علَّمَ بالقلَم، علَّم الإنسانَ ما لَم يعلَم**﴾ العلق /١-٥/.

والرسول ﷺ بيَّن ذلك وأكّده فقال: (طَلَبُ العلمِ فريضةٌ على كلّ مسلمٍ)، وقوله: (اطلبوا العلم ولو في الصين) فالغاية التي يعلّقها الرسول ﷺ على العلم بعيدةٌ بُعدَ الصِّين عن أرض العرب، وكبيرةٌ كِبَر هذه المساحة الشاسعة الطويلة.

١ ـ أهمية الأدب في بداية الطفولة

إنّ الأدب والتعليم مطلوب في فترة الطفولة،وهي البداية الحسنة والنقطة الحساسة. وقد نبّه علماء التربية كالغزالي وابن خلدون وابن مسكاويه على أهميّة هذه النقطة في تربية الطفل لأنّ هذه الفترة فيها تغرس الأخلاق وتربَّى العواطف والعقول، ثمّ استفاضوا في الحديث عن أهميّتها وقد سمعوا قول الرسول ﷺ يقول: (كلّ مولود يولد على الفطرة)، ونبّه القرآن الكريم إلى أنّ

الإسلام هو دين الفطرة، قال تعالى: ﴿فِطرَةَ ا لله التي فَطَرَ النّاسَ علَيها ذلك الدِّين القيِّم﴾.

وفي الحديث الشريف (أدِّبوا أولادكم على حبّ نبيكم وحبّ آل بيته وتلاوة القرآن... إلخ) «رواه الطبراني».

والتأديب يكون في عمر الأطفال فالأدب مطلوب في هذه الفترة لينشأ الطفل على محامد الأفعال ومكارم الأخلاق والتأديب معناه هنا «التربية بالتدريج والتدريب المتكامل حتى يكون ما تريده سجيّة في طفلك».

٢ ـ النفقة على التعليم خير من الصدقة

وإذا كان تعليم الطفل يكلّف نفقةً ماديةً، فإنّ خير ما ينفق المسلم على أهله هذه النفقة، بل هي أفضل من نفقة الصدقة على المسكين والمحاويج. قال رسول ا للهﷺ (لأن يؤدِّب أحدُكم ولَدَه خيرٌ له من أن يتصدَّق بنصف صاع كل يوم). وهنا لابدّ لنا من الإشارة إلى أنّ التعليم في نظر الإسلام لا يقف عند نقطة معيَّنة بل يشمل أدب الدِّين والدنيا.

٣ ـ التوازن في تربية الطفل هدفٌ إسلاميٌّ عظيم

انطلاقاً من مبدأ التوازن بين مطالب الرُّوح ومطالب الجسد، بين تربية الروح وتربية الجسد، يوضّح هذا ما جاء في وصيّة سيدنا عمر الفاروق بقوله: «علّموا أولادكم السباحة والرماية ومُروهم فليثِبُوا على الخيل وثْباً».

ولو امتدّ العمْرُ بعمَر رضي ا لله عنه حتى اليوم لوجدنا لهذا القول مجالاً رحباً عند أولاد المسلمين اليوم. والكلام عن دعوة الإسلام للعلم والتعليم

دعوة مفتوحة وصريحة تجد لها في القرآن والحديث النبوي وتاريخ رجال الإسلام شواهد وأدلّة تكاد لا تعدُّ ولا تحصى.

٤ ـ أمل الدعوة الإسلامية في تعليم الطفل

كل هذا من أجل أن يتحقق أمل الدعوة الإسلامية في مجتمع ينشأ أفرادُهُ على وعي ومعرفة وعلى هدي وبصيرة وثقافة وعلم. فهذا المجتمع الحقّ الذي يستطيع أن يقف على قدميه ويعيش على موائد وطنه وأمَّته فينهض به أفراده ولا يكون عالةً على أحد «لا سمح الله».

المعلّم القدوة وتأديب الطفل

لابدّ للطفل من معلّم ومهذّب. إنها سنة الله في الإنسان، والإنسان مهما ارتقى فهو طفل بالنسبة لمن هو أرقى منه، يحتاج إليه معلماً وموجّهاً ومؤدِّباً ويشير إلى هذا المعنى رسول الله ﷺ بقوله: (أدَّبَنِي ربِّي فأَحْسَنَ تأْدِيبي).

ولابدّ للمعلم أن يكون القدوة الحسنة حتى يؤتي هذا التعليم ثماره في نفس الطفل وروحه وخلقه. وهذه قضيَّة ايضاً مسلَّمٌ بها، يشهد بذلك قول عتبة بن أبي سفيان يوصي مؤدِّب ولده «ليكن إصلاحُك ابني إصلاحُك لنفسِك، فإنّ عيونَهم معقودة بعينيك، فالحَسَنُ عِندَهم ما استحسَنت والقبيحُ ما استَقبَحت» وكان رسول الله ﷺ على قدرٍ كبيرٍ من القدوة المثلى والحسنة وقد شهد له ربُّه بقوله تعالى: ﴿**لَقَد كان لكُم في رسُول الله أُسوةٌ حسَنةٌ**﴾ الأحزاب /٢١/.

١ ـ وصية ذهبية بمجموعة فضائل وآداب

وما أروع وأبلغ ما ذكره ابن خلدون عن الرَّشيد حيث أوصى معلّم ولده الأمين بقوله البليغ: «يا أحمَر. إن أمير المؤمنين قد دَفع إليكَ مُهجَةَ نفسه وثمرة قلبه، يدُكَ عليه مبسوطةٌ وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضَعَك أمير المؤمنين ـ أقرئه القرآن، وعرِّفه الأخبار وروِّه الاشعار، وعلّمه السُّنن، وبصِّره بمواقع الكلام وبدَئِهِ، وامنعهُ من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرَّنَّ بك ساعةً إلا وأنت مغتنم فائدةً تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، و تُمعِنَ في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفَهُ، وقوِّمْهُ ما استطَعْتَ بالقرب والملاينة».

٢ ـ لوحة شرف تعلق في كل روضة

أجل إنّها وصية ذهبية تصبح منهاجاً لكل معلّم ومربٌ ومؤدّبٍ يضعها نصب عينيه إذا أراد أداءَ أمانة العلم وتعليم الأطفال. فقد حوت ما يفيد العقل ويروِّح النفس ويهذّب الروح ويعلّم جمال الخلق وحِكَم الإرشاد فهل ستكون هذه الوصيّة لوحة شرف تعلَّق في كل روضة أطفال وكلّ مدرسة وكلّ مُنتَدى للعلم وفي كلّ جامعة.. يحذو حذوها المعلمون والمدرسون والأساتذة.

وكلُّ المعلمين يُدركون بلا ريبٍ أنهم حينما يؤدِّبون أولادنا على النحو الذي استعرضناه يكونون بذلك قد كوَّنوا عنصراً نظيفاً ومفيداً وقدَّموا للمجتمع لَبِنةً صالحة.

الحافز المادي للمؤدِّب

ولندرك تماماً أن التربية الإسلامية تسبق كلّ محاولة إلى التربية الخاصّة بالنشء، فإنّ الإسلام أجاز للمعلّم والمربّي أخذَ الأجر على عمله، يشير إلى

ذلك قول الرسول ﷺ: (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)، فالمراد من إكرامهم إكرام من يؤدِّبهم، لأن ذلك حافزاً للمربِّي على أن يربِّي الأولاد ويحسن تربيتهم وإجلالاً لقدر المعلم وقيمة التعليم ـ فقد كان افتداء بعض الأسرى في غزوة بدر أن يعلّم الأسير منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ـ فهل يوجد ثمن أغلى وأعلى من أن يكون الأجر على التعليم هي الحريَّة وهي أغلى شيء في الوجود وفي الحياة.

الفصل الرابع:

- الإسلام والتربية الاستقلالية للطفل.
- أهم آثار التربية الاستقلالية.

الفصل الخامس:

- المرح والنزهة والجمال في حياة الأطفال.
- أهمية اللعبة في حياة الطفل.
- مداعبة الأطفال عبادة.

الإسلام والتربية الاستقلالية للطفل

إن الإسلام عندما أعطى للوالدين الوصاية على أبنائهما والإشراف على تربيتهما وأعطى لهذه الوصاية مهمّة أمانة الراعي على رعيَّته وحمَّلهما مسؤولية أداء هذه الأمانة استهدف من ذلك إعداد هذا الطفل لغدٍ مشرقٍ ومستقبلٍ يستطيع به مواجهة المشكلات التي تعترضه لأنَّه آيلٌ لا محالة إلى أن يجد نفسه وحيداً أمام واجبات الحياة ومعضلاتها أحياناً وإنّ نوع هذا الإعداد مرتبطٌ بتنمية شخصيّته وإعداد فكره وبعث حريّة الرأي عنده.

١ ـ حدود وصاية الآباء في تربية الأبناء

نَظرة الإسلام في التربية تقوم على أساس من مراقبة سلوك الولد حتى لا تسطوا عليه موجات من الزيغ والشكوك لئلا تهتزُّ شخصيَّته في دوّامة هذا الكون الكبير.

والوصاية تعني تعهُّده والقيام على أمره ولكن مِنْ بعيد، فتراقب أعماله عن بُعد ثم تتدخَّل لتصحح أو تعدِّل دون أن تُلغي كلّ شيءٍ فيبقى لما يُعطي من أفكاره ولما يُبْدي من آراء وجود واعتبار.

فهذه هي حدود الوصاية والتربية، وأيُّ سبيل غير هذا لمفهوم الوصاية إنّما يعني تحطيم شخصية الطفل وقَتل منابت حريّة الرأي فيه فيصبح فقط يعيش ليفكّر له أبواه وينظّما حياته فيعيش عالةً عليهما ويصبح إعدادُه للمستقبل بهذه الشخصية فاشلاً لا يقدر بها على الحياة.

٢ ـ أصول التربية الحديثة في عصر النبوة

وقد نهى رسول الله ﷺ أن يكون الإنسان إمّعةً تافهاً لا رأيَ له، وعوَّد أصحابه رضوان الله عليهم على المناقشة في التعليم وفي تبادل الآراء فيما بينهم واستيضاح ما يجب عليهم استيضاحه، فكان يصغي باهتمام لآراء أصحابه. ومن يتتبَّع سيرة الرسول ﷺ يجد الشواهد الكثيرة على أصول التربية القائمة على الاستنتاج والحِوار والاستجواب، فهي ليست مجرّد تقرير وإلزام وإلغاء. وحتى أنّه ﷺ علَّم الناشئة من الصحابة إبداء آرائهم ولعلَّ ما حدث لعبد الله بن عباس أروع الأمثلة في الدَّلالة على هذه الأصول في التربية الإسلامية.

٣ ـ اصحاب رسول الله ﷺ قمَّة في التربية الحديثة

«سأل رسول الله ﷺ أصحابه فقال: (ضَرَب الله مثلاً للمؤمن بالشَّجرة التي لا يسقط ورقُها، أتدرون ما هي؟ فسكتوا، فقال الرسول ﷺ إنّها النخلة). وكان عبد الله بن عباس مع أبيه فلمّا انصرفا إلى بيتهما قال عبد الله لأبيه لقد كُنتُ أعرف ما قاله الرسول ﷺ لكن خِفْتُ أن أقول أمام الصَّحابة، فقال أبوه رضي الله عنه أما لو قلتَ لكان ذلك أحبَّ إليَّ من حُمرِ النَّعم» ـ النوق والجِمال الجميلة والشقراء ـ.

فقد عتب عليه أبوه حيث لم يبدِ رأيهُ ولو أمام رسول الله ﷺ وأجلاَّء الصحابة رضي الله عنهم، وإنّ صغر سنّه يجب أن لا يحول دون ذلك ورغَّبه في تشجيعه على إبداء رأيه بأنّه أحبُّ إليه مما يملكُه من أعزّ دنياه.

٤ ـ صياغة الطفل لمستقبل ناجح

إن مشاركة الطفل في إبداء رأيه مهما كان رأيه بسيطاً أو بعيداً عن تصوُّر المشكلة أو أخذ رأيه في المشاكل وعدم الاستخفاف به، وتوضيح ما في رأيه من خطأ، وإبداء الرأي الصحيح أمامه سواء كان رأي والده أو والدته أو أستاذه أو معلمه. إن التعامل معه في الأجواء الفكرية والآراء الشخصية على هذا النحو ليصيغه صياغةً جديدةً ويعدُّه بحقّ لمستقبل ناجح وغد سعيد ومشرق.. وإليك أهم إيجابيات التربية الاستقلالية.

أهم ثمار التربية الاستقلالية عند الأطفال

إليك سُلّم التربية الاستقلالية عند الناشئة والثّمار التي نجنيها من هذه التربية:

١. تعويده إبداءَ الرأي في المشاكل ليتفاعل معها ويحسَّ بها.
٢. بيان ما في رأيه من خطأ يجعلُه يفكّر في صياغة الرأي واتخاذ القرار.
٣. إبداء الرأي من الكبار وتوضيح ما فيه من صَواب يجعَلهُ يفكّر ويتعلّم أيضاً كيف يصدر القرار.
٤. يتعوّد المناقشة الحرة والهادفة والهادئة فيما يتّصل بالمشكلات حتى لا يقف أمام حلّها عاجزاً ويتجرأ على حلّها وبيان وجه الصواب والخطأ فيها.

٥. إننا بذلك نعدّه للغد، ولمستقبله، ولمواجهة المشكلات التي تعترضه في المستقبل.

٦. نباعد بينه وبينَ أن يكون إمّعةً تافهاً لا رأي له ونعوِّده على المشكلات التي تفاجئه فتداهمه فيسقط ويضلّ ويضيع.

هذا هو مجمل سلّم المهمّات التي أوصى بها الإسلام الوالدين من خلال نظام التربية في الإسلام في حدود «الفكر والرأي» و لله درُّ القائل: «لاعِب ولَدَك سبعاً وأدِّبه سبعاً وصاحِبْهُ سبعاً ثم اجعل حبلَهُ على غارِبِه».

المرح والنزهة والجمال عند الأطفال

اللعبة والمداعبة للطفل وسلاسل الذهب والتماثيل وعورة الطفل وموقف الإسلام منها دليل على الاهتمام به.

إنّ وجهة نظر الفكر الإسلامي من لُعب الأطفال وموقفه من لُعب الأطفال ومداعبتهم هي وجهة نظر إنسانية وتربويّة فهي تُدخل على الطفل البهجة والحبور، وترسم على ثغره البسمة والسرور، وتُحرك عنده مشاعر الإحساس بالمرح، ثم هي وسيلة تربوية لتنمية المعارف والمدارك لديهم وإعداد تربوي لمستقبل ينتظرهم فيقطفون عندها ثمرة هذه التربية والوجهة الإنسانية. فاللعب ليس عبَثاً ولا هدراً للوقت بل هو عون لوقت الجدِّ والعطاء والدّرس في الغد القريب في عمرهم. وقد لاحظ العلماء الحكمة من إقرار الرسول لذلك، لأن الفتاة مُعدَّة لتكون أمّاً تداعب أطفالها وتخيط لهم الثياب وتضمُّهم إلى صدرها، فالعرائس بين يديها وهي طفلة ضرب من التمرين والتدريب على

ذلك. وهذه غاية شرعية سليمة، وفي ذلك إشغال للوقت بما يفيد المستقبل وشحذ للذّهن والفكر عند الطفل ولكن السؤال الآن من أين تبدأ الفرحة والبهجة بالأطفال؟

تبدأ الفرحة حين قدوم هذه المعجزة، معجزة الخالق فيرزق الوالدين بمولود جديد، فعلى الوالدين، حفاوةً بهذا المولود وبكلّ مولود جديد أن يقيما وليمةً «مائدة» من الطعام بمثابة عرس لهذا المولود فيذبحان عقيقةً، لها أوصاف الأضحية في عيد الأضحى، ويَدعوان عليها الأصحاب والأحباب والأهل والجوار تقديراً لهذا الطفل وشكراً لله على هبته وهديَّته وإعلاناً بالفرحة والرضا، وإنها لسُنّةٌ نبوية تدل على الاهتمام والرعاية بالطفل لن تجد مثلها في الأنظمة الوضعية «صنع يد الإنسان» إنّها صنع الله وتشريعه العظيم.

مداعبة الأطفال عبادة ترضي الله

ثم يأتي دور رسول الله ﷺ بالفعل والعمل فيداعب ويلاعب الحسن والحسين أولاد السيدة فاطمة رضي الله عنهم جميعاً فيقول لهما: «نعم الجَمَلُ جَمَلَكُما ونِعمَ العِدْلان أنتما» قالها حين كان يمشي على يديه وركبتيه ويتعلّقان من الجانبين كما جاء في كتاب الإصابة وكان يصبر عليهما ليتمَّ بذلك إدْخال السرور على نفسيهما، وعبَّر رسول الله ﷺ عن بالغ سروره حين أثنى عليهما «نعم الجمل جملكما» وفي ذلك درسٌ لنا في أنَّ مداعبة الأطفال والصبَّر عليهم هي عبادةٌ ترضي الله ورسوله فهل سما مجتمعٌ ما أو ارتَقَت تربيةٌ ما إلى المستوى الإسلامي في تربية الطفل ورعايته؟ هل ارتفع قائدٌ ما أو زعيمٌ إلى هذا المستوى

مـن القَـدرِ في تكريـم الأطفـال وتقديرهـم. اللهـمَّ لا... اللهـمَّ لا... إلا رسـول الطفولة والإنسانية محمد ﷺ.

ولم يكن هذا مقتصراً على أولاده من أهله، فقد كان ذلـك خُلقـاً عاليـاً فيه ﷺ مع سائر الأطفال. جاء في الصحيحين من حديث أنس رضـي الله عنـه قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً وكان لي أخٌ يقال لـه أبـو عُمَـير وكان له طَيرٌ يُدعى النُّغير - يلعـب بـه ويتسلّى، فكـان الرسـول ﷺ إذا جـاءَهُ يقول له: «يا أبا عُمَير ما فَعَلَ النُّغَير»). «رواه البخاري»، يسـأله عـن طـائره المحبوب لطفاً منه بالأطفال ومداعبةً لهم وتقديراً لمشاعرهم ومشاركة لهم فيمـا يحبُّون وفيما يلعبون.

وإنَّك لتجد هذه النَّظرة من خلال توجيـه الرسـولﷺ وهـو يحـثُّ الآبـاء على شراء هذه اللعب وهذه التحف لأولادهم وتقديراً لأهمِّيَّة هذه اللعـب في حياة الأطفال فإنَّ رسول الله ﷺ جَعَلَ أَجراً للوالدين وثواباً كبيراً يوازي أجـر الصَّدقة ويعادل ثواب الهديَّة فيقول: (من دَخَلَ السوقَ واشتَرَى تُحفَةً فَحَمَلَهـا إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور).

ولهذه الغاية أجاز فقهاء الإسلام شراء اللّعب المجسمَّة للأطفال واستُثنِيَت من تَحريم استعمال التماثيل واقتنائها في المنازل.

إذاً فإعداد برنامج للأطفال في التلفاز وإقامة ما يسمَّى بمسارح العرائـس للأطفال ليس جديداً وبدعاً في عالم الطفولة في ظـلِّ الإسـلام فهـو مـن عصـر النبوَّة كان شائعاً ومستعملاً استعمال العرائس للأطفال.

فهذه السيدة عائشة رضي الله عنها وهي في سنِّ الطُّفولة دخـل عليهـا رسول الله ﷺ ووجدها تلعب بعروس (لعبة بنت مجسَّمةٍ) وتداعبها وتلعب بها

مشدودةً إليها فَرَحاً وسروراً، فيراها رسول الله ﷺ فيداعبها ويسألُها ما هذه يا عائشة وماذا أرى في وسط هذه الّلعبة؟ قالت: فَرَس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، فقال رسول الله ﷺ مداعباً لها: فَرَسٌ وله جناحان قالت: نعم، فَضَحِكَ رسولُ الله ﷺ حتّى بَدَت نواجذُه.

ويبدو رسول الله ﷺ في هذا الموقف مقدِّراً لمشاعر الأطفال والناشئة ومشجِّعاً لإدخال السرور والبهجة على نفوسهم، فينزل إلى عقولهم ومداركهم يداعبهم ويلاطفهم ويعيش معهم في أحوالهم، وكأنَّهُ طفلٌ بينهم رغم عظم قدره ﷺ. وفي ذلك تعليم للناس وللآباء أن يعيشوا أحياناً بين أطفالهم وكأنَّهم أطفال ليُدْخلوا السرور على قلوبهم وليوجِّهوهم من خلال ذلك. «وليألف الأطفال أبناء أسرتهم ولا ينعزلوا عنهم فقد رفع الحواجز التي تُبعِد الأطفال عن أسرَتهم بسبب ما يُسمَّى (عَورة)» فلم يجعل للطفل عورة محرَّمةً دون الأربع سنوات وما فوق الأربعة عورتهم فقط (القُبلُ والدُّبر) دون الفخذين فإذا ما بلغوا الحُلمَ كانت عورتهم (ما بين السُّرَّة والركبة). وهذا يجعل الأم في حريَّة تامة من نظافة الطفل والعناية به. قال تعالى:﴿**أو الطفل الّذين لم يظهُروا عَلَى عَوراتِ النِّساء**﴾ «سورة النور».

ومن أمثلة اهتمام الإسلام بحب الأطفال من الكبار وألفتهم لأمثالهم من الصغار، سمح الإسلام للرجال من آباء وغيرهم بشراء هدايا ذهبية من سلاسل وغيرها تعلق على صدر الطفل وعلى عنقه ليبدو الطفل مزيناً بالحلي والجواهر محبوباً للنفوس.

الفصل السادس:

- الصحة ونظافة البيئة في حياة الطفل.
- نظافة الأنف وعلاقتها بالنطق.
- نظافة الفم وعلاقتها بالصحة العامة.

الفصل السابع:

- التوعية عامل هام في الأمم المتحضرة.
- أهم أنواع التربية.
- توجيه وسلوك.

الصَّحة ونظافة البيئة في حياة الطفل

كان لا بدَّ من الحديث عن الصَّحَّة الشَّخصيَّة في حياة الطفل بعد أن استعرضنا الحديث عن الصحَّة التربوية النَّفسيَّة والعقليَّة في حياة الطفل، وذلك لما بينهما من تلازم وارتباط. فالجسم السليم في العقل السليم والعقل السليم في الجسم السليم فليست صحة البدن وطهارته سلاحاً مادِّيّاً فقط بل له أثر عميق في تزكية النَّفس وتمكين الإنسان من النهوض بأعباء الحياة ولعلَّ في الحديث الشَّريف ما يشير إلى الرَّبط والتَّلازم فيقول: (الإيمان بضعٌ وستُّون أو سبعون شعبةً أدناها إماطَةُ الأَذَى عن الطَّريق وأرفعها قول «لا إله إلا الله»). «رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي».

ففي إماطة الأذى نظافةٌ حسيةٌ وفي قول (لا إله إلا الله) تزكيةٌ نفسيةٌ وإنَّ اهتمام الاسلام بدعوته الكبار والصغار إلى الطَّهارة والنَّظافة أمرٌ لا يختَلِفُ عليه أحد.

فقد ورد ذكر الطهارة في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين موضعاً .... وقد ورد في الحديث بما يفوق هذا العدد ولا تتسع هذه الرسالة إلى سردها ولكنَّها تدلُّ على أن الإسلام اهتمَّ بالنَّظافة اهتماماً كبيراً وأولاها عنايته ورعايته لأنها الأساس لكل زينة حسنة وكل مظهر جميل وإنَّ صحَّة الأجسام وجمالها وحسن المظهر للمسلم من صميم رسالة الإِسلام وتشريعه.

ونحن حينما نطلب من الناشئة والكبار النظافة والعناية بصحتهم إنما ينبغي علينا أن نبدأ من الأطفال لتصبح هذه النظافة والعناية بصحَّتهم عادةً

عندهم وإنّما تنشأ العادات بتكـرار الأفعـال لـذا ينبغـي علـى أوليـاء الأمـر أن يرشدوا أطفالهم إلى هدي الإسلام.

النظافة البدنية:

١. غسل اليدين قبل الطعام وبعد الاستيقاظ من النوم وإلى تقليم الأظـافر لأنّهـا من سُنن الفِطرة لما تحوي من أذى إذا هي تركت دون قـص، وفي الحديـث (بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده) «رواه الترمذي».

٢. العناية بتنظيف الرأس.. وأن يتعهّدوا شعرهم بقصٍّ وتنسيق وفق ما عليه السنّة المطهّـرة فقـد قـال رسـول ا لله ﷺ (مـن كـان لـه شعرٌ فليكرمـه) وإكرامه بتسـريحه والعنايـة بـه. وفي حديـث آخـر، رأى رسـول ا لله ﷺ رجلاً شعثاً مفرّق الشعر فقال: (أما وَجَد هذا ما يرجِّلُ ـــ يسـرِّح ـ بـه شعرهُ).

٣. الاهتمام بنظافة العين وهي أدقُّ عضـو مـن أعضـاء الجسـم، فيجـب أن يتعهّدها بالنّظافة ويتجنّب استعمال اليد لأنّها ربما تكـون ملوّثـة فتـؤذي بهذا التلوُّث. وقد اهتم الرسول الكريم ﷺ برعاية عينيه.

صحّة البيئة في حياة الطفل

إنّ العناية بالصحـة والنظافـة كمـا هـو مطلـوب في النظافـة الشـخصية، مطلوبٌ في نظافة البيئة، فالصحّة العامة أمرٌ متكاملٌ مع الصحّة الفرديّة.

ولذلـك أولى الإسـلام اهتمامـه أيضـاً بنظافـة البيئـة، والبيئـة تعـني مـا يحيـط بالإنسـان ومجتمعـه، فنظافـة البيـوت ونظافـة الميـاه والأطعمـة وكذلـك الطرقـات

والمنتزهات ومواطن الظلّ فيها كلُّ هذا من البيئة، والسنّة النبويّة قد وجّهت الأولياء إلى تربية أطفالهم منذ الصغر على نظافة البيئة، وفي مقدمة ذلك:

آداب صحيّة يجب أن يتربّى عليها أطفالنا

١. أن ينهى الوليُّ الطفل عن التنفّس في الإناء أثناء الشرب: فعن أبي قتادة: (أنّ النبيّ ﷺ نهى أن يتنفّس في الإناء) ويشمل هذا النهي، النهي عن النّفخ في الماء والطعام مخافة تقذيره من سقوط شيء فيه خلال النفخ أو التنفّس. وإذا ما أخذنا نظرة تشمل المدن والقرى وجدنا من الضروري توجيه الأطفال ولاسيّما في القرى على أن يحافظوا على نظافة الماء في البُرَك والسُّدود والينابيع بأن لا يبولّوا في الماء الرّاكد، فقد جعل الإسلام من حق المرء على أخيه أن يتجنب إيذاءه بقضاء حاجته في الماء الذي يرده.

فعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يبال في الماء الراكد، وشمل النهي أماكن الاستحمام، فعن عبد الله بن مغفل أنّه قال: قال رسول الله ﷺ (لا يبولنَّ أحدُكم في مستحمِّه ثم يغتسِل فيه) «أخرجه الترمذي بلفظ آخر».

٢. فعلينا إذاً أن نرشد أطفالنا وأبناء مجتمعنا إلى تجنُّب تلويث المياه حفاظاً على صحتنا ولأننا ندرك أن عملنا هذا ينجس الماء أو يتلف صلاحيته للاستعمال.

وبهذا نحمل إلى أنفسنا وإلى غيرنا الأمراض والجراثيم. ولابدّ من التنويه أن التبوُّل على الحجر والأرض الصّماء

كالأراضي الصخرية وأماكن الطهارة قد حذّر الإسلام منها لأنها تعرّض صاحبها للتلوُّث حيث يتطاير البول عليه فيؤذي نفسه ويؤذي الآخرين، فعن عبد الله بن سرجس أن رسول الله ﷺ (نهى أن يُبال على الحَجَر حتى لا يتطاير البول عليه). وكذلك نهى رسول الله ﷺ عن البول في الأرض الصمَّاء ويُفهم من هذا أنه ليس من الإسلام أن يتبوَّل الإنسان وهو واقفٌ كما اعتاده بعض أولادنا وأطفالنا اليوم. ويشمل هذا النهي أيضاً التبوُّل في عرض الشارع أو على جانبه أو في الظل الذي يتخذه الناس مَقيلاً ومُقاماً ينزلون به ويقعدون فيه وكذلك في الموارد المائية، فمن يفعل ذلك إنما يعرِّض البيئة بأسرها إلى الجراثيم والتلوث، وهذا من أكبر الكبائر في الإسلام لأنه ضَرر عام ومتحقّق وفي الحديث: (اتَّقوا الملاعن الثلاث: البراز في موارد الماء وقارعة الطريق والظّل).

أي من آذى المسلمين في طُرقهم على هذا النحو قد استحقَّ اللعنة من الناس عليه.

ومن البيئة العدوى في الأوباء والأمراض السارية وخصوصاً في مكان اجتماع الأطفال والمدارس والحدائق والرياض. فعلى الأمهات إذا أصيب أحدُ اولادها بمرضٍ معدٍ فعليها أن تعزله فوراً عن إخوته ورفاقه فقد ورد في البخاري ومسلم قول رسول الله ﷺ (لا يورِدنَّ مُمرِضٌ على مُصِحٌ). فما أعظم هذا الهدي النبوي في الحفاظ على صحّتنا وصحّة أطفالنا وحثّنا على نظافة عيوننا، فعن عائشة رضي الله عنها كان للرسول ﷺ ــ إثمد يكتحل به

عند منامه في كل عين ثلاث ـ والإثْمِد «حجرٌ يدقُّ ناعماً» ويكتحل به يقوِّي البصر ويجليهِ ولا مانع من استشارة الطبيب إذا لزم الأمر.

٣ ـ الاهتمام بنظافة الأنف

فهذا أمرٌ لدى الصغار والكبار وهو من محاسن الإسلام وسنن الوضوء، وعلى المرء أن يأخذ ماءً فيستنشقه ثم ينثُره ليخرج من أنفه لأنّ ذلك أبلغ في نظافة الأنف ثم يكرّر ذلك مرتين أو ثلاث، فإن ذلك يساعد على حسن التنفُّس وجودة التهوية للجيوب الأنفيّة وتنظيف ما علق بشعر الأنف من غبار ونحوه. ويساعد هذا على حسن النطق وجودة التلاوة بأداء مخارج الحروف على الوجه الأكمل.

٤ ـ العناية بنظافة الفم

فالإسلام الحنيف وجّه الأولياء إلى أن يرشدوا أولادهم إلى العناية بتنظيف فَمِهم لما لذلك من أهميَّة كبيرة حيث أنّه بوّابةٌ للمعدة والرِّئة ولأحشاء الجسم عموماً، ثم هي وقاية للأسنان من الأذى والضَّرر ولذلك دعا الرسول الكريم ﷺ المسلمين إلى استعمال السواك قبل النوم وحين الاستيقاظ وخلال الوضوء وعقب الطعام وينوب عن ذلك السِّواك إذا لم يتيسَّر ما يسمى «بالفرشاة» أو أيِّ خَشِنٍ يساعدُ على تنظيف الأسنان. وقوله ﷺ في السِّواك: (السِّواك مطهَرَةٌ للفم مرضاةٌ للرَّب). «رواه البخاري».

٥ ـ الاهتمام بنظافة الثوب

فإنّه جمال للنّفس ووقارٌ للمسلم ومشجّع على أُلفة الناس له، وسمّاها القرآن الكريم زينةً ﴿**خُذو زينتكم عند كل مسجد**﴾ الأعراف: /٣١/. ورأى رسول الله ﷺ رجلاً عليه ثياب وسخة فقال معاتباً ومؤنّباً (أما وجَدَ هذا ما يغسلُ به ثوبه). واهتماماً من الرسول بلبس الثياب النظيفة والأنيقة أرشد إلى نوع هذه الثياب وإلى ألوانها فقال: (البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خَير ثيابكم) «رواه الترمذي والنسائي».

ونظافة الثوب والتجمل به لا يعني المبالغة في جودة جنسه ونوعه أو حتى جدِّيَّتِهِ فإن ذلك يكلّف وربّما يؤدّي إلى السَّرَف والتَّرف وهذا ما لا يميل إليه الإسلام.. إنّما يعني النظافة والترتيب والتجمُّل.

ولقد أكّد الإسلام على ذلك حين حضور الاجتماعات مع الناس سواءً في العبادات مثل الجمعة والعيدين، أو في اللّقاءات في المناسبات، فقد قال رسول الله ﷺ: (ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخّذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته) «رواه أبو داود».

وما أجمل الأطفال حين يَظهرون بثياب نظيفة وزاهية ومرتّبة، ونحن في صدد الحديث عن النّظافة في الثّياب للتجمل والألفة عند الأطفال نذكر بأن فقهاء الإسلام أجازوا للآباء والأقارب شراء سلاسل وغيرها من الذهب والفضة وتقديمها هدايا للأطفال في مناسبات أعيادهم وأفراحهم وسَمَحوا لهؤلاء الأطفال بالتزيُّن بها واستعمالها مع أن هذا محرَّم على الكبار من الرّجال

تعليماً للآباء وإرشاداً للأمّهات بتكريم أطفالهم والحِرص على تزيينهم وتجميلهم.

نظافة الطريق من البيئة

إنّ من حقّ المسلم بل من حقّ الإنسان على الإنسان أن يتجنّب إيذاءه بوجه عام وفي الطريق والممرّات والشوارع وعلى الأرصفة بوجه خاص..فعلى الآباء إرشاد أولادهم وأطفالهم ليس فقط بتجنُّب إيذاء الناس في الطّرقات، فهذا فعل سلبي بل هناك فعل إيجابي وهو إزالة الأذى الموجود بالطريق.

يوضِّح ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال: (بينما رجلٌ يمشي في الطريق وجد غصن شوكٍ على الطريق فأخَّرَهُ فشَكَر الله له فغفر له). وعن أبي ذر رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ (عُرضت عليَّ أعمال أمَّتي حَسَنُها وسيِّئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق ووجدت في مساوئ أعمالها النُّخامة تكون في المسجد لا تُدفن) «رواه مسلم وابن ماجه».

ويجدر بالأب أن يكون لأطفاله قدوةً حسنةً وهو يسير معهم في الطريق فيُميط الأذى بنفسه فيَراه طفله فيقتَدي به فالأسوة الحسنة ضرورية للأبناء ولعلّ حادثةَ ابن أخضر مع معقِل بن يَسار لتكون شاهداً على أثر القدوة الحسنة. عن المستنير بن أخضر بن معاوية عن أبيه قال: «كنت مع معقل بن يسار رضي الله عنه في بعض الطرقات فمررنا بأذى فأماطه أو نحّاه عن الطريق فرأيت مثله فأخذته فنحّيته فأخذ بيدي وقال: يا ابن الأخضر، ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا عم رأيتُك صنعتَ شيئاً فصنعتُ مثله فقال

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَن أماط أذىً من طريق المسلمين كُتبت له حسنة ومن تُقُبِّلَت منه حسنة دخل الجنّة)».

والأذى في الطريق يشمل الحجر والشجرة اللذين يؤذيان الناس ونُفايات الخضار والثمار، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «شجرة تؤذي الناس فأتاها رجلٌ فعزلها عن طريق الناس قال: قال نبي الله ﷺ (فلقد رأيته يتقلّب في ظلّها في الجنة)» «رواه أحمد وأبو يعلى». وعن أبي شيبة الهروي قال: «كان معاذ يمشي ورجل معه فرجَع فرفَع حجراً من الطريق فقال: ما هذا؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رفع حجراً من الطريق كُتبت له حسنة ومن كانت له حسنة دخَل الجنة)» «رواه الطبراني في الكبير».

آداب الطريق كما أرشد إليها الرسول

ولما كان الطريق من سُبُل المنافع العامّة التي هي ملك للمجتمع فقد أرشدنا الرسول الكريم إلى حُكمٍ من الأحكام العامة التي يحتاج إليها الناس في كل زمان ومكان وهو حكم الجلوس في الطريق وحقُّ هذا الجلوس فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إيّاكم والجلوسُ في الطرقات، فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بدّ نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقّه، قالوا وما حق الطريق؟ قال غضُّ البصر وكفُّ الأذى وردّ السّلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

فليس إذاً من آداب الطريق في تعاليم الإسلام أن يقف الأولاد اليوم كلٌّ إلى رفيقه يتسامر معه على مداخل الشوارع والحارات، وليس منه أيضاً

الجلوس أمام الحوانيت وأمام أبواب الدور قصد التسلية وقتل الوقت، فإنّ ذلك كثيراً ما يتسبّب ارتكاباً لمحرّمات من غِيبة لبعض المارّة أو النّميمة أو سخْريةً بهم والنظر إلى النساء والفتيات فإن ذلك واقعٌ لا محالة. ويمكن للأولياء أن يوجّهوا أطفالهم إلى ذلك قبل أن يكبروا، ويلفتوا انتباهم إلى الشباب الواقفين وكيف تكون أذيّتهم للناس ومساوئ هذا العمل حتى إذا ما أصبحوا شباباً وجدوا أخطار مثل هذا أمراً طبيعياً في حياتهم فيتجنبوا ذلك حكماً.

التوعية عامل هام في الأمم المتحضّرة

إن توعية الفرد والأسرة والمجتمع عنصرٌ هام لسلامة المجتمع ولقوّة بنيانه وتماسكه على نحو يضمن له السعادة والرفاهية، وهذا فيما أحسب لا يختلف عليه أحد.

وإن التوعية بأشكالها المتنوعة ـ الفكرية والاجتماعية والنفسية ـ ضرورية جداً لسلامة الفرد وصيانة المجتمع من التردّي في مهاوي الضعف والعجز وفقد الاستقرار.

ولكنّ التوعية تختلف في حجمها وأسلوبها وآدابها باختلاف الأعمار للأفرادِ، فالأطفال دون سن الرُّشد توعيتهم تختلف طبعاً عن توعية ما فوق سن الرشد من الأولاد.

ورسالتنا انتهجت الحديث عن الأطفال دون سن الرّشد، وهؤلاء منذ البداية تقع مسؤولية توعيتهم على آبائهم وأوليائهم.

والمعيار في توعيتهم يتوقف على الأولياء في تحديد مدارك الطفل ووعيه تدريجياً فيعطى من التوعية على مقدار هذا المعيار...

وهنا أريد أن أذكّر الآباء والأولياء أن نباهة أطفال اليوم وذكاءهم ووعيهم للأمور والنظر فيما يدور حولهم واستعدادهم لتسجيل الحوادث في ذاكرتهم أمرٌ لا يستهان به ولا نُقلّل من شأنه تشهد له المسابقات الفكاهية والثقافية العامة التي تجريها المدارس من حضانة وابتدائي وروضات وفي المعاهد لتحفيظ القرآن الكريم. إنها لتدلّ على ذلك دلالة واضحة لا تتسع الرسالة لذكر أمثلة وشواهد على ذلك، ففي كل ذلك تحريض للوَعي الفطري عند الأطفال وإظهار للاستعداد الذهني للحفاظ والفهم والاستيعاب، وتجد إن صحّ القول نوابغَ أفذاذاً من الأطفال مما يبعث على الدّهشة والإعجاب وكان بعضهم يتصرّف بِأكبر من أعمارهم بسنين.

لذا أحذّر بعض الآباء من الاستهانة بتوعية الأطفال والانصراف عنهم، بحجة أنهم أطفالٌ وصغارٌ، دَعهُم ليَكبروا ثمّ ينصرف عن العناية بهم بسبب ذلك.

أهم أنواع التوعية

وقبل التحدُّث عن الأهم أوضِّح المقصود من التوعية هنا ـ توعية الأطفال ـ تَعْني لفت أذهان الأطفال إلى مجموعة إرشادات قليلة من الفضائل الخلقية والاجتماعية والصحيّة مبسَّطة بحكايات عن رجال فضلاء وصالحين وعن أبطال وشجعان في تاريخ الإسلام، ثم بتصحيح السلوك الغلط الذي يقع

منهم بأسلوب لطيف لا يُتَّهم به الطفل بل يجد له فيه عذراً، وإنّ من أهم التوعية ما أسمِّيه:

١. القدوة الواعية: فالوالد والوالدة والأولياء قدوة عملية في التوعية أبلغ من توعية رشيدة وهادفة.

٢. والرفقة الواعية: يختار المربُّون لأطفالهم من أعمارهم رفقاء متميِّزين عن غيرهم بالفهم والوعي والثقافة والأخلاق الحسنة ومراقبة ذلك ومجالستهم أحياناً من قبل الآباء.

٣. والمطالعة الواعية: وهذه نقطة هامة وإيجابية أن يضع المربّون بين يديّ أطفالهم وفي منازلهم ما يختارونه من قِصص عن سِيَر الأبطال وحكايات الأبرار ومن مجلات أطفال لها غايات نبيلة وأهداف سليمة تَرقى بالأطفال إلى السُّموِّ والأخلاق الرفيعة الفاضلة.

وأحذّر الأولياء من التهاون في هذه الأمور الثلاثة فإذا حرَصنا على توعية أطفالنا منذ حداثة سنّهم ونعومة أظفارهم إلى أن يصلوا إلى سن الرشد والنُّضج توعيةً دقيقةً شاملةً ومحسوبةً بمقدار، وصلنا إلى الغاية المنشودة في الحصول على مجتمع إسلاميّ فاضلٍ يُضاهي سائر المجتمعات علماً وتقدُّماً وحضارةً.

ومجتمعنا في السالف المجيد كانت لا تغيب عن ذهنه مثل هذه التوعية لأطفالهم ورعايتهم وتكريمهم، وما كان يغيب عن أذهان العلماء التركيز على توعية الأطفال والاهتمام بهم، ومن الأدلّة على ذلك ما أوصى به الإمام الغزالي، بتعليم الطفل القرآن الكريم، وأحاديث الأخيار، وحكايات الأبرار، ومآثر الأجداد والأمجاد.

ونهاية القول على الآباء والمربّين أن يُشمِّروا عن ساعد الجدّ والعزيمة في توعية أطفالهم وأن لا يتركوهم هملاً، عليهم ذلك كواجب أبويّ وإنسانيّ ودينيّ ليصلوا إلى أن يساهموا في بناء مجتمع إسلامي عظيم وفاضل.

توجيه وسلوك

من المفضّل أن نخلُص إلى توجيه عمليّ وسلوك تربوي يشمل الآباء والأهل والأطفال في آخر الرسالة.

أيها الأب المسؤول،
أيتها الأم المسؤولة:

- إذا كنت بحقّ تحبين طفلك وتخلصين له.. فعليك أن تغرسي فيه حبّ الله ورسوله ﷺ والقرآن الكريم.
- إذا أردت أن ينشأ على ذلك ويتأدب عليه ليكون عنده دعامة قوية وليبحث بعد رُشده وبلوغِه على تعميق هذا الحب وجدانياً وعقلياً.
- إذا أردت وكنت جادة ومخلصة فاتّبعي ما يلي:

١. اقرئي لطفلك ما جاء في هذه الرسالة «أسمعيه ما جاء فيها أكثر من مرة».
٢. أو دعيه يقرأها إذا أمكن من مساعدة منك بتفسير وتوضيح.

ستجدينه تلقائياً قد أثّر حب الله ورسوله ﷺ والقرآن والإسلام في نفسه وقلبه ومشاعره، ولكن كيف ذلك؟

ـ إن الأطفال بالفطرة يحبُّون أن يستمعوا إلى حوادث عن آبائهم وأجدادهم وأهليهم وحاراتهم.

ـ فإذا سمع حديث جدّه رسول الله ﷺ عن الأطفال وكيف كان يكرمهم ويداعبهم وأمر الآباء بتقديرهم؟

ـ وإذا سمع آيات الله من خلال الرسالة كيف يتحدّث عن الأطفال وأنّهم زينةٌ وقرّة عين.

ـ وإذا سمع عن أصحاب رسول الله ﷺ ورعايتهم وشفقتهم على الأطفال «اذكري له مثلاً قصة سيِّدنا عمر بن الخطاب عن الطِّفل الذي يبكي جوعاً سمع عمر رضي الله عنه بكاء طفلٍ وهو يخطُب بالناس فسأل عن السَّبب فعرَفَ لقلّة غذاء حليبه في ثَدي أمِّه نظراً لفقر أمِّه وقلّة ذات اليد فأمرَ وعلى الفور عطاءً من المال دائماً لكلِّ مرضعةٍ حتى يتغذّى الطفلُ ويتنعّم ويَضحك لأنّ صوتَ الطفل الجائع هزَّ ضميره وكيانهُ وذكَّره بمسؤولية الأم والأب على أطفالهما.

أيها الأب... أيتها الأم...

صدِّقاني إذا أخذتما بمشاعر ولدكما وبقلبه نحو قصص رسول الله ﷺ عن الأطفال أحبّ رسول الله ﷺ حُكماً ثمّ هو يتحرى بعد أن يسمع منك الكثيرَ والكثيرَ. وهذا هو الإيمان بعينه «من أحبّ رسول الله ﷺ أحبّ الله».
والأطفال بالفطرة تحبُّ كلّ من يتحدَّث عنهم ويهتم بهم، ثم هو بعد ذلك وحدهُ يتابع سيرة رسوله العظيم مزهوّاً محفوظاً بالإيمان والسّلامة والسّعادة.

فهل تنفّذ أيها الأب؟ هل تنفذين أيتها الأم المربِّية؟

أغلب الظن سيكون الجواب نعم.

التعريف بالكاتب

- اسمه بالكامل: محمد بن كامل الشربجي.
- ولد في مدينة دمشق عام ١٩٣١ وعاش فيها «دمشق - حي الميدان».
- حصل على إجازة في التدريس والتوجيه من العلامة الراحل الشيخ حسن حبنكة الميداني في عام ١٩٥٢.
- أكمل تحصيله العالي في العلوم الدينية فحصل على إجازة جامعية (العالمية) من جامعة الأزهر عام ١٩٥٦.
- انتسب إلى تخصص القضاء الشرعي في الأزهر.
- حصل على إجازة دبلوم في الصحافة من معاهد القاهرة عام ١٩٥٥.
- عمل مدرّساً لمادة التربية الإسلامية في المعاهد والمدارس الثانوية في سورية مدة /٣٥/ عاماً.
- قام بمهمة التدريس في المعاهد الشرعية ومدارس التهذيب والتعليم ولا يزال.
- شغل المناصب التالية في وزارة الأوقاف السورية:
  - مديراً للثانوية الشرعية.
  - مديراً للتوجيه والإرشاد.
  - مديراً للتعليم الشرعي.
  - مديراً للتخطيط والإحصاء والمتابعة.
- شارك في تطوير وتأليف مناهج التربية الإسلامية المقررة في وزارة التربية.
- شارك في لجان ومؤتمرات ومعاهدات ومفاوضات واتفاقيّات ثقافية في دائرة اختصاصه.
- من مؤلفاته:
  - نهج الإسلام في تربية الأطفال.
  - نهج الإسلام في بناء الزواج «وقاية وعلاجاً».
  - الزواج وأدب الطفل في الإسلام.
- وتحت الطبع:
  - مشاكل الأسرة الكبيرة وعلاجها.
  - أعمال الأطفال قبل البلوغ وما حكمها شرعاً.
  - ورد الأسرة المبارك.
  - رسالة «أمانة الداعية» مع لقطات مربية في كتاب رجال حول الرسول للكاتب خالد محمد خالد.
  - كتاب مواساة أهل المصائب.
  - كتاب سرايا رسول الله ﷺ وتحليلها المعاصر.
  - كتاب لقطات دقيقة من أسرار اللغة في القرآن الكريم.

المحتوى

البحث الثاني

الطرق العلاجية لمشاكل الزواج الطارئة

البحث الثالث

الأهداف الأساسية لبناء الزواج في الإسلام

البحث الرابع

البحث الخامس

الفصل الأول: عالم الطفولة

القارئ الكريم

مِن أجل وصولك إلى هدف وغاية في زواج ناجح

أبحث عن المسائل المدَّعَمة بالتحليل والحوار وأدلة الكتاب والسنة:

- المقياس الصحيح لإختيار كل من الخاطب والمخطوبة.
- تصحيح مفهوم (القِوامة، والدرجة) بين الزوج والزوجة.
- لماذا كان لوليّ الفتاة رأي في عقد الزواج؟
- المنشأ الجوهري للخلافات الزوجية.
- صَمّام الأمان من الخلافات الزوجية.
- سُلّم وسائل العلاج حين الخلاف.
- آداب المعاشرة الزوجية ودورها الهام في استقرار الزواج.
- حجة الإسلام الغزالي - والأديب مصطفى صادق الرافعي حول أفضلية الزواج والعزوبة.
- شدّة غيرة الزوج والزوجة، وما هو الحل؟
- موانع الزواج في وقتنا المعاصر وعلاجها.
- الإسلام ينافس الحضارة في تكريم الطفل.
- مراحل الطفولة خمس واهتمام الإسلام بها.
- التوازن في تربية الطفل هدف إسلامي.

والله الموفق

الناشر

